

٤٦

منشورات



من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة ( رقم ٢٢ )

# قرية بيت نبالا

تأليف

أحمد خليل كايد حسين

اشراف وتقديم

د. وليد مصطفى



تشرين الثاني / ١٩٩٨

DS  
110  
.B46  
H8  
1998

صدر عن مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

المراسلات : مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

ص.ب ١٤ بيرزيت

جامعة بيرزيت

فاكس : ٩٩٨٢٩٨٠ - ٢ - ٩٧٢

تلفون : ٩٩٨٢٨٧٥ - ٢ - ٩٧٢

او

جامعة بيرزيت - مكتب الارتباط

ص.ب ٦٦٦ ٩٥٠

فاكس : ٨٢٧٢٠٢

عمان - الاردن

: عمر مسلم

تدقيق لغوي

: امانى مصلح

طباعة

مونتاج خرائط ووثائق وصور : عبد الرحيم المدور

: مدرسة القرية

صورة الغلاف

حقوق الطبع محفوظة لجامعة بيرزيت - ١٩٩٨

تم طباعة هذه الدراسة بمساهمة كريمة من جمعية  
بيت نبالا الخيرية - رام الله .



## المحتويات

٩	مقدمة مسؤول المركز
١٣	تقديم المشرف
١٩	مقدمة المؤلف
٢٥	الفصل الاول : - القسم الجغرافي
٢٧	- الموقع وأهميته
٢٨	- المساحة
٢٩	- جيولوجية القرية
٣٠	- التضاريس
٣٥	- المناخ
٣٨	- المياه (الآبار والوديان)
٤٣	الفصل الثاني : - القرية عبر التاريخ
٤٥	- التسمية
٤٧	- القرية عبر تاريخ فلسطين السياسي
٤٩	- العهد البريطاني
٥٥	- بيت نبالا وثورة ١٩٣٦
٥٨	- علاقة بيت نبالا مع اليهود
٦٦	- الآثار والمقامات



### الفصل الثالث : - الحياة الاقتصادية

- ٧٣ - شكل ملكية الأرض في بيت نبالا
- ٧٦ - الزراعة وتربية المواشي
- ٨١ - الحرف الصناعية في القرية
- ٩٠ أ- طحن الحبوب
- ٩٠ ب- عصر الزيتون
- ٩٢ ج- صناعة الأدوات الزراعية
- ٩٤ - الأدوات المنزلية
- ٩٩ - الطرق والمواصلات
- ١٠٢ - التجارة
- ١٠٧ - العمالة في القرية وفي كمب بيت نبالا
- ١١٠ - الحرف والأعمال اليدوية
- ١١٦ - الكسارات ومعامل الشيد
- ١٢٠

### الفصل الرابع : - الحياة الاجتماعية

- ١٢٥ - وصف عام للقرية، هيكلتها وتنظيمها
- ١٢٧ - السكان
- ١٣٥ - الحمائل والعائلات
- ١٣٨ - العمران
- ١٤٨ - التعليم
- ١٥٤ - الثقافة
- ١٦٢ - الصحة
- ١٦٧ - العلاقات والعادات
- ١٧٤ - الزواج
- ١٧٩

١٨٥	- ختان الأولاد
١٨٧	- أغاني السحجة وأغاني النساء في العرس
١٩٠	- اللباس الشعبي
١٩٧	- قضاء وقت الفراغ
١٩٩	- المناسبات الدينية
٢٠٤	- زيارة المقامات
٢٠٧	- المرأة
٢١٣	الفصل الخامس: - الرحيل
٢١٥	- احتلال بيت نبالا
٢٢٠	- الرحيل
٢٢٦	- التسلل
٢٣١	- تدمير القرية
٢٣٦	- أهل القرية اليوم
٢٣٩	الهوامش
٢٤٥	المصادر والمراجع
٢٤٩	صور ووثائق

## تقديم مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني

في الوقت الذي يحيا فيه الشعب الفلسطيني الذكرى الخمسين للنكبة وترحيله قسراً عن أرضه ومدنه وقراه، وتدمير البنية التحتية لمجتمعه، وتعرضه لأبشع سياسة اقتلاع عرفها النصف الثاني من القرن العشرين حيث مورست وتمارس ضده أقصى أساليب التطهير العرقي، يصدر مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني الحلقة ٢٢ من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة بعنوان "قرية بيت نبالا المدمرة" تأليف احمد كايد الذي بر قرية، وجمع اشلاءها ليعيد بناءها في كتابه، مستذكراً فيه مختلف النواحي السياسية والاقتصادية والاجتماعية، للحياة في القرية، ومتسلسلاً في تاريخ قرية واصفاً موقعها وسهولها وبيادرها ومعالمها، ومستذكراً احلام كبارها وصغارها وراوياً قصة ترحيلها.

وتأتي اهمية دراسات كهذه، في ظل غياب الرواية الرسمية الفلسطينية والعربية لحرب عام ١٩٤٨، ومن هنا فان الرواية الشفوية لمن صنعوا التاريخ وعاشوا الاحداث تعد اصدق انباء من الكثير من الكتب، ووسام شرف يزين به صدر كل من جمع ويجمع هذه الروايات ويوثقها عن أنباء الأمس من الأجداد والآباء، الذين ما زالوا يصارعون أملاً بالعودة ليدفنوا فوق تلة رابية من قراهم. ان كل يوم تشرق فيه الشمس ننعي واحداً منهم، وكل يوم تغرب فيه يفقد امل العودة عندهم، فيسكت لسانهم عن النطق وتموت الحقيقة معهم.

لقد سمع القاضي والداني الرواية الصهيونية المزورة، الا ان رواية المرأة والشيخ والمناضل والمرابط الفلسطيني الذين اکتووا بنارين نار العدو الصهيوني



ونار التهجير التي كانت أصلى وأمر لم تسمع كما يجب بعد. لذا تأتي أهمية هذه الدراسة التوثيقية من خلال المقابلات الشفوية، التي تفضل رواتها مشكورين بسردها للاستاذ احمد كايد الذي حررها ووثقها على لسان أصحابها في دراسته لتكون وثيقة تفيد الباحث وتحفظ التاريخ من الضياع.

ومن خلال الروايات التي جمعها موظفو مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني في جامعة بيرزيت حول تهجير سكان قرى قضاء الرملة واللد، تم تسجيل أبشع المجازر وأفظع أساليب التطهير العرقي. حتى أن أحد الرواة ممن رجع متسللاً إلى الرملة بعد الرحيل قال "لقد شاهدت الدجاج في فناء أحد البيوت يأكل من جمجمة طفل استشهد أمام بيته ولم يجد من يدفن جثته".

تشير هذه الدراسة الى ان الكثير من أهالي قرى العباسية وكفر عانة وسلمة والخيرية وغيرها من قرى قضاء الرملة قد وجدوا في قرية بيت نبالا ملاذا لهم بعد ان هجروا من قراهم. الا ان العدو الاسرائيلي الذي يريد الارض فارغة من الناس عندما لاحظ هذا التجمع السكاني الكبير قام في ٣/٧/١٩٤٨ ، والذي صادف اليوم الاول من شهر رمضان المبارك بملاحقتهم بالطائرات التي قصفت بيت نبالا، تنفيذاً لخطة (داني) التي تطلبت احتلال جميع قرى وارااضي قضاء الرملة واللد وتفريغ اهلها منها.

من جانب اخر ونحن نقف امام مرحلة سياسية جديدة يتقرر فيها مستقبلنا الحضاري والثقافي، وحيث تتابع الدولة العبرية محاولاتها لطمس الهوية السياسية والحضارية للشعب الفلسطيني، فاننا بحاجة ماسة الى توثيق تاريخنا واعادة كتابته من جديد بأقلام فلسطينية تستوعب التاريخ والتراث وتدون التاريخ، وتوثق الرواية



الشفوية من السنة من عايش الاحداث وصنع التاريخ من ابناء الامس لنقلها الى ابناء  
الغد.

وفي هذا الصدد لا زالت الحاجة برائنا ماسة لاستكمال مسيرة مركز دراسة  
وتوثيق المجتمع الفلسطيني في جامعة بيرزيت، الذي بدأ خطوته الاولى في توثيق  
القرى الفلسطينية المدمرة منذ عام ١٩٧٩ على ايدي الرواد الاوائل الذين قدموا  
الكثير من جهدهم وعقلهم لهذا المركز امثال د. كمال عبد الفتاح الذي وضع اسس  
البنية المعلوماتية من خرائط القرى المدمرة ونواة اطلس للمخيمات الفلسطينية  
وتوثيق المواقع الفلسطينية. وامثال الدكتور شريف كناعنة الذي نشر ثلاث عشرة  
حلقة من سلسلة القرى الفلسطينية المدمرة، ود. صالح عبد الجواد الذي اخرج  
ثماني حلقات جديدة من هذه السلسلة بالتعاون مع باحثي المركز ولكن بحلة جديدة  
مميزة بحيث دمج التاريخ الشفوي بالتاريخ المكتوب، وغطت جوانب متميزة في حياة  
كل قرية بحيث تضاعف حجم المكتوب عن القرية وتعددت المواضيع المدروسة فيها  
واتبع اسلوب تحليل الاحداث وربطها بسياق ما كان يجري على ساحة فلسطين  
ككل.

وعليه فاننا نعتقد ان اكمال مسيرة المركز بمشروعه الريادي واجب وطني  
نأمل ان تتبناه المؤسسات الوطنية الفلسطينية الرسمية والشعبية، من خلال تقديم  
الدعم المادي والمعنوي لهذا المشروع. ومن هنا اوجه دعوة الى هذه المؤسسات  
لدعم هذا المشروع حتى يتسنى للمركز استكمال مشواره الطويل، وبدون دعمكم  
ومساندكم قد يخفت ضوء شمعها اضاءات الطريق امام البحث في ثقافة وتراث  
شعب تم اقتلاعه من ارضه، وحل مكانه شعب اخر سرق التراث وهود الاسماء  
وزيف التاريخ.

واخيراً يهنئ المركز الاستاذ احمد كايد على هذا الجهد المميز الذي زرع  
الامل من جديد واستثار الهمم وحرر وحافظ على جزء من التاريخ والثقافة  
الفلسطينية. ويتقدم بالشكر للدكتور والباحث الفلسطيني وليد مصطفى على الجهد  
التطوعي الذي قام به من خلال اشرافه العلمي على هذه الدراسة واخراجها بالشكل  
الذي ترون. كما نوجه شكرنا للاستاذ عمر مسلم على قيامه بالتدقيق اللغوي  
والأنسة امانى مصلح التي طبعت احرف هذا الكتاب. كما واتقدم بالشكر الجزيل  
لاهالي قرية بيت نبالا الكرام المتواجدين على ارض الوطن وفي الاردن على  
حماسهم ازاء انجاز هذا الكتاب ودعمهم للمؤلف عبر تقديم الشهادات الغنية للرواة  
وقيامهم بتزويد المركز بالعديد من الوثائق والصور.

عبد الرحيم المدور

مركز دراسة وتوثيق المجتمع الفلسطيني



## تقديم المشرف

عرفت الصديق العزيز احمد كايد منذ بداية الستينيات، عندما التحقنا معا بجامعة دمشق، هو في قسم التاريخ وانا في قسم الجغرافيا. ومنذ ذلك الوقت، تجمعا وعدد من الطلبة الفلسطينيين خريجي جامعة دمشق علاقات وثيقة امتزج فيها الروحي بالاكاديمي بالمهني. عرفته وهو يروي بكل حب، واحيانا بتندر، التفاصيل عن الحياة في بيت نبالا واهلها. وقد كانت لهذه الاحاديث نكهة مميزة، خصوصا عندما كان يشاركه فيها زميل دراسة اخر لنا، هو عبد العزيز قطيفان، ابن بيت نبالا. لم تكن بيت نبالا بالنسبة لاحمد مسقط رأس فقط او موقعا في سهل او بنايات، بل كانت بيت نبالا بالنسبة اليه مرتبطة دائما بأبطالها العاملين في الارض او الكسارة او الكامب وغيرها من مجالات الحياة. وكانت نوادر اهل القرية تشغل حيزا مناسباً للدور الذي كانت تلعبه في حياة اهل القرية. وقد كنت اتابع بغبطة شديدة وباعجاب هذه الدقة في رواية التفاصيل، وهذا الحب الكبير الذي كان يغمر قلب شاب حرم من العيش والبقاء في قريته.

وتمر الايام وتتاح لي فرصة المشاركة في برنامج مركز توثيق ودراسة المجتمع الفلسطيني الكبير حول القرى المدمرة، فطرحت على الصديق د. صالح عبد الجواد، مدير المركز في حينه فكرة الكتابة عن قرية بيت نبالا. وفي احدى الزيارات الى عمان وبوجود صديقنا المشترك منذ ايام الدراسة في دمشق د. كمال عبد الفتاح، احد مؤسسي برنامج القرى المدمرة المشار اليه، تم الاتفاق مع الاستاذ احمد كايد للكتابة عن قريته. وكأنه كان بانتظار هذه الفرصة منذ زمن طويل، فوجدناه يشحذ الذاكرة والقلم ويتجول بين المعارف والاصدقاء يستعيد ذكريات

وصورة بيت نبالا. فكان هذا الكتاب الذي يصدر بالتزامن مع احياء اهل القرية لمرور خمسين عاماً على رحيلهم الذي طال عن القرية. فقد حالت اسرائيل وتحول ومنذ البداية، دون عودة اي من اللاجئين الفلسطينيين تطبيقاً لسياستها في احلال شعب مكان الشعب الاخر واقامة دولتها على حساب الشعب الاخر وليس بجواره.

جاءت هجرة اهالي بيت نبالا عن قريتهم في ١٣/٧/١٩٩٨ ضمن الدفعة الثالثة من الهجرة الفلسطينية عن الوطن التي وصل عددها ما بين كانون الاول لعام ١٩٤٧ وتشرين الثاني لعام ١٩٤٨ الى اربع دفعات. وتلت الدفعة الثالثة قرار الحكومة الاسرائيلية الواضح والصادر في شهر حزيران ١٩٤٨ الراض لعودة اللاجئين الفلسطينيين، بالرغم من مطالبة الامم المتحدة. وقد ارتبطت هذه الهجرة بعملية اجلاء اهالي مدينتي اللد والرملة بالقوة من قبل القوات العسكرية الاسرائيلية والقيام بمذبحة الجامع في اللد (٢٥٠ شهيداً)، مع ان مدينتي اللد والرملة تقعان ضمن حدود الدولة الفلسطينية، وفق قرار التقسيم الذي وافقت عليه الحركة الصهيونية، والذي بموجبه تم الاعتراف بها فيما بعد في الامم المتحدة.

بمعنى اخر اصبح المخطط الاسرائيلي في هذه المرحلة اكثر وضوحاً بعد الانجازات العسكرية المتحققة، وبدا الا حدود هناك للاطماع التوسعية، خصوصاً بعد ردود الفعل العالمية السلبية او الميئة، على ما ارتكبوه في حق الشعب الفلسطيني من عمليات طرد واحتلال للاراضي، وتهجير عشرات الآلاف من سكان المدن والقرى. فشهدت هذه الفترة وتالياً، تصعيداً عسكرياً وتصميماً على احتلال اكبر مساحة ممكنة من الارض الفلسطينية وتطهيرها عرقياً من السكان الفلسطينيين. وفي سبيل ذلك عملت السلطات العسكرية الاسرائيلية على :



١- ارتكاب مجموعة من المجازر في العديد من القرى ونشر الاخبار عنها بشكل واسع لبث الرعب في نفوس الاخرين، والتشجيع على الهجرة، في مسعى واضح لتفريغ المواقع السكانية من اهلها.

٢- في حالة عدم اخلاء السكان لمدنهم وقراهم كانت السلطات العسكرية تلجأ الى تهجيرهم بالقوة كما حدث مع اهالي اللد والرملة والمجدل والفالوجة وعراق المنشية وبدو النقب وبدو الشمال.

٣- قيام السلطات الاسرائيلية وبعد توقيع اتفاقيات وقف اطلاق النار النهائية ١٩٤٩/٤/٣، باخلاء المناطق الحدودية من السكان العرب اما بطردهم الى خارج الحدود او نقلهم الى مواقع اخرى وذلك بهدف تقليل نسبة العرب الذين ظلوا في الاراضي الفلسطينية المحتلة.

٤- قيام السلطات الاسرائيلية في بداية الخمسينيات، وبعد الاطمئنان الى ان ما ارتكبه بحق الشعب الفلسطيني من مجازر وطرده وتشريد قد مر دون عقاب، بتدمير ٤١٨ قرية فلسطينية وازالة اثارها عن وجه الارض، وذلك بهدف منع عودة اصحاب هذه القرى الى ديارهم والحيلولة دون تطبيق قرار الامم المتحدة ١٩٤٨ الذي ينص على تلك العودة.

نخلص الى القول بأن هجرة وتهجير الفلسطينيين وتدمير قرابة ٨٢٪ من القرى التي وقعت تحت الاحتلال الاسرائيلي عام ١٩٤٨ والتي تعادل ٤٩٪ من عدد القرى الفلسطينية القائمة في فلسطين في تلك الفترة، لم تكن مصادفة ولا هي نتيجة عفوية للحرب العربية - الاسرائيلية. ذلك ان الحركة الصهيونية قد عملت وبشكل حثيث، خاصة بعد دخول الانتداب البريطاني وصدور قرار عصبة الامم باقامة الوطن القومي لليهود، من اجل تحقيق هذا الهدف على كافة المستويات العسكرية والاقتصادية والاجتماعية. لقد جاء عام ١٩٤٧ وكان كل شيء جاهزاً تقريباً لاقامة

الدولة، بما في ذلك ضمان نتيجة اية معركة مستقبلية، لان التفوق العسكري الاسرائيلي على المقاتلين الفلسطينيين والجيوش العربية كان مضموناً من حيث عدد المقاتلين وعدتهم.

بالمقابل وليس من قبل تحميل الضحية المسؤولية، ولكن بدافع دراسة التجربة المريرة للشعب الفلسطيني واستخلاص الدروس المفيدة، نقول ان الشعب الفلسطيني وبسبب مباشر من عجز قيادته الوطنية وعدم تحمل الانظمة العربية لمسؤولياتها المطلوبة، لم يكن يع حجم المؤامرة المحاكاة ضده، لذلك لم يعمل بشكل جدي على تلافيتها او حتى التقليل من حجم المأساة التي ستصيبه. حتى القلة التي وعت حجم المؤامرة ودفعت باتجاه قبول الحل الوسط المطروح، قرار التقسيم، عوملت بجفاء وقسوة، لانها طالبت بأخذ موازين القوى بعين الاعتبار وحذرت من التمسك بالحق المطلق غير المدعوم بموازين القوى.

فبالرغم من ان تهجير وهجرة الشعب الفلسطيني استمرت قرابة العام وعلى دفعات، وبالرغم من ان القوات العسكرية الاسرائيلية حالت طوال الوقت دون عودة المهجرين، الا ان الهجرة استمرت، واعتقدت الغالبية الساحقة من المهاجرين ان رحيلهم عن ارضهم وبيوتهم وثمارهم لن يطول. لم تدرك الغالبية الساحقة ان هناك دولة قادمة لتحل محلهم وعلى ارضهم، وان غرباء سيحتلون بيوتهم ويستخدمون اثارهم، والا لتصرفوا بأسلوب مغاير. لم تكن اساليب التصدي والمواجهة الا بأكثر اشكالها بدائية، امام هيئة اركان للعدو وجيش متمرس في القتال، مر في مدرسة الحرب العالمية الثانية، وتزود بأحدث الاسلحة.



والسؤال الذي لم تتم معالجته بشكل ايجابي وجدي حتى الان، لماذا وكيف حدث ذلك؟ من يتحمل المسؤولية عن تشريد شعب بأكمله، بالاضافة الى المعتدي والغاصب ومن دعمه؟ وما هي الدروس المستوعبة من تجربة الماضي المريرة؟ تثبت تجربة الشعوب والتاريخ ان مسؤولية كبرى في رفع شؤون شعب ما او الانحدار به الى حافة الالم، تقع على قيادات هذا الشعب. وتجربتنا الفلسطينية خير شاهد على ذلك. بل والمفزع ان هذا الشعب الذي تعرض الى اقسى وابشع جريمة تشريد واقتلاع في النصف الثاني للقرن العشرين، لا يتحدث عن حجم مأساته. هذا الصمت الرهيب من يوقظة؟ وقصة المعاناة من يرويها؟ لعله وبعد قيام اول سلطة وطنية فلسطينية، ستتاح امكانيات الدولة وستكرس جهود العقول الجماعية لتسجيل حقيقة ما جرى، ومحاولة استخلاص الدروس والعبر.

اما فيما يتعلق بهذا الكتاب عن بيت نبالا، فمؤلفه بالاضافة الى كونه مربيًا للأجيال عمل في حقل التربية والتعليم قرابة ٣٥ عامًا، هو مؤلف للعديد من القصص القصيرة والاعمال الادبية الاخرى، مما ترك اثره على هذا العمل فجاء حديثه عن بيت نبالا مفعماً بالعواطف وغنياً بالصور الحسية عن الحياة في القرية. فقد جال الكاتب واستمع بعناية وشفافية للرواة، وسجل ما قالوا، ونقل عنهم بشكل فني جميل الاحداث التي مرت بها بيت نبالا، من معاناة على يد الانجليز اثناء ثورة ١٩٣٦، الى قسوة الحصول على لقمة العيش في معسكر بيت نبالا، الى قصص الرحيل، كما وروى برقة وشفافية ما جرى له وهو طفل صغير عندما اصيب بتشنج مؤقت في الوجه عرضه للكثير من التجارب المريرة التي كانت تحكمها قلة المعرفة.

وتحدث الكاتب بحرفية رفيعة عن الحياة الاقتصادية والاجتماعية في القرية، عن الزراعة وتربية الماشية، وعن الاعراس والحج وعن المدرسة والحرف المتعددة وغيرها من النشاطات الحيوية لاهل القرية، وكأني بروايته قد اعادت الحياة من جديد الى شوارع وبيوت وحقول وكسارات بيت نبالا.

وجاء هذا العمل بالمحصلة ليفي قرية بيت نبالا حقها ويعبر عن الوفاء والعرفان لقرية استمرت فيها الحياة بشكل متواصل قرابة سبعة قرون، تم بعدها اقتلاع اهلهام ومحوها عن وجه الارض على يد غزاة جدد. لكن تاريخ بيت نبالا، وكما هو تاريخ فلسطين ايضاً يشير ان الى ان اعادة اسكان فلسطين، قراها ومدنها، كان يتم في كل مرة ولو بعد انقطاع القرون، والمهم الا ننسى.

بقي لي ان اشير في نهاية هذه المقدمة، الى اني وعند مراجعة مخطوطة احمد كايد عن بيت نبالا، اطلعت ايضاً على مخطوطتين عن نفس القرية، وجدتا لدى مركز توثيق ودراسة المجتمع الفلسطيني، واحدة من تأليف الاستاذ سمارة الرنتيسي، والأخرى من تأليف الاستاذ صافي صافي كما اطلعت على كتاب بيت نبالا - دراسة في التاريخ والتراث من اعداد الاساتذة حسن قطيفان وموسى علوش. وقد ساعد الاطلاع عليها في استكمال الصورة عن القرية، مما كان له عظيم المساعدة لي في تحقيق ما اعتقدت انه الافضل في استكمال انجاز هذا العمل الهام.

د. وليد مصطفى



## المقدمة :

كانت طفولتي من ذلك النوع الذي يتعذر على الإنسان أن ينساه، فكانت واضحة الليالي والأحداث، وكان آخر عهدي عند نقطة تحول غيرت مجرى حياتي عندما رحلت عن قريتي بيت نبالا التي قضيت فيها صباي حين بلغت الثامنة في أول تموز عام ١٩٤٨، فقد ظلت قريتي عندي كفكرة بعيدة تلهب خيالي في الغفوة والحضور، وعاطفة مشتعلة تأتي على أسباب الغنى والجاه في ديار الخربة.

أذكر أنها كانت محاطة بالأودية الهادئة السحرية، والسهول الوادعة المنبسطة التي كانت تتموج في جنباتها رنات الناي والأرغول، وأغاني الرعاة وجامعات البقول وأقراص الجلة، وأهازيج الحصادين وقاطفي الزيتون.

لقد ظلت تلك الربوع في وجداني صلاة مجنحة ترفرف صباحاً فوق عمر الأجيال كلما ذكرت رعاة العجال يقودون قطعانهم نحو المروج، وتتصاعد مساءً عندما يعود الفلاحون من حقول الذرة والسّمسم ومحاجر الكسارات متقلين بغبار الخير، ترتسم على وجوههم راحة البال.

لقد كانت بيت نبالا مرتفع الأمان بين السهل والجبل، يلوذ بها مغاوير فلسطين كلما ضاقت بهم سبل الأمان ومنافذ الحرية أمام زحف الغزاة الطامعين عبر التاريخ، فكانت قريتي تجلس على تلة وديعة عند أقدام الجبال جلوس شاعر يروي ملاحم التاريخ بين الأبدية والأبدية، فظل اسمها عندي مثل كلمة علوية تهمسها الأرض في أذن السماء.

لقد زرت أطلالها عام ١٩٧٣، ولم أشاهد حجر بناء واحداً، حتى لا يروي للأجيال القادمة من أبنائها كلمة واحدة عن سر وجودها عبر التاريخ. وكطائر بجناح واحد درت حول نفسي بين كثنان الشيد والتراب الباقية من أثارها فتولدت في صدري كتلات من الضيم واللهفة، حتى إذا ما بلغت المقبرة توقفت فيها مأموراً بذات أثيرية وأطرقت خاشعاً مطبقاً اجفاني ثم رحت في غيبوبة تشبه غيبوبة الأنبياء، فشعرت بكرامتي التي قتلت في بلاد الغربية قد انبعثت متراحمة من قبور أجدادي حتى ملأت علي المكان بعزة النفس، وتمثل لي جامع القرية ومئذنتها التي تعانق الفضاء، وصوت مؤذنها الشيخ محي الدين يطوف بين السفوح والأودية فيرجع صدها كتهليل الملائكة، وغم خياشيمي دخان الطوايين الممزوج برائحة الخبز وشواء الطبخ ينبعث من أنية الفخار المدفونة في ساساتها، رأيت النسوة شاكلات الثياب رائحات غاديات بجرار الماء على رؤوسهن، والصبية يتبارزون بقصب الذرة المطروح على الطرقات كي تحيله أقدام المارة الى "قصول".

رأيت الصبايا في موكب العروس بثياب مطرزة على هيئة عروق وأغصان مرسومة على ثنايا أجساد مدمجة فصيحة تجمع بين فتنة الأنثى وجبروت الرجال، رأيت الكهول على ساحة المطامير يموجون في السحجة منتشين كالسكارى تتقاذفهم أمواج الفرحة والحبور، والشيوخ يجلسون على مقاعد حجرية يتسامرون والأطفال يتراكضون بين ظهرانيهم، رأيت الأباء يحصدون القمح والأمهات يجمعن الاغمار.

ان بيت نبالا لمجالس في المضافات حول النراجيل في ليال تغمرها هيبه العواصف ويجللها طهر المطر، وفتية يتسلقون أشجار الزيتون ويركضون مع السهول، وزغاريد نساء ترجع صداها جدران المغاور والكهوف، انها حقيقة بسيطة عارية اذا ما نظرت في حوض ماء ما رأيت غير ملامحها المنبسطة، انها



فطرة في أسرار الحياة، وشوق يلامس اليقظة في أذيال الغيب، انها في نفسي  
تنتصب كالبرج وتبتسم كالصباح.

بعد قليل داهمتني اليقظة اللعينة التي أفسدت علي غيبوبتي السحرية،  
وعدت الى نفسي، فوجدتني اقف بين الهشيم الجاف النابت بين أطلال خربة خلفتها  
مخالب الغيلان، فانهمرت من عيني الدموع التي انداحت مالحة على زوايا فمي،  
وتمنيت لو اتخذ من كهوفها معابد ادخلها بالروح بعيداً عن العيش في المخيمات التي  
أقامها لي العالم ملهاة كاذبة في ظل هذه المدنية السائرة على الدواليب.

ولكن عند حلول الكوارث فان القلوب الجريحة تتسول العزاء من حولها،  
فوجدت العزاء في تلول الشيد والتراب بعد الدمار تتعالى بهيبة وجلال نحو ازرقاق  
السماء، ووجدته في حماسة قلوب أهلها وعزم سواعدهم الذين يتغلبون على محيطهم  
أيما حلوا ويجتذبون القلوب إليهم أيما وجدوا. هؤلاء الذين ولدوا في المخيمات  
وتربعوا فوق صروح العلم. فهم السُّرج التي لا تطفئها الرياح والملح الذي لا تفسده  
الدهور.

ان دمار قرיתי في نظري. ليس مواتا لها. بل هو السبات العميق الذي يسبق  
النهوض مع الصباح. وقد علمتنا دورة الحياة ان البذور الصغيرة التي تختبئ تحت  
أطباق الثلج في فصل الشتاء، ما هي إلا حياة كامنة في قمقمها، لا تلبث ان تغدو  
أشجاراً ساهمة نحو الفضاء اذا ما صافحتها حرارة الشمس. وما الخرب المحيطة  
بقرיתי، سوى الا شاهد على نهوض الحياة وسباتها بالتناوب عبر الدهور. وقد  
وعظتني نفسي ان لا انظر الى ظلمة الليل، بل الى النجوم التي هي ما بعد الظلمة.

اني لأطلب المعذرة من ذكر بعض الألقاب التي يحاول أهلها الانسلاخ عنها في هذا العصر التياها، والتي اعتبرها بمثابة أوسمة على صدور أصحابها، تحفها من الخارج أطر من الشرف، وتضفي بوقعها نكهة طريفة على مجمل الحياة في القرية، ليس في بيت نبالا فحسب، بل وفي فلسطين جميعا، هذه الألقاب التي ترتفع شهرتها في سماء القرية اكثر من نداء أصحاب الجاه فيها، والتي لا تعرف القرية في كثير من الحالات إلا بذكرها.

كما وارجو المعذرة لورود بعض النوادر. التي يعتبرها البعض سطحية وتافهة، ولكنني مضطر لسردها، لأنها تجعل كل ما في القرية من جماد وأحياء ينبض بالحياة، فعجائب الدنيا السبع لم تتشكل عظمتها إلا من ذرات الرمل والماء التافهة.

واخيراً، فإني اضرع الى الله، ان لا ينشغل أبناء قريتي وأحفادهم عنها بالنظر الى بريق العز المغموس في تزيباق الذل والهوان في ديار الغربية، بل امل ان يظلوا شاخصين بعيونهم نحو تراب جذورهم. فقد وعظمتي نفسي، ان العمر يهون الأ ساعة، وتهون الأرض الأ موضعاً.

وقد تغنى بسهولة وربما تلك المواضع، ابن القرية، الشاعر الصامت : مصطفى حسن حمدالله النبالي، الذي غلّف سعير شوقه المتأهج لتراب أجداده بالصبر والحيرة والمناجاة، التي لا بد ان تقود في النهاية الى فسيح الأمل الذي يعقب الظلام مهما طال الأمد، فيقول في بعض أبياته من قصيدته : نظرة الى بيت نبالا من ديوانه : أين الطريق ؟



"بيت نبالا" نبضة في خاقي  
شاقني السامر في ساحاتها  
والمضافات بأهلي تزدهي  
وصباياها على البئر التقت  
ايه يا "جنداس" هل من عودة؟  
وأرى "الجلجل" يزهو بالحيا  
وعلى "الوسطة" يشدو معزفي  
أين اهلي؟ اترانا نلتقي؟  
نركب الموت لنفدي أرضنا  
نكسر القيد الذي كبلنا  
ندرك الفجر وان طال الدجى

توقظ الذكرى مساءً وصباح  
وليالي صيفها الغر الوضاح  
تمسح الهم بموزون المزاح  
تنشل الماء وتشدو بالصداح  
فاملّي الطرف من تلك البطاح  
و "ابا حولة" يعلوه الاقاح  
وبحضن "الميش" يحلولي المراح  
اخوتي قد شردوا في كل ناح  
إنما الموت طريق للنجاح  
قبل ان يورثنا منه الكساح  
كل ليل سوف يتلوه الصباح

وفي الختام، لا يسعني إلا ان أتقدم بأسمى آيات الشكر والتقدير لكل من فتح لي منزله وذكرياته، وقدم لي كل ما في حوزته من معلومات ساهمت في رسم صورة قريتنا الجميلة، التي ستبقى ماثلة في الأذهان ما دامت الحياة تدب على الأرض. وأخص بالذكر منهم. حسن سكيبة ومحمد ذيب عبد الكريم وهاشم السيد وحمودة شحادة وصالح عابد وأمنة العيشاوي، واحمد الشنطي، واحمد ومحمد سليمان داود ومعاذ نخلة.

المؤلف

احمد كايد

١٩٩٨/٤/١

## الفصل الاول

## القسم الجغرافي

الأرض التابعة للقرية والمحاذية لطرفها الغربي، نظراً لأهمية موقعها على عتبة ممر طبيعي يؤدي إلى جبال القدس ونابلس، هذا الممر الذي يقارب في أهميته معبر باب الواد الذي يربط القدس بمدينة يافا.

لقد نشأت القرية فوق رقعة منبسطة في الطرف الشرقي للساحل الأوسط، وترتفع ٨٥ متراً عن سطح البحر، وتتحصر بين ذراعي وادي شاهين وهما الوادي الشامي من الشمال ووادي كريكعة من الجنوب، اللذين حدّا من امتداد العمران والتوسع بهذين الاتجاهين مما جعل التوسع العمراني يمتد شرقاً وغرباً.

تحدها من الشرق أراضي قريتي قبية وبدرس، ومن الجنوب أراضي الحديثة وجنداس، والآخرى أراضي وقف ومستغلة من قبل أهل القرية. أما من الشمال فتحد القرية أراضي طيرة دندن وقبيه ودير طريف، ومن الغرب مدينة اللد ومطارها.

### المساحة:

تبلغ مساحة أراضي بيت نبالا ١٥٠٥١ دونماً<sup>(١)</sup>، وجميعها ملك لأهلها العرب، فيما عدا ٤٦٨ دونماً هي أملاك عامة مخصصة للطرق والأودية. وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها التي تنتمي إلى تربة البحر المتوسط الطفالية الحمراء (الحمقية)<sup>(٢)</sup>. يرفض أهالي القرية هذا التقدير لمساحة الأرض جملة وتفصيلاً، حيث قالوا إن مساحة سهل بيت نبالا وحده هي ١٥ ألف دونم، أما مساحة الجبل والوعر فتصل إلى عشرة آلاف دونم. وهذا موثق برأيهم عند كبار السن وأعضاء المجلس القروي قبل الهجرة، كما تقول الرواية الشفوية إن لهم



## الفصل الأول القسم الجغرافي

### الموقع واهميته :

تقع قرية بيت نبالا وفق احداثيات فلسطين على تقاطع خطي ١٥٥ شمال مع ١٤٦ شرق والتي تطابق تقاطع خطي عرض ٢٩°٥٩' ٣١ وطول ٢٦°٥٧' ٣٤ . وبكلمات اخرى تقع القرية على مسافة لا تزيد عن ٧ كم هوائي شمالي شرق مدينة اللد، وعلى بعد ١١ كم هوائي بنفس الاتجاه عن مدينة الرملة. ولكن الموسوعة الفلسطينية تقول بانها تبعد عن اللد حوالي ١١ كم وعن الرملة ١٥ كم. واذا ما اخذنا بعين الاعتبار الفرق بين المسافة الهوائية والمسافة على الطريق الارضية فاننا نعتبر الفرق منطقياً او قريباً من المنطق. وقد كانت هذه المسافة بين القرية والمدينتين المذكورتين مألوفة جداً لدى اهل بيت نبالا، الذين كانوا يقطعونها يومياً مشياً على الاقدام او على الدواب، او بواسطة العربات التي تجرها البغال، وذلك من اجل تسويق منتجاتهم الزراعية، او شراء ما يلزمهم، او لاجل الاستشفاء، او تجهيز العرائس وغيرها من الاحتياجات.

ومما يزيد في اهمية موقعها سهولة اتصالها بالمدن المجاورة كاللد والرملة، بطريق معبدة رئيسية تستمر نحو الشمال الى قولية وراس العين باتجاه قلقيلية وطولكرم ثم حيفا. وتربطها بالقرى المحيطة بها طرق عديدة معبدة او ترابية، كما ويرتبط خط سكة حديد رفح - حيفا بوصلة فرعية انشأتها حكومة الانتداب البريطاني خصيصاً لنقل الحصمة من كسارات القرية الى جميع انحاء فلسطين، ولنقل المواد اللازمة من والى المعسكر (كمب بيت نبالا) الذي اقامه الانجليز على

الأرض التابعة للقرية والمحاذية لطرفها الغربي، نظراً لأهمية موقعها على عتبة ممر طبيعي يؤدي إلى جبال القدس ونابلس، هذا الممر الذي يقارب في أهميته معبر باب الواد الذي يربط القدس بمدينة يافا.

لقد نشأت القرية فوق رقعة منبسطة في الطرف الشرقي للساحل الأوسط، وترتفع ٨٥ متراً عن سطح البحر، وتتحصر بين ذراعي وادي شاهين وهما الوادي الشامي من الشمال ووادي كريكعة من الجنوب، اللذين حدّا من امتداد العمران والتوسع بهذين الاتجاهين مما جعل التوسع العمراني يمتد شرقاً وغرباً.

تحدها من الشرق أراضي قريتي قبية وبدرس، ومن الجنوب أراضي الحديثة وجنداس، والأخيرة أراضي وقف ومستغلة من قبل أهل القرية. أما من الشمال فتحد القرية أراضي طيرة دندن وقبيه ودير طريف، ومن الغرب مدينة اللد ومطارها.

#### المساحة:

x تبلغ مساحة أراضي بيت نبالا ١٥٠٥١ دونماً<sup>(١)</sup>، وجميعها ملك لأهلها العرب، فيما عدا ٤٦٨ دونماً هي أملاك عامة مخصصة للطرق والأودية. وتتميز أراضيها الزراعية بخصب تربتها التي تنتمي إلى تربة البحر المتوسط الطفلية الحمراء (اللقية)<sup>(٢)</sup>. يرفض أهالي القرية هذا التقدير لمساحة الأرض جملةً وتفصيلاً، حيث قالوا إن مساحة سهل بيت نبالا وحده هي ١٥ ألف دونم، أما مساحة الجبل والوعر فتصل إلى عشرة آلاف دونم. وهذا موثق برأيهم عند كبار السن وأعضاء المجلس القروي قبل الهجرة، كما تقول الرواية الشفوية إن لهم



اراضي واسعة من ضمن اراضي القرى المجاورة مثل رنتيس وبدرس وقبية. (٣)  
وهذا في رأينا هو سبب الالتباس في تقدير مساحة اراضي القرية، ذلك ان المساحة  
المشار اليها اولاً هي تلك المساحة المسجلة في دائرة الاراضي لحدود قرية بيت  
نبالا وفق التقسيمات للاراضي التي جرت في دائرة المساحة الفلسطينية في  
الثلاثينيات على يد الانتداب البريطاني. اما فيما يتعلق بالاراضي التي تعود ملكيتها  
لاهالي بيت نبالا في القرى المجاورة فقد دخلت ضمن حدود تلك القرى، مع ان  
ملكيتها نبالية. ٢

#### جيولوجيا القرية (٤) :

يعود العمر الجيولوجي لجزء من الاراضي المكشوفة التابعة للقرية الى  
الزمن الجيولوجي الثاني، وبالذات الى الكريتاسي الاعلى، اي الى حقبة  
السينومنيان والطورونيان. وقد بدأت حقبة السينومنيان كما هو معروف قبل ٩٣  
مليون سنة تقريباً، والصخور التي تعود لهاتين الحقتين مكونة بالاساس من الكلس  
والدولوميت والمارل، وقد تشكلت كما هو معروف في بحار عميقة ويصل عمق  
طبقاتها الى ٣٠٠ متر (٥). وتشكل هذه الصخور الجزء الشمالي والشرقي من  
اراضي القرية.

اما الاراضي السهلية، فتعود الى الزمن الجيولوجي الرابع الذي بدأ قبل ١،٨  
مليون سنة. ويتكون السهل من لحقيات حديثة، حملتها الاودية النهرية والسيول من  
جبال نابلس والقدس والقت بها في السهل الساحلي لتختلط مع ما جاءت به التيارات  
البحرية القادمة من الجنوب من رمال وطن وظمي النيل، اضافة الى الرمال التي  
نحتتها الامواج الشاطئية للبحر والقتها بمحاذاة الشاطيء في ترسبات حديثة.

وهذه الآلية والعملية مستمرة ، الأمر الذي يجعل نسبة الكميات التي يفقدها السهل الساحلي من ترسبات اقل كثيراً من تلك التي يكسبها والمضافة اليه، مما يعني توسيع السهل الساحلي على حساب المرتفعات الجبلية شرقاً وعلى حساب البحر غرباً. اما انواع الترب التي تكونت فوق ارض السهل بفعل هذه العملية الترسبية فهي ترب طينية رملية، واخرى طفالية خفيفة، وهي في مجموعها تنتمي الى تربة تطلق عليها تسمية الحمرة التي تتصف بصلاحياتها للزراعة بسبب خصوبتها وتهويتها وحفظها للرطوبة. (٦) اما بخصوص انجراف التربة في السهل الساحلي فهو قليل نظراً لتواضع انحداره اذ تبلغ نسبة هذا الانحدار من الشرق الى الغرب اقل من نصف درجة. (٧)

### التضاريس :

تقع قرية بيت بنا لا على تلة ترتفع ٨٥ متراً عن سطح البحر كما اسلفنا، وهي محصورة بين واديين هما الوادي الشامي من الشمال ووادي "كريكة" من الجنوب. اما اراضي القرية فالجزء الاعظم منها يتبع للسهل والآخر للجبل، وتعتبر جميع اراضيها من الجهة الغربية من ضمن السهل الساحلي، وهي تمتد بطول ٣ كم من حدود مقبرة القرية الواقعة غربي القرية حتى اراضي مدينة اللد. وبعرض ١,٥ كم بين اراضي قريني دير طريف من الشمال والحديثة من الجنوب. اما الاراضي المحيطة بالقرية من الجهات الشرقية والشمالية والجنوبية فهي اراضي مرتفعة ، تمتد من الشمال الى الجنوب على طول ٢ كم ومن الغرب الى الشرق بمسافة ١,٥ كم. ومن اهم الجبال المحيطة بالقرية الباطن الشامي (النقارة) وروس المغاسل



وراس الاقرع وراس ابو يعقوب، وقد تنبسط بعض الاراضي بين هذه الجبال وتشكل مروجاً شبه سهلية مرتفعة مثل مرج السد ومرج الحيلة.

(من ذلك الوصف العام السريع يمكننا تخيل ورسم صورة لاشكال وسطح الارض هنا، فالمناطق السهلية تتكون من اراضٍ منبسطة، تتراوح ارتفاعاتها عن مستوى سطح البحر بين ٤٥ - ٧٥ م. وهذه المناطق مقطعة بالاوودية، وتزيد مستويات الارتفاع فيها كلما اتجهنا شرقاً.)

ومن هنا فان التلة التي اقيمت عليها بيت نبالا تشرف من الغرب على السهل الساحلي حتى البحر، ومن الشرق على السفوح الغربية لجبال القدس. وقد كان عمود ارسال محطة الاذاعة في رام الله يرى من سهول القرية بوضوح وبالعين المجردة خلال النهار. x//

تسمح طبيعة التركيبية الصخرية الكلسية بنشوء ما يسمى التضاريس الكارستية، حيث تتسرب المياه عبر الصخور الكلسية، وتذيب الاقل صلابتها منها، مكونة الوديان النهرية الداخلية والتجاويف داخل الطبقات الصخرية (الكهوف)، التي يدعوها سكان بلادنا بالمغر او المغاير. وفي بيت نبالا العديد من المغر المتفاوتة في الحجم، فمنها الكبير ومنها الصغير ومنها العام ومنها ذات المكانة الدينية واهمها:

١- مغارة السلطان عبد القادر : وهي مغارة داخل غرفة تابعة لمسجد القرية الرئيسي ملاصقة له، وفيها مقام السلطان عبد القادر الجيلاني. كان كثير من نساء القرية يقمن باضاعة السراج داخل المغارة كوفاء لاداء النذر.

٢- مغارة سلام : تقع في الجهة الشمالية الشرقية من القرية، ويطل بابها على الوادي الشامي من الجهة الجنوبية، وقد سميت بهذا الاسم نسبة الى سلام بن حرفوش الخزاعي، الذي سكنها مع أسرته عام ٤٥٠م بعد ان قدم الى القرية من الحجاز، اثر خلاف واقتتال مع بعض القبائل هناك. وهذه المغارة قريبة من بيت يوسف ابو عاقلية الذي كان يخزن فيها التبن حتى اصبحت من ضمن املاكه.

٣- مغارة البراغثية : تقع في الجهة الشرقية من القرية، وتبعد عنها حوالي ١,٢ كم على طريق بدرس، وهي تجويف طبيعي كبير في جبل مقابل لرأس الاقرع، ويفصل بينهما وادي كريكعة الذي تجري مياهه غزيرة ايام الشتاء محاذية للقرية من الجهة الجنوبية، والتي كثيراً ما كانت تقطع الاتصال ما بين القرية ونوادة السطح والبيوت القليلة القائمة عليها. والمغارة مرتفعة السقف وتتسع لحوالي ٣٠٠ رأس من الغنم. ويقول بعض اهل القرية بانها سميت بهذا الاسم لوجود البراغيث المتخلفة عن الاغنام. كما يعتقد بعض كبار السن، وهذا هو الادق على ما يبدو، بان رعاة تابعين لبراغثة قرى بني زيد كانوا يحلون فيها قديماً باغنامهم مع بواكير الربيع الذي ينبت في ارض القرية مبكراً بسبب دفء المنطقة، التي يقل ارتفاعها عن سطح البحر عن مائة متر، اضافة الى ميزة تربة القرية الطفلية الخصبة التي تحتفظ بالرطوبة اكثر من غيرها خاصة عندما تهب الرياح الشرقية الجافة في بعض السنوات.

٤- مغارة الصفارية : تقع ايضاً في الجهة الشرقية للقرية، وهي عبارة عن تجويف لاطيء في النصف الاسفل الشمالي لسفح راس الاقرع وتقابل مغارة البراغثية على الضفة الجنوبية لوادي كريكعة، وهي واطئة السقف لكنها عميقة ومظلمة في الداخل. وكثيراً ما اثارت هذه المغارة الرعب في قلوب اهل القرية وخاصة الرعاة الذين كانوا يتأخرون لتعشية ابقارهم بعد المغرب، لانها كانت مسكونة بالضباع الكاسرة التي كانت تخرج منها بعد مغيب الشمس. وقد كان بعض الرعاة يحتمون



بقطيع البقر اذا ما هاجمتهم هذه الضباع التي تخشى الاقتراب من البقر، حيث ساد اعتقاد طريف، انه اذا ما تعرض الضبع لنفخة من نفس البقرة فان شعره لا بد ان يتساقط. وكثيراً ما كان بعض المغامرين من اهالي قرية نعلين يأتون الى هذه المغارة في وضح النهار، ويدخلون فيها ويخرجون بعض الضباع بعد ان يخاطبونها بكلام خاص، ثم يذبحونها ويأكلون نصفها الايمن. وقد كان هذا يحدث بالرغم من ان الضبع حيوان مفترس، محرم لحمه، فقد ادى الجوع وسوء الاحوال الى انتشار اعتقاد في مناطق متعددة من فلسطين ان النصف الايمن من الضبع حلال اكله.

٥- مغارة ست النسب : وهي عبارة عن كهف يقع في الجانب الشمالي من التلة المقام عليها القرية، ولهذه المغارة مكانة خاصة في نفوس اهل القرية تصل الى حد القدسية، وقد كانت بعض نساء القرية يحلفن بحياة ست النسب، كما كانت غالبيتهن العظمى يذهبن لاضاءتها في معظم الليالي تقرباً منها او وفاءً لنذر في استقبال مولود او شفاء احد المرضى، او عودة محارب من رديف اليمن.

٦- مغارة النقطة : تقع الى شمال شرق القرية على حدود اراضي قرية قبية، وهي عبارة عن تجويف صخري يرشح من سقفه الماء على شكل نقاط، ولهذا السبب سميت بمغارة النقطة.

٧- مغارة الوطواط : تقع على طرف الوادي الشامي الى الشرق من القرية بحوالي ٢كم، وهي عبارة عن كهف طبيعي عميق ويبلغ ارتفاع سقفها عن الارض حوالي خمسة امتار، وعرضها من الداخل حوالي ستة امتار، كانت تعيش فيها الوطاويط وتعشش في جدرانها الحمائم البرية التي كانت تتعرض زغاليلها لعبث الرعيان.

٨- مغارة الضبعة : تقع الى الشمال الغربي من القرية، بالقرب من الطرنشة، لكنها في ارض قرية دير طريف، وهي مرتفعة وغير عميقة، تطل على الوادي الشامي من الجهة الشمالية، وتمر من امامها وصلة سكة الحديد التي تصل الطرنشة،

وكانت ابقار القرية عندما تكوكب، (أي يلسعها ذباب الابقار)، تلجأ الى هذه  
المغارة.

هذا عدا المخر الطبيعية الاخرى، مثل مغارة النقارة، ومغارة بيت كوف.



يعتبر مناخ بيت نبالا جزءاً لا يتجزأ عن المناخ السائد للمنطقة الغربية لوسط فلسطين بشكل عام، حيث البحر والسهل الساحلي من الغرب. ولكن لوجود القرية على تلة مرتفعة نسبياً تحيط بها تلال متفاوتة الارتفاع، فان جوها يميل الى الرقة. واذا كانت المدن الشاطئية تجلس على الحد الفاصل بين البر والبحر، فان بيت نبالا تجلس على الحد الفاصل بين مناخ السهل المفعم بالرطوبة وهواء الجبل النقي. وبغض النظر عن هذه الخصوصية، فان مناخها بشكل عام يعتبر معتدلاً ومنسجماً مع مناخ حوض البحر الابيض المتوسط الذي يمتاز بالاعتدال العام، وتدني فروق درجات الحرارة بين الليل والنهار، وبين الصيف والشتاء، والتي نادراً ما تصل حد الصفر في اشد السنوات برودة، وتقول آمنة العيشاوي : "كنا نذهب الى السهول، وسفوح الهضاب لجلب الحشيش للدواب، وقطرات المطر تتهمر فوق رؤوسنا (كب من عند الرب)، وكنا نعمل كيس الخيش في الذهاب على شكل زعبوط، نضعه على رؤوسنا ونغرق في البلل دون ان نشعر بالبرد الشديد، او تصيبنا لفحة هواء. كما تقول : باننا لم نكن نستعمل كوانين النار في فصل الشتاء الا نادراً. وفي الحالات التي تلد فيها امرأة، او تصيب الحصبة احد الاطفال، ولكن الرجال كانوا يشعلون النار في الكوانين في بيت الرجال من اجل النراجيل والتدفئة. اما داخل البيوت، فلم نكن نشعر بالبرد ابداً لان الجميع كانوا يطبخون في القدور على نار المواقد المنصوبة من طين الحور على حواف المصاطب. اضافة الى نفس البقر والدواب التي تنام معنا في قاع البيت. مما يجعل (الدفا جوه يسافك مسافكة)، ونام ولا ندري ما يدور في الخارج."

وإذا اردنا الدقة القائمة على الرصد العلمي الواقعي للمناخ في منطقة الرملة التي تقع ضمنها بيت نبالا، فاننا سنعتمد في رصيد المناخ في هذه المنطقة على محطة الرصد الجوية التي كانت قائمة في مطار اللد (الواقعة على تقاطع خطي ١٥٦ شمال و ١٣٩ شرق) والتي تقع على نفس خط العرض تقريباً وتبعد عن بيت نبالا مسافة ٦ كم نحو الغرب، ويصل ارتفاعها عن سطح البحر الى ٣٥ متراً.

فقد قدر معدل سقوط الامطار السنوي في هذه المحطة للاعوام (١٩٣١ - ١٩٦٠) ب ٥١٣ مم، كان نصيب اشهر كانون الاول وكانون الثاني وشباط منها، وهي اشهر الشتاء الحقيقية في بلادنا، ٦٧٪ من مجمل الامطار الساقطة. اما معدل عدد الايام الماطرة للسنوات ١٩٣٨ - ١٩٤٨ فقد وصل الى ٤٥ يوماً في السنة. اما فيما يتعلق بدرجات الحرارة، فمن المعروف ان شهر اب هو الاكثر حرارة في فلسطين "اب اللهاب". حيث سجل في مرصد مطار اللد اعلى درجة حرارة في شهر اب للسنوات ١٩٤٠ - ١٩٤٩ بما يعادل ٣١،٩ ووسطي ادنى درجة حرارة في نفس الشهر وصل الى ٢٠،١. اما نفس المعدلات ولنفس السنوات فقد وصلت وعلى التوالي في شهر كانون الاول الى ١٨،٢ و ٧،٥ ولشهر نيسان ٢٣،٨ و ١٠،١.

اما معدلات نسبة الرطوبة فقد قدرت وللأعوام ١٩٤٠ - ١٩٤٩ في شهر كانون الثاني ٧٠٪ وفي نيسان ٥٦٪ وفي اب ٦٢٪<sup>(٨)</sup> ووفق موسوعة المدن الفلسطينية، فان قضاء الرملة، ومن ضمنه بيت نبالا، يتميز بتكرار حالات سقوط حب البرد، اذ يتراوح معدل الايام التي يتساقط فيها البرد خلال السنة (٥ - ٨) ايام، وهو غالباً ما يحصل في منتصف فصل الشتاء، ولكنه لا يعلق على الارض بتاتاً.



ويعمل نسيم البحر على تلطيف درجة الحرارة اثناء النهار، اذ يبدأ تأثيره صيفاً على بيت نبالا بعد الساعة الحادية عشرة صباحاً، كما تعمل رياح الخماسين والشرافي المحلية على رفع درجات الحرارة، وخفض نسبة الرطوبة في الجو، والذي تسميه أمنة العيشاوي، بأيام الشرد او رياح السموم.

يمكن في المحصلة الاشارة الى ان المناخ في بيت نبالا ملائم لزراعة المحاصيل الحقلية، ولنمو الاعشاب الطبيعية الصالحة للرعي، ويؤكد ذلك وصول مجموع الاراضي المزروعة في القرية عام ١٩٤٥ الى ١٢١٥٨ دونماً، او ما يعادل ٨١٪ من حجم اراضي القرية<sup>(٩)</sup>. ووجود ١٥ الف راس غنم لاهل القرية عام ١٩٣٠، عدا عن الابقار والجمال. كما يعني الكم الهائل من مخزون المياه الجوفية التي بدأ اهل القرية باستغلالها عن طريق الابار الارتوازية في منتصف الثلاثينيات في مشاريع بيارات الحمضيات والخضراوات في سياق التغيير في النمط الزراعي، للتكيف مع السياسة البريطانية التي حاولت ضرب الفلاح من خلال مزروعاته التقليدية.

وتستطرد امنة العيشاوي وتقول: "في سنوات الخير كانت اوراق السمسم في فصل الصيف تكاد تعلق باصابع من يمسكها مثل اوراق الملوخية من شدة يناعتها الناجمة عن ربة الارض الرطبة. كما كان الخيال يكاد يتوارى في موارد الذرة البيضاء، قبل موعد قطاف عرانيستها".

## المياه (الابار والوديان) :

تتميز المياه الجوفية في منطقة الرملة بعذوبتها، والتي تعتبر اراضي بيت نبالا وخاصة السهلية منها، من ضمن هذه المنطقة التي تتصل مياهها الجوفية بعضها مع بعض. ويعود السبب في عذوبة هذه المياه الى عدم زيادة كمية الكلوريد المذاب فيها عن ٢٠٠ ملغرام/لتر، وهذا يعد سبباً رئيسياً في عدم تملح مياه الابار وقتها في التربة، مما ساعد على ازدهار الزراعة في هذه المنطقة منذ زمن بعيد. وتشكل مياه الامطار المصدر الاساسي لتغذية الخزانات الجوفية. (١٠)

لقد كانت بيت نبالا وارضها خالية من ينابيع الماء تماماً، ولا يوجد منها في القرية سوى الاسم الذي يتردد احياناً في الاغاني على لسان اهل الجبل، الذين كانوا يحلون ضيوفاً عليها، ويقضون اوقات سهراتهم بالغناء في دواوينها بحضور اهل القرية، هذه الاغاني التي رسخت في اذهان اهل البلد صوراً عذبة عن العيون، وورود الصبايا عليها، حتى اصبحوا يرددونها في اغانيهم. ورب اغنيات تتبعث من الخيال، لاكثر عذوبة من وصف الواقع. هذا ولم يرد ذكر لينابيع المياه في القرية سوى نقط الماء القليلة التي كانت قطراتها تتداح من سقف مغارة النقطة التي اخذت اسمها، كما كان بعض الرعاة يحفرون باياديهم في حصى وادي الصرار الذي يفصل بين اراضي القرية وارض الحديثة في الجهة الجنوبية، فيخرج الماء من بين الحصى، ويتجمع في الحفرة الصغيرة التي يشربون منها في حالة العطش. ولم يكن من مصادر للمياه لاهل القرية سوى الابار الارتوازية، وآبار الجمع فقط، والتي كانت مياهها تستعمل لشرب الناس، والمواشي، والاستعمال المنزلي، وسقاية الاراضي، من اهم الابار :



١- بئر البلد : ويعتبر المصدر الرئيسي لمياه الشرب في القرية، ويقع على مسافة حوالي ٥٠٠ م منها في الجهة الغربية عند المفصل بين السهل والجبل. وهو بئر قديم جداً لا يذكر احد متى تم حفره، ويزيد عمقه على اكثر من مائة متر، وقطره الدائري عن خمسة امتار، ولا يزيد ارتفاع حافته عن سطح الارض سوى نصف متر، وكانت جدرانه الداخلية المبنية من الحجر مدعمة بجسور حديدية متعارضة ومتوالية على مسافات متساوية لتحفظه من الانهيار والردم، كما كان مثبتاً بداخله سلم حديدي يمتد من فوهته حتى القاع. وكان بابه المكشوف يشكل خطورة كبيرة على الاهالي ومواشيهم، وقد سقطت فيه بعض الضبايا مثل اخت بدر سلامة وسلمى شنيور، كما كانت تسقط فيه بعض الكلاب والحيوانات البرية مثل الثعالب والنياص، مما كان يسبب الفتنة في مذاق مياهه، ويجعل اهل البلد "يعيفون" الشرب منه، حتى ينزل اليه احد السباحين لالتقاط هذه الجيف واخراجها منه، وكان الناس ينشلون الماء منه بواسطة دلو كبير مربوط بحبل طويل، يمر مع بكرة معلقة على بابه، حيث تمسك مجموعة من النساء طرف الحبل، وتسير به مسافة طويلة بقدر عمقه، حتى يرتفع الدلو عند الحافة، ويمسك به سليمان السعيد (الشبوب) الذي كان مسؤولاً عن البئر، حيث يملأ جرار النساء الفارغة التي تنتظر الدور، مقابل قرش او تعريفة يتقاضاها من النساء، واحياناً الخبز والبيض، وعندما تشح مياهه، كانت النساء كثيراً ما يتنازعن على الدور، ويمسكن بعضهن بشعور بعض (يتخافشن)، او يكسرن جرار الفخار جميعها اذا ما اشتدت المعارك فيما بينهن. كما كان يوسف محمد زين (طعيمة) يتناوب على البئر مع الشبوب.

وفي عام ١٩٣٠ طرأ تطور على وضع البئر، واصبح ضخ الماء منه يتم بطريقة الية، حيث قام احمد سليمان قطيفان والد الفخري، بالاتفاق مع اهل البلد بسقف باب البئر، وعمل خزان للماء بجانبه تحيط به حنفيات "داير ما يدور"، كما

تم اقامة غرفة كبيرة تضم الموتور ومطحنة قمح وحبوب آليّة، وكان يستخدم هذا الموتور لضخ الماء من البير عندما يفرغ الخزان، كما يستخدم لادارة المطحنة التي كان يقصدها اهالي القرى المجاورة مثل دير طريف والحديثة والطيرة وبدرس وقيية.

وتذكر النساء المتقدمات في السن، ان مياه بئر البلد كانت تشح في بعض السنوات، خاصة التي كانت تتميز بانحباس الامطار، مما يضطرهن لجلب الماء من بيارات قرية دير طريف القريبة، او الاعتماد على ابار الجمع في القرية والتي كانت تمتليء من مياه الشوارع في ايام الشتاء، وكان لون ماؤها في الغالب يميل الى الاصفرار، يسمونها (مياه الزبالة).

٢- آبار البيارات : وهي ابار ارتوازية، تم حفرها في عهد حكومة الانتداب، عندما طرأ تحول عند اهل القرية بادخال زراعة الحمضيات الى اراضيهم، اسوة بالقرى الاخرى في فلسطين التي غيرت من نمطها الزراعي، على اثر ضرب الفلاحين في محاصيل القمح من قبل حكومة الانتداب التي كانت تستورد الطحين من استراليا، وتطرحه في السوق المحلي بسعر اقل لضرب اقتصاد الفلاح الفلسطيني، حتى يعاف ارضه لاجباره على بيعها لليهود بعد افرازها وتفتيتها. ومعظم هذه الابار تم حفرها مع بداية الاربعينيات، نذكر منها : بيارة دار الحاج كايد حسين صالح وشركاه، دار احمد كمنة قطيفان ودار خليل صبحة قطيفان في ارض الوسطة التي اقيم عليها فيما بعد الكمب، واقتلع الانجليز اشجارها في السنة الاولى لتبشير اثمارها. وبيارة مصطفى حسن (جاسر فتولة) وشركاه ابو بكر قطيفان، ومحمد موسى صالح (والد موسى الرطانة) في سهل ابو شيبان وبيارة دار احمد مصلح في سهول بسامة. وبيارة دار زيد (دار العرايشي و خليل عيوش) في سهل ابو زهير الغربي، وقد قام



هؤلاء بحفر بئرهم على عمق اكثر من مئة متر، الا انهم لم يعثروا على ماء وفشل مشروعهم. كذلك بيارة دار شقديح (حكمت وظاهر) وشركاهم دار الحيت (طالب وحسن) في سهل جنداس غرب الكمب على طريق اللد بالقرب من اراضي المدينة، كما قام عبد الرحمن عربد واقرباؤه من دار صافي بحفر بئر، ولكنهم اختلفوا فيما بينهم وصرقوا النظر عن المشروع.

٣- ابار الجمع : وهي كثيرة جداً داخل القرية وخارجها. يصعب على الناس حصرها، فمنها ما هي داخل الاحواش، ومنها ما هي في الطرقات العامة والساحات، كما يوجد الكثير الكثير منها بين الحقول والخرب الاثرية التي تحيط بالقرية، ولم يذكر احد من كبار السن ان بئراً واحد قد حفرت في عهده مما يزيد في التأكيد بأن موقع القرية كان مأهولاً منذ القدم. ولكن اهل القرية كانوا يقومون بترميم هذه الابار كلما اكتشفوا واحد منها، التي تعتبر ضرورية لسقاية ماشيتهم ومزروعاتهم وجبل الطين من اجل البناء. وقد كانت مياه ابار الجمع البعيدة عن القرية انظف واصفى من مياه الابار التي بداخلها، كونها بعيدة عن اوساخ الطرقات والمزابيل، ولذلك كانت النساء ترد عليها لتغسل الثياب وتحمم الاطفال من مياهها. ونذكر من هذه الابار داخل القرية على سبيل المثال لا الحصر: بئر الخيل، بئر زاوية الحاج كايد حسين الذي لا يبعد كثيراً عن بئر دار قطيفان، وبئر في حوش دار سلامة، وبئر بالقرب من مضافة البلد، وبئر دار الحيت، واخرى بالقرب من دار السعيد عزيز وعبدالله حسان وابار اخرى قريبة من دور كل من العبد خليل وطه رضوان ونمر عربد وامين شاور وديوان دار محمد ياسين وداخل حوش دار محمد علي صالح وحوش دار ابراهيم، وبئر حسين شرق البلد وبئر البرشة في ارض دار دينه. اما ابار الجمع الاخرى خارج البلد فنذكر منها ما يقع في الجهة الجنوبية من اراضي القرية مثل: بئر

راس الاقرع على طريق بدرس، وبيرين في وادي خليف، وبير الخدر في بيت قوفا، وبير الخلّة، وبير البحر وعدة ابار في المنطقة المسماة باب القبلة. اما في الشمال فنذكر: بير التينة، وبير الخنزيرة، وبير شرين. ومن الملاحظ ان معظم هذه الابار كانت في المناطق المرتفعة، اما السهول فهي شبه خالية من ابار الجمع.

ولا ننسى ان نذكر اضافة الى هذه الابار بانه كانت هناك الوديان التي كانت تسير مثل الانهر في فصل الشتاء، وتجف في الصيف. مثل الوادي الشامي شمال البلد، ووادي كريكعة جنوبها، ووادي الصرار الذي يفصل اراضي بيت نبالا عن اراضي قرية الحديثة، والذي كان تياره مدمراً في سنوات المطر الكثيرة، حيث كان يجر معه اشجار الزيتون والماشية من القرى الجبلية التي ترفده جداولها، وتقول امنة احمد العيشاوي بانها رأت مياهه تجرف معها حماراً ميتاً ما زال حمله على ظهره. وواد الصرار يسمى عند نعلين باسم القرية، اما اهل شقبة فيطلقون عليه وادي رداسي. وعندما يلتقي هذا الوادي جنوب غرب بيت نبالا مع وادي نطوف، يشكلان معاً الوادي الكبير. ويجدر بالذكر في هذا الصدد ان اقدم حضارة في هذه المنطقة تعود الى حوالي عشرة الاف سنة قبل الميلاد، وقد وجدت اثار لها في مغارة نطوف في اراضي شقبة (١١).



## الفصل الثاني

### القرية عبر التاريخ

## الفصل الثاني

### القرية عبر التاريخ

#### التسمية :

يعتقد ان الموقع الذي اقيمت عليه القرية كان يسمى نبالات على زمن الكنعانيين، ولكن عندما اقام هؤلاء فيه مكاناً للعبادة اصبح اسم الموقع "بيت نبالات" انسجماً مع غيرها من اسماء القرى والمدن الكنعانية التي كان يسبق اسمها كلمة "بيت"، وهي كثيرة جداً في فلسطين، حتى ان اطلاق كلمة بيت على اماكن العبادة ظل دارجاً في عصور مختلفة. مثل : بيت الله الحرام، وبيت المقدس. وكما نلاحظ بأن اسماء المواقع التي اقيمت فيها امكنة للعبادة في العصر الروماني قد اخذت شكلاً اخر في التسمية، فاصبحت كلمة (دير) تسبق اسم الموقع، وعلى هذا الاساس فاننا نجد الكثير من القرى الفلسطينية يسبق اسمها كلمة "دير" مثل : دير غسانة، ودير عمار، ودير قديس وهكذا. ومن المعروف تاريخياً انه لم يكن للكنعانيين حكومة موحدة مستقلة في فلسطين، وقد اقتصر تواجدهم السياسي على ممالك مدينية صغيرة، لكل منها ملكها وكهنتها.

ولكن وعندما جاء العصر الروماني تم تحريف اسم القرية الى "تفلات"، وفي عهد الفتوحات الاسلامية اطلق عليها العرب "تلة نبالات". ولكن كلمة "تلة" هنا تعتبر صفة للموقع وليس اسماً مقروناً كأن يقال : جبال القدس، وجبال نابلس. فكلمة جبال هنا ليس من ضمن التسمية، ولكنها صفة للبلد التي تقع على مرتفع من الارض، ويعتقد ان تكون التسمية العربية "نبالات" استمراراً للتسمية الرومانية



"نقالات" مع الاخذ بعين الاعتبار اختلاف اللفظة لدى بعض الشعوب عند لفظ بعض الحروف المستعملة لدى شعوب أخرى، مما يضفي تحريفاً على بعض الكلمات والمسميات والذي يعتبر تحريفاً مألوفاً مع الزمن، ثم يفرض نفسه كواقع مقبول. وهذا ما ينطبق على كلمة "نبلاط".

أما ما يشاع بان اسم القرية قد اخذ من كلمة النبال التي كانت القرية تزود بها الجيوش الاسلامية فهو تزل ضعيف، والسبب في ذلك بسيط جداً وهو ان اسم نبالات كان معروفاً قبل وصول الجيوش الاسلامية الى فلسطين، هذا من جهة، ومن جهة اخرى فان النبال كانت تؤخذ عادة من اشجار ذات مواصفات خاصة تتميز بافرع تصلح لصنع النبال، ونحن لم يصلنا حتى الان ما يدل على ان الموقع كان مشهوراً عبر التاريخ باشجار غير الزيتون والتين والخروب التي لا تصلح اغصانها لعمل النبال.

وبالرغم من ان لاسمها وقعاً خاصاً على قلوب اهلها، الا انه اسم والسلام مثل بقية اسماء الاشياء المادية والمعنوية التي وجدت على ظهر البسيطة بل والكون جميعه. هكذا كان اسمها عندما غادرها اهلها مرغمين، ولكن وكرد فعل عفوي على شتات اهلها فقد ظل جميعهم ينتسبون اليها، وذلك باضافة كلمة النبال في نهاية اسمائهم. هذه الكلمة التي غالباً ما تنتزع الابتسامة من شفاه اهالي فلسطين كلما ترددت على سنتهم، لانها اصبحت مقرونة "بضرب الحجارة" عند المشاجرات التي كانت تقع احياناً بين اهلها الذين يرجعون في نسبهم الى جد واحد، مما جعل قرابة الدم تفرض عليهم ان يكونوا رحماً بينهم، وذلك باستعمال الحجارة في الطوشات بدلاً من السلاح الذي غالباً ما كان مجلبة للدمار على اهل غيرها من القرى.

## القرية عبر تاريخ فلسطين السياسي :

يرجع تاريخ القرية الاول على ما يبدو الى العهد الكنعاني. ويشهد على ذلك اسم بيت الذي يسبق نبالا، وكذلك كثرة الخرب والاثار المحيطة بالقرية، مثل الخربة الشامية وخربة بيت قوفا، ودسرة وبعنة وراس الاقرع، وقطاطو، وراس ابو يعقوب، الذي لا تزال اعمدته المضلعة ومصاطب الفسيفساء حوله تنتظر الحفريات. ويسود الاعتقاد في اوساط اهل القرية بان هذه الاعمدة، هي بوابة سور، او مدخل قصر، وتعرف عند اهل البلد باسم "خوابي الغولة" جمع خابية. كذلك وجود مقالع الحجارة التي تصلح للبناء والنواميس المحفورة في الصخور على هيئة احواض ماء او توابيت حجرية، كذلك اثار برك الماء المنحوتة في الصخر، والمتاثرة هنا وهناك، والتي يعتقد انها صهاريج ماء ثابتة، او معاصر زيتون وخمور. هذا عدا عن الابار القديمة والعديدة في كل مكان. الا ان عدم اجراء حفريات ودراسات اثرية في موقع القرية يبقي تلك الفترة مجهولة علينا.

اما اولى الاشارات التاريخية الدقيقة للقرية فتعود الى عصر المماليك، حيث اشير الى ان القرية بموقعها الذي كان قائماً عام ١٩٤٨ قد بنيت عام ١٢٩٢م، وذلك على انقاض خرب قديمة، تم تدميرها نتيجة حروب، في عهد سابق. تشهد على ذلك اثار الشعوب المتعاقبة التي سكنتها، كابواب الحجارة والاعمدة والنواميس الصخرية والقبور الارامية واثار الرومان التي يمكن توضيحها عن طريق الحفريات لمواقع الخرب المحيطة بالقرية، مثل الخربة الشامية وبيت قوفا ودسرة وبعنة وراس ابو يعقوب وراس الاقرع وقطاطو. واذا كان تاريخ اعادة بناء القرية الحالية قد تم ١٢٩٢، فمعنى هذا انها انشئت في زمن المماليك البحرية، وبالذات في عهد السلطان خليل الاشرف صلاح الدين المملوكي.



بعد هزيمة المماليك امام العثمانيين في معركة مرج دابق عام ١٥١٦م، دخلت فلسطين تحت الحكم العثماني، وقد ادركت الدولة العثمانية الموقع الذي تحتله بيت نبالا، فأقامت فيها نظارة تابعة للواء يافا الذي كان تابعاً لسنجق القدس الملحق رأساً بالباب العالي في استانبول، وكانت بيت نبالا مسؤولة عن عشر قرى. (١)

وفي النصف الاول من القرن التاسع عشر، هاجر بعض الفلاحين المصريين الى فلسطين تخلصاً من نظام الضريبة القاسي الذي فرضه محمد علي عليهم. وبعد حملة ابنه ابراهيم على فلسطين (١٨٣١ - ١٨٤٠) بقي فيها جزء من العساكر للسبب نفسه، وانتشروا في مواقع مختلفة في فلسطين ومنها قرية بيت نبالا، وقد اندمج هؤلاء مع سكان القرية الاصليين.

امتاز الحكم العثماني في اخر عهده بفرض نظام التجنيد الاجباري، فجنّد الكثير من شباب القرية، وذلك على حساب الفلاحة والزراعة، وقد صدر امر عام ١٨٦٦م، كلف بموجبه جميع المسلمين في الامبراطورية العثمانية، باداء الخدمة العسكرية لمن بلغ سن العشرين، ولمدة ٢٠ سنة موزعة على فترات : الاولى ٦ سنوات في السلك العسكري النظامي، و ٨ سنوات في سلك الرديف، والسنوات الباقية في سلك المستحفظ، ثم ارتفعت سنوات الخدمة الى ٢٥ سنة في اواخر العهد العثماني، وكان البدل العسكري ٥٠ ليرة عثمانية عن الشخص الواحد، الا انها كانت تفرض على المتمتع بالاعفاء ان يخدم خدمة رمزية تصل الى خمسة اشهر فقط. وقد خدم العديد من اهل القرية في الخدمة العسكرية التركية ووصل عدد من اهل البلد الى رتبة ضابط، نذكر منهم، موسى سليمان والد مختار دار النخلة المرحوم عطا موسى، وعامر محمد عامر من دار محمد ياسين، كما خدم برتبة

شاويش : محمد الاحول، من دار مبارك، ورتبة عسكري : صالح مصلح، واحمد محمد عابد (احمد قروعة)، وعلاء الدين عليان، وشحادة سلامة والد الحاج محمد شحادة، والعرابي محمد عرنة، وعبد القادر ايوب، والعبد القيسي، وغيرهم الكثيرين. وقد استشهد بعض من خدم في الجيش في حروب تركية المختلفة، كحرب روسيا وريدف اليمن، نذكر منهم محمد حسين صالح، والد فارس دامه، واخوه، حسن حسين صالح، والد جاسر فتولة، وراغب احمد صافي، وشاكر احمد صافي، ومحمد سلامة نخلة وعلي سلامة نخلة، وطايح نخلة، وغيرهم.

### العهد البريطاني :

ظلت بيت نبالا تابعة سياسياً للعثمانيين، حتى بعد ان سقطت اللد والرملة في ١٥ تشرين الثاني عام ١٩١٧م، اثر معركة حامية وقعت قرب عيون قارة، خسر فيها العثمانيون وتراجعوا شمالاً نحو القرى العرقية المرتفعة قليلاً مثل بيت نبالا، ومن هنا برزت اهمية موقع القرية الاستراتيجية للطرفين المتحاربين، نظراً لوقوعها على عتبة مدخل ممر طبيعي يربط السهول الساحلية بالجبال في وسط فلسطين، هذه البوابة المحمية من الشمال والجنوب بتلال مشرفة تتحكم في ذلك المعبر الذي لا يقل اهمية عن معبر باب الواد المؤدي الى القدس ، انتقل خط الجبهة العثماني - البريطاني بعد الهجوم الاول الذي شن في ١٩١٧/١٠/٢٩ من اطراف غزة الى خط جديد يبدأ من شمال يافا ماراً بالرملة وحتى اريحا فنهر الاردن، وهو الخط الذي شن منه الهجوم البريطاني الجديد في ١٩١٨/٩/٢٠ (انظر الخارطة المرفقة)، والذي اسفر في غضون خمسة ايام عن هزيمة كبرى للجيش التركي، واحتلال الجيش البريطاني لقيسارية ونابلس وجنين والناصره وحيفا وطبريا وعكا. حيث قام الجيش البريطاني بخدعة اوهم بها الاتراك ان هجومه الرئيسي سيتم عبر نهر الاردن ،



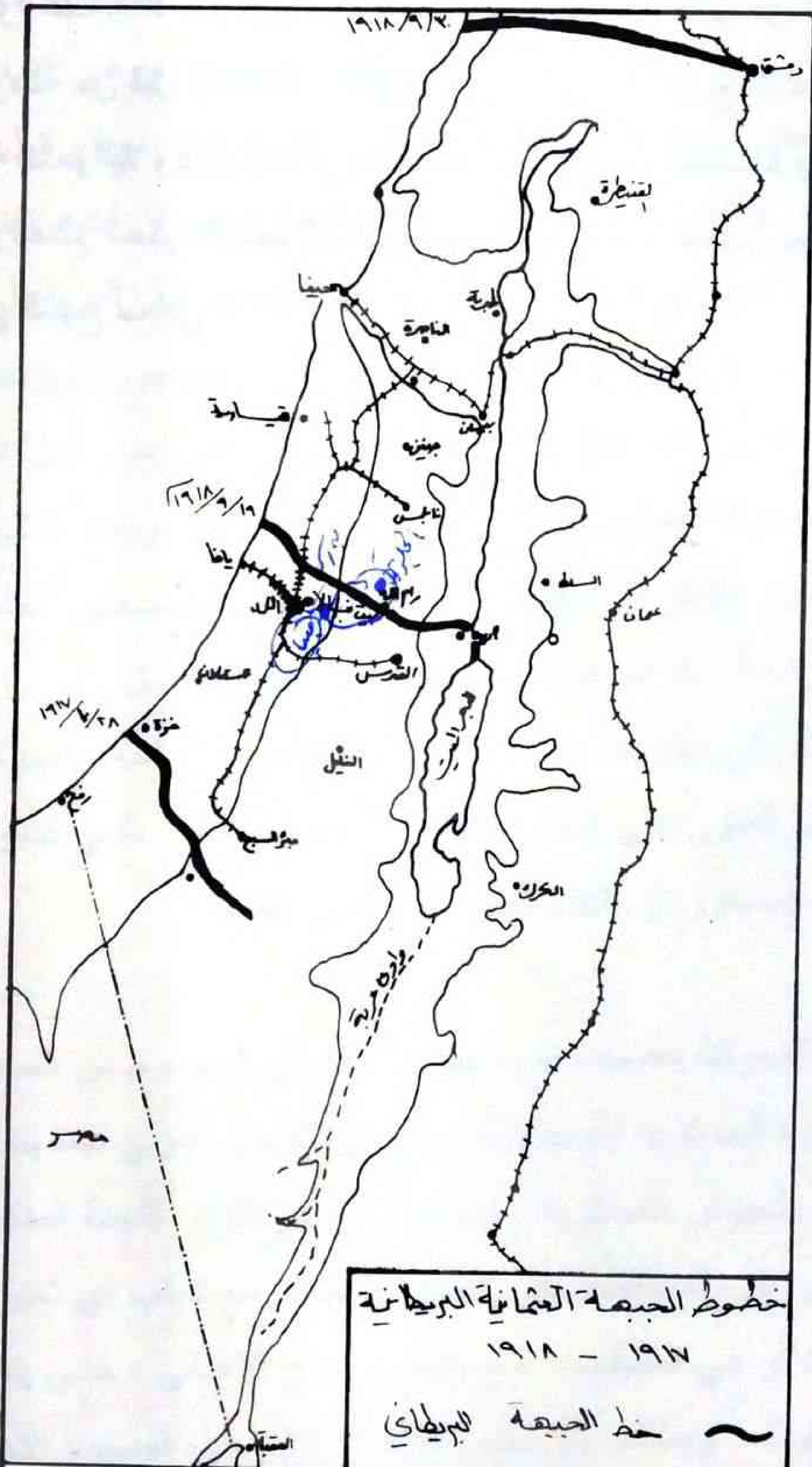
بينما ركزت قواته هجومها الرئيسية على خط الساحل والمناطق الجبلية. كان الجيش التركي في منطقة القرية وعلى خط الجبهة قد تحصن في التلال المحيطة بالقرية ، وقام بحفر استحكاماته وتحصيناته حول القرية، في مواقع الطبقة وابو فحم والخربة الشامية، والخربة البيضاء وابو فرو والنقارة بعد ان اعاد تنظيم صفوفه استعداداً لمعركة اخيرة في فلسطين . قام الانجليز بتهجير اهل القرية الى مدينة اللد بدعوى الحفاظ على حياتهم حيث اسكنوهم في الخرابات المهجورة ويواخير الماشية والبدو (معاصر الزيت البدائية). ويقول المتقدمون في السن من اهل القرية : انه قد قتل في تلك المعركة حوالي ١٨ الفاً من جنود الاتراك، وجد الكثير منهم في قبور جماعية. يجدر بالذكر ان الخسائر التركية في معركة فلسطين الحاسمة والتي بدأت في ١٩١٨/٩/٢٠ قد قدرت بحوالي ٧٠ الف اسير وقتيل (٢) . وعندما عاد اهل القرية من اللد الى ديارهم، صاروا يمارسون اعمال الزراعة والحراثة، اصبح من المألوف لديهم العثور على الكثير الكثير من جماجم القتلى التي كانوا يوارونها من جديد بجانب الصخور او داخل المغر او يعيدون دفنها.

بعد تلك المعركة خضعت قرية بيت نبالا كباقي قرى ومدن فلسطين لنفوذ الانجليزي والادارة العسكرية البريطانية، ومع ان القانون الدولي فيما يتعلق بادارة البلاد التي تحتلها الجيوش العسكرية وكما هو وارد في تقرير اللجنة الملكية لفلسطين لعام ١٩٣٧ ينص على المحافظة على الحالة الراهنة، مع تجنب اي تغيير جوهري في قوانين البلاد او في تطبيقها، مع عدم ازعاج الاهالي ، حتى يتسنى اقامة حكومة في تلك البلاد، ويطلب بان تكون فترة الانتقال هذه قصيرة الامد (٣) ، الا ان بريطانيا غيرت وبدلت الكثير من القوانين بالالغاء والاستحداث، مع محافظتها على نظام العشائر والحمائل والوجهاء. بل وابقوا المخاتير في مناصبهم واعطوهم رواتب شهرية قدرها صالح عابد بجنيه ونصف. ويبدو ان الانجليز قد ارتاحوا لهذا

الوضع، فابقوا عليه، إذ ان المختار مسؤول ومنذ عام ١٨٦٤م عن ابلاغ الانظمة والقوانين المرسله من قبل السلطات العليا الى الاهالي، وتبليغ الدعاوي، وابلغ مدير الناحية بالمواليد والوفيات، ومساعدة الدولة في القضاء والقبض على المطلوبين، واعلام الحكومة باحوال الاراضي. وكان يدير شؤون بيت نبالا زمن العهد العثماني الشيخ صافي



# خط الجبهة العثمانية - الانجليزية



مترجم في مركز الأبحاث

أعداد رسمها: عبد الرحيم المداور عن كتاب:

Howard M. Sachar,

The emergence of middle east,  
London 1969, P.240.

مصطفى محمد مبارك، ثم ابنه احمد صافي، وبعد وفاته، تبعه ابنه خالد الذي انتقل الى رحمة الله عام ١٩١٦م.

وفي زمن الانتداب، زادت بريطانيا عدد المخاتير للاشراف على شؤون القرية، وبما انها قد ارتاحت لنظام العشائر والحمائل، فقد عينت لكل حمولة مختاراً او اكثر، مثل مصطفى طه صافي لحمولة دار صافي، والحاج محمود حسين صالح لحمولة دار زيد، وحسين خليل يوسف (حسين خليل عيدة)، وعطا موسى سليمان لحمولة دار النخلة، واحمد عابد (احمد البرقة) لحمولة الشراقة. وقد تم في هذا الصدد الانتقال في نهاية العهد البريطاني خطوة الى الامام حيث تم في عام ١٩٤٤ تأسيس مجلس قروي يرعى شؤون القرية، ويشرف على بعض الامور الحيوية فيها برئاسة مصطفى طه خالد صافي، ونائبه الحاج محمود حسين صالح، وعضوية كل من عبد العزيز مبارك، وعطا موسى سليمان نخلة، واحمد محمود عابد وحسين خليل يوسف، وحسن خليل زيد (حسن خليل عيوش) (٤).

من اهم التغيرات التي حدثت في المرحلة الاولى من حكم الانتداب البريطاني والتي مست جوهر الحياة في القرية، مثلها بذلك مثل، معظم المناطق الريفية في فلسطين، هو ذلك التغيير الذي جرى على الزراعة والانتاج الزراعي الفلسطيني. وقد انطلق هذا التغيير من البرنامج الانجليزي التأمري على ارض فلسطين واهلها، والمتفق مع برنامج الحركة الصهيونية حيث شنوا حرب تجويع ضروساً على الفلاحين بالذات بما في ذلك فلاحو بيت نبالا، فمع مجيء الانتداب قامت الحكومة باغلاق المصرف الزراعي العثماني وهو البنك الوحيد من نوعه الذي كان موجوداً في فلسطين، وفرضت رسوماً باهظة على المنتجات التي تصدر



واهملوا شق الطرق التي تصل القرى بالمدن ما عدا التي تخدم مصالح الانتداب،  
وانشأوا دائرة التسوية لفرض فرز اراضي المشاع الذي يعيق ويعطل استيلاء اليهود  
عليها وسنت السلطات البريطانية قانون نزع الملكية اذا رأى المندوب السامي بان  
الارض لازمة لمشاريع انشائية واحتياجات عامة مثل الاراضي التي اقيم عليها كمب  
(معسكر) بيت نبالا<sup>(٥)</sup>. فسياسة الافتقار التي مارستها السلطات البريطانية ضد  
الفلاح، وضرب محصوله عن طريق منع استيراد البذار، وتصدير القمح حين  
يكون المحصول وفيراً حتى يزهد ثمنه ويضرب الفلاح لكي يبيع ارضه.

الا ان مجيء الانتداب حمل معه مظهراً اخر مناقضاً لاهل القرية، الا وهو  
تأمين فرص العمل في معسكر بيت نبالا بالاساس، حيث لم يدخل في البوليس  
الاضافي من اهل القرية سوى شخص واحد فقط صار عرضة لسخرية الاهالي، ثم  
لم يلبث ان ترك الوظيفة.

اقيم كمب بيت نبالا على جزء من اراضي القرية القريبة وذلك عام ١٩٤٠،  
على اراضي الوسطة وقطعة البير والقني والزغنية وجزء من قطعة البوسه، وكان  
من ضمن هذا المعسكر بيارة دار الحاج حسين صالح في ارض الوسطة التي بدأت  
تباشير ثمرها بالعطاء حين وضع الانجليز يدهم عليها، وقد سمح الانجليز  
لاصحابها بعد جهد جهيد بقطع اشجارها لاستعمالها حطباً للوقود كتعويض عنها،  
وقد كان هذا السماح مزاجياً يختلف من شخص الى اخر. وقد قال المرحوم خليل  
كايد حسين ان احد الضباط الانجليز سمح لنا بقطع اشجار البرتقال والليمون  
وحملناها على الجمل، وعندما وصلنا الى باب الكمب ونحن خارجون اعترضنا  
"السمران" الافارقة الذين كانوا يخدمون في الجيش البريطاني وضربونا ولكن  
لاحظهم احد الضباط الانجليز فخلصنا منهم.

حكم العلاقة بين بيت نبالا والانجليز عاملان : الاول ان الانجليز شكلوا مصدر رزق لاهالي بيت نبالا، بالرغم من الاستغلال الكبير الذي تعرض له هؤلاء عند انخراطهم في حركة العمالة، سواء في الكمب، او كمستخدمين في النافي في معسكرات الانجليز المختلفة. اما العامل الثاني فهو السلوك العسكري للانتداب الذي تميز بالصرامة الشديدة في ايقاع اقصى العقوبة على من يمتلك سلاحاً، وما ترتب على ذلك من مدهامات ليلية واعتقالات وازعاج وترويع للسكان الامنيين. ولكن مصدر الرزق الذي اوجده الانجليز لم يله الناس عن القيام بواجبهم الوطني الكبير. فعندما اشتعلت ثورة ١٩٣٦ في جميع انحاء فلسطين، شارك اهالي بيت نبالا كغيرهم في حمل السلاح، وانخرطوا مع الثوار من ابناء المدن والقرى المجاورة، وقد ساعدت في ذلك طبيعة ارض البلد الجغرافية واهمية مكانها وكثافة اشجارها، ووجود الكهوف من حولها، مما جعلها معقلاً للثوار، وخاصة ابناء السهول الساحلية. وكان من ضمن الثوار من اهالي القرية عبد الهادي محمد عابد، واخوه صالح عابد (ابو الاديب)، واحمد رباح وعفانة ياسين وغيرهم. اما من البلاد المجاورة فقد اشتهر الثوار سعيد حمودة من دير طريف، واحمد العودة من كفر الديك، والشيخ حسن سلامة من قويليه، ومحمد ياسين من رنتيس، وعلي شاهين وحافظ صقر من اللد، يقول صالح عابد ابو الاديب : "لقد شاركت مرة مع عدد كبير من الثوار لتطويق قرية صفا لقتل مختارها المتعاون مع الانجليز، ولكن اخته التي علمت بالخطة مسبقاً اخبرت مخفر رام الله بذلك، وحاول الانجليز الالتفاف علينا بطوق آخر، فهربت مجموعتنا الى قرية دير عمار، وكان معنا احمد العودة وتركي ذيب وجمعة كاملة، فكشفتنا طائرة واطلقت علينا النار من الجو بينما كنا



ندخل شقيف (مغارة) غرب البلد، والتي على اثرها اصيب جمعة كاملة بخوف شديد لعله كان سبباً في قطع الخلف وعدم الانجاب عنده، ثم انسحبنا الى قرية شبتين واختلطنا مع عمال معمل شيد من اجل التمويه. كما قمنا بنسف سكة الحديد تحت القطار الذي كان محملاً بالجنود الانجليز والتموين، وذلك على بعد كيلومتر واحد شمال مدينة اللد، وقد استشهد في هذه المعركة كل من محمد ياسين وحافظ صقر، وجرح الشيخ حسن سلامة الذي سافر الى سوريا من اجل العلاج، واثّر ذلك اصبحت الثوار عبارة عن مجموعات تقوم بعمليات فردية، الى ان عاد حسن سلامة من سوريا قبل شفائه تماماً حيث اشرف على علاجه الاطباء الفلسطينيون في القرى ومعقل الثورة، وبعدها تم تشكيل قيادات داخل فلسطين فاصبح الشيخ حسن سلامة مسؤولاً عن المنطقة الوسطى وعبد القادر الحسيني عن منطقة القدس". تشير بلاغات عدة للمجاهدين الفلسطينيين يوردها صافي صافي في دراسة حول بيت نبالا ان سكة الحديد تعرضت ما بين ٢٦ - ٣٨/١٢/٢٩ الى نسف وتخریب ٤ مرات من قبل الثوار (فصيل خالد بن الوليد). وفي هذه الاثناء قتل الانجليز الشهيد على السكسك في وسط القرية داخل دار علي العيشاوي في قطع التبن. وقد اختلفت الروايات حول مقتل هذا الشاب الثائر، حيث يقول البعض انه كان مختبئاً في التبن حين دخل عليه الانجليز وصاروا يغرزون التبن بالحربة المثبتة في رأس البارودة، ويقول آخرون بانه فضل اطلاق الرصاص على نفسه عن الاستسلام الذي يعقبه الاعدام، وبعضهم يقول انه خرج من التبن وقتل على مصطبة البيت، وبعد مقتله حمله الانجليز الى دار المختار الحاج محمود حسين صالح الذي انكر طوال الوقت وجود السكسك، والقوا بجثته داخل الحوش (في قاع الدار) امام المختار وعائلته وبناته واجبروه ان ينبطح فوق جثته وان يضع رأسه عند رأس القتيل حتى يقتلوه فوقه لانكاره وجود السكسك في القرية. وقام احد الجنود باطلاق الرصاص على رأس القتيل على السكسك فقط فتناثر الدم على وجه المختار الذي سبب له هذا



الترويع عقده في اللسان لمدة شهرين، بالإضافة الى مضاعفات مرضية اخرى، وهذا بشهادة ابنته الكبرى فاطمة الحاج محمود حسين التي كانت واقفة على الحدث تنظر بام عينها. لقد كان الانجليز يداهمون القرية في النهار وينزلون على بيوت المخاتير ليستفسروا عن تواجد الثوار والمطلوبين ويأكلون الدجاج واللحوم ثم ينصرفون بعد ان يكونوا قد زرعا الشك بين الثوار والمخاتير. ويقول ابو الاديب بانه كان بين الثوار شخص اسمه العزوني ونسبه الى قرية عزون، والذي كان يروع المخاتير الذين يفتحون بيوتهم لدوريات الانجليز، حيث كان بعض هؤلاء المخاتير ينامون على اسطح البيوت المتصلة بعضها مع بعض ليتمكنوا من الهرب عندما تصلهم الاخبار عن وجود العزوني في القرية، والذي كان يشاع عنه بانه يقتل على الشبهات، فكان وضع المخاتير في تلك الفترة حرجاً جداً، وقد عبرت فاطمة الحاج عن وضع المخاتير هؤلاء عندما اشارت ان والدها قد اكل روح الخل في تلك الفترة.

لقد ساهمت بيت نبالا في اضراب ١٩٣٦، اذ امتنع اهله كبقية الفلسطينيين عن التوجه الى اشغالهم في الكسارات التي كانت تزود المنطقة الوسطى في فلسطين بالحصمة خصوصاً التي يتم تحميلها بالقطار المعرض للنسف اثناء الثورة. كما ساهم اهل القرية في دعم الثوار بايوائهم واطعامهم اثناء الليل وتزويدهم بالطعام عن طريق الرعيان او النساء وذلك خلال وجودهم في الكهوف اثناء النهار. كما كانوا يمدونهم بالمعلومات والمال ليتمكنوا من شراء السلاح والعتاد خصوصاً السلاح الطلياني الذي كان يتم تهريبه من ليبيا عبر مصر وصحراء سيناء. وعادت الامور بعد توقف احداث ١٩٣٦ الى ما كانت عليه في السابق وبدأ الهدوء يسود، وعاد العمال والسكان الى اشغالهم بشكل اوسع من قبل، كما خلقت الحرب العالمية الثانية فرص عمل جديدة، الامر الذي تطلب استيعاب العمال حتى من خارج فلسطين مثل



العمال الحوارنه (من حوران) والمصريين والسعوديين والاردنيين وذلك بسبب ازدياد الطلب على الحصمة اللازمة لمنشآت الانتداب البريطاني والسكان الذين انتعشت احوالهم الاقتصادية.

## علاقة بيت نبالا مع اليهود :

لم يذكر المتقدمون في السن احداثاً بارزة او احتكاكاً ساخناً بين اهل القرية واليهود قبل عام ١٩٣٦، وكان يرد ذكرهم احياناً على السنة الناس خلال حديثهم العابر في مجالات الطب او التجارة او العمل، كأن تقول احدي الامهات بانها اخذت ابنها المريض الى يافا وعالجه الطبيب اليهودي بنيامين، او يرد على لسان صاحب كسارة انه نزل الى تل ابيب واشترى قطع غيار لماتور كسارته من عند شمعون بن عزرا، وكان يتخلل حديث اهل القرية بعض النوادر عن حياة اليهود الخاصة التي تتعلق بنظام حياتهم العائلية او لباسهم وقبعاتهم (كفاروية)، او بعض الكلمات التي تتبعث احياناً من افواه المتعصبين اليهود عن شرعية حقهم في فلسطين، اذا ما احتد النقاش بينهم وبين العرب. هذا النقاش الذي لم يثر حفيظة الناس البسطاء، ولم يعلقوا عليه اهمية تذكر، لجهل غالبيتهم بما كان يخطط له من مستقبل لفلسطين في المؤتمرات اليهودية التي عقدت في اوروبا والوعود التي منحت من بريطانيا اليهود، ولتفة السكان بعمق جذورهم في ارضهم وقراهم، خاصة وانه لم يكن اي تماس حدودي بين اراضي بيت نبالا واي مستعمرة يهودية في المنطقة. وكان الحديث عن وجود اليهود في فلسطين لا يميزه اهل القرية الا من الناحية الدينية التي لا تشوبها العداوة المطلقة، لدرجة ان بعض المستثمرين اليهود قد شارك سكاناً من القرية في مشاريع الكسارات او معامل الشيد (الجير). ونذكر في هذه الصدد اسماء لهؤلاء اليهود مثل بوكاج ودميانوس وهارون. وقد شارك بعض من هؤلاء الحاج



حسن علي صالح ومصطفى طه صافي، كما ان حكومة الانتداب قد عينت طبيباً يهودياً للمركز الصحي في القرية، وحددت له اياماً معروفة لزيارة القرية. ولكن بدأت، بعد ثورة ١٩٣٦ وما تبعها من وعي سياسي في اذهان الناس، الهوة تتعمق بين العرب واليهود، وقد ترتب على ذلك بروز حالات عدم الثقة وبالتالي عمليات الفرز واللملمة والحذر. لم يحل ذلك دون استمرار علاقة العمل التي حكمت الطرفين بسلاسل تعتبر ضرورية من اجل التطوير في البناء والتجارة كأي علاقة بين قوميتين تعيشان في بقعة واحدة. وقد زاد الارتباط والاحتكاك بين سكان القرية واليهود بعد ان انشأ الانجليز الكمب عام ١٩٤٠، والذي استقطب الكثير من العمال اليهود والعرب الذين كانت غالبيتهم من بيت نبالا وبعض القرى المجاورة. وقد اجمعت الروايات ان اليهود شغلوا في الكامب وظائف ارفع من التي شغلها العرب. حيث كانوا يحتلون وظائف امناء مستودعات ومراقبي عمل (تشيكر)، اما الغالبية العظمى من العرب فكانوا يشغلون الاعمال الشاقة. ومن خلال الاحتكاك اليومي بدأت تفوح روح العنصرية خاصة من اليهود الوافدين من اوروبا او من البلاد العربية والذين قدموا الى فلسطين ليشغلوا مكانا على حساب الشعب الفلسطيني.

وفي عام ١٩٤٥ وقع حادث مؤلم في الكامب لشاب من دير طريف وهو المرحوم جميل سعيد حسن نصره الطريفي من عائلة دار درس. وكان هذا حسب رواية صالح محمد عابد يعمل في الكمب بوظيفة امين مستودع في مخزن للبراغي والصماويل، وكان متعلماً ويتكلم الانجليزية بطلاقة. "وفي يوم من الايام دخل عليه حارس يهودي يعمل في البوليس الانجليزي وييده موسى، وبكلام عادي سأله جميل الطريفي : لماذا تحمل هذا الموس؟ فاجابه الحارس اليهودي : لكي اقتل به المفتي تبعكم (الحاج امين الحسيني)، واشتد النقاش بين الطرفين وتطور الى صراخ - انسحب اليهودي بعدها وكنت اراقب النقاش بين الاثنتين عن قرب دون ان اعرف



معناه بجهلي باللغة الانجليزية، وخننت انه خلاف حاد عن طريق اشارات الايدي  
وتعابير الوجوه. وبعد ان انصرف الحارس اليهودي سألت جميل عما دار بينهم،  
فشرح لي القصة، وقلت لجميل اني سأذهب الى الميجر الانجليزي لاتقدم بشكوى  
ضد هذا اليهودي الذي يسبب لنا المضايقات فوافقني جميل على ذلك، وبالفعل ذهبت  
الى مكتب الميجر ولكن مساعده قال لي انه مشغول و عليك الانتظار قليلاً، ولكنني  
لم انتظر ورجعت الى عملي، وبعد قليل جاءني مساعد الميجر الى مكان عملي  
وقال لي : لماذا لم تنتظر الميجر كما قلت لك؟ لقد فرغ من عمله وهو ينتظر  
الان، فذهبت انا وجميل معاً وقابلنا الميجر وشرحنا له عما نتعرض له من استفزاز  
من هذا الحارس بالذات، ففهم الميجر الموضوع ووعدنا بنقل الحارس اليهودي الى  
مكان بعيد عن عملنا. وبالفعل تم نقله الى قسم اخر يسمى (الورك شوب) ولكنه ليس  
ببعيد كما تصورنا، وبعد اربعة ايام من هذا الحادث وعندما ضرب الزامور في  
تمام الساعة الرابعة بعد الظهر معلنا انتهاء دوام العمال كنت انا عند جميل عندما بدأ  
يغلق المستودع الذي كان يعمل فيه، وقال لي سوف اذهب لتسليم مفتاح المستودع  
الى الضابط الانجليزي المسؤول عن جميع امناء المستودعات وكان اسمه  
(بورمان). وغادرت المكان للخروج من باب الكمب عائداً الى القرية، وبعد ان قام  
جميل بتسليم مفتاحه الى الضابط الانجليزي كان الحارس اليهودي بانتظاره في  
مستودع اخر مسؤول عنه يهودي اخر اسمه (موسى فلاشر)، فقام الاثنان بمفاجأة  
جميل عند باب المستودع وامسكا به ووضعوا على رأسه كيساً من الخيش وخنقاه ثم  
حملا جثته والقيها بها في حفرة مراحيض امتصاصية بعد ان خلعوا بلاطتها من  
مكانها ثم اعادها كما كانت. وقد شاهدهما عامل عربي من قرية شقبة، وقد كتم  
هذا السر في البداية خوفاً على حياته، واستمر اختفاء جميل ثلاثة عشر يوماً دون  
ان يعثر له على اثر. وكان المرحوم يردد دائماً قبل مقتله بانه يريد ان يسافر الى  
بيروت لاكمال تعليمه، وسافر جماعة من اقاربه الى بيروت للاستفسار من ابن



القرية مصطفى سليمان امنة الذي كان يدرس في الجامعة الأمريكية انذاك عن جميل، ولكن مصطفى سليمان افادهم بانه لا علم له عن جميل. وقفل الجماعة عائدين الى دير طريف دون فائدة. وبعدها لجأ اهل جميل الى احدى العرافات التي قالت لهم بان جميل لا يزال موجوداً في الكمب. وعندها طلب الشيخ عطا وهو مختار دير طريف، من ادارة الكمب المساعدة في البحث عن جميل تحت رزم الاخشاب وركام الحديد وفي المستودعات وفي كل مكان داخل الكمب، ولكنهم لم يعثروا على شيء. وفي النهاية خطرت في ذهني فكرة البحث عنه في الحفر الامتصاصية، فلاحظت بان احدى البلاطات كانت قد اعيدت الى مكانها بعد خلعها، فنظرت من فتحتها الى اسفل فوق بصري على طرف المشمع الذي كان يلبسه جميل ايام الشتاء ليحمي ملابسه من البلل وقد كانت ايامها ايام ربيع، واخذت قضيباً من الحديد ورحت احرك به بين الاوساخ في اسفل الحفرة، فتأكدت من وجود الجثة وقلت لهم هذا هو جميل. وبعد ان تم انتشال الجثة وشاع الخبر في الكمب انطلقت بين العمال شرارة الغضب فهجموا على اليهود بالمواسير وقضبان الحديد والخشب وتم قتل سبعة منهم، فتوجه بقية اليهود في الكمب الى مستودع السلاح في محاولة للاستيلاء عليه ولكن الميجر امر بتشديد الحراسة لمنعهم من الوصول اليه، ويقال بانه قتل منهم ثلاثة عندما حاولوا اخذ السلاح عنوة. وقد تعطل العمل يومها في الكمب وغادر جميع العمال الى قراهم لمنع وقوع المزيد من العنف، ثم حضر دكتور من الرملة ومعه انجليز مسلحون واخذوا معهم الجثة الى مدينة الرملة لفحصها. وفي اليوم الثاني سلموها الى اهله في دير طريف، وقد حضر معظم العمال جنازته التي كانت مهيبه وكان من المفروض ان يحضر الجنازة الميجر ولكنه تراجع في اللحظات الاخيرة خوفاً من ثورة الخواطر التي من الممكن ان تسبب له الازى. وفي اليوم الثالث رجع العمال الى الكمب، ولكن ادارة الكمب قامت بترتيب جديد على الباب الغربي عند حاجز التفتيش بحيث يتم تفتيش العرب



على جانب من الباب وتفتيش اليهود على الجانب الاخر خوفاً من الاحتكاك، وفي نفس اليوم حضر الى الكمب مفتش جرائم واسمه وديع مسعد ليقوم بالتحقيق في مقتل اليهود ولكن الميجر الانجليزي نصحه بعدم نبش بؤرة التوتر من جديد. من هنا ترسخ التوتر والحقد بين العرب واليهود، وصار كل عامل من الطرفين لا يبتعد عن جماعته، وساد التعامل بينهم الحذر المطلق، وقد تم تعيين امين مستودع عربي بدلاً من جميل واسمه محمد حسب الله من يافا".

وبعد هذا التاريخ بدأت المناوشات بين العمال العرب واليهود خصوصاً خارج الكمب بعد انتهاء الدوام او قبل الدخول اليه.

بعد ذلك بدأت الاخبار تتوارد عن وقوع احداث في معظم انحاء فلسطين، وبدأ اليهود يشددون من الحراسة على مستعمراتهم واصبحت الطرقات غير امنة لهم، وصارت المنظمات اليهودية تزيد من استعدادها للمواجهة مع العرب، واصبحت بعض المستعمرات المحاطة في وسط عربي محاصرة نفسياً ولا يجرؤ سكانها على المجازفة في الخروج منها. ومع استعداد الانجليز للرحيل عن فلسطين اشتدت المواجهات الفعلية واصبح الكثير من اهل القرى يحملون السلاح لمواجهة عصابات اليهود التي هي مسلحة اصلاً تحسباً لهذه المواجهات التي كانوا يتوقعونها مسبقاً. وصار الناس يسمعون عن اعتداء اليهود على القرى العربية وعن تعاون اهالي هذه القرى للرد على هذه الاعتداءات. وكان يوجد الى الجنوب من اراضي القرية بالقرب من قرية الحديثة مستعمرة اسمها (بن شيمن) معروفة باسم (قباينة بن شمن) وقد انعزلت هذه المستعمرة عن بقية المجتمع اليهودي فنفتت منها الاغذية، وقد طلبت بعض المنظمات اليهودية من الانجليز مرافقة وحراسة قافلتهم التي ستنتقل من تل ابيب مروراً بسلمة والخيرية وساكية وكفرعانة والعباسية ومطار اللد

التي تحمل المؤن والذخائر الى مستعمرة بن شيمون المذكورة، وقد وصل اهل بيت  
نبالا الخبر فاستعد الكثير منهم لاعتراض القافلة التي ستمر حتماً من الطريق  
الرئيسية المحاذية للقرية والتي تمر من باب الكمب. وقد نقصت الخبرة الكافية  
هؤلاء الشباب حيث تترس الكثير منهم خلف حجر على جانب الطريق او في مكان  
مكشوف للنيران، وعندما بدأوا باطلاق النار على قافلة اليهود المحروسة  
بالمصفحات والعاكر الانجليز رد عليهم حراس القافلة بعنف، ويقال بأن المصفحة  
كانت تدهم الحجر الذي يختبئ خلفه الشاب، وقد سقط في تلك الموقعة عدد من  
الشهداء نذكر منهم :

١- خليل محمود صافي ٥٠ سنة، كان مسلحاً ويؤمن بالقتال ويتمنى ان يموت  
شهيداً.

٢- ايوب عبد القادر ايوب ١٨ سنة وكان مسلحاً. وقد رفض والده ان يغسل دم ابنه  
من على يديه حوالي مدة شهر من شدة حبه له.

٣- موسى رشيد خليل البوله ٤٠ سنة كان مسلحاً.

٤- علي عبد المجيد طه ١٨ سنة كان راجعاً من فلاحه الارض.

٥- شحادة ٣٥ سنة وهو من قرية بيت نتيف وكان مرابعا عند ظاهر شقديح

كما القي القبض على سرحان عبيدالله وعلى محد قاسميه واحمد سليمان  
امنة الذي جرح في هذه المعركة، وتم نقلهم الى مخفر اللد الذي كان قائده اديب  
الفارس من قرية طولوزة، وكان نائبه الشاويش عمران عمرو. وقد اطلق سراح  
الثلاثة في اليوم التالي.

ومع رحيل اخر جندي بريطاني عن فلسطين، اصبحت جميع البلاد على  
كف عفريت، وتصاعدت حدة المعارك، بين الفلسطينيين وعصابات اليهود، التي



كانت مشكلة من تنظيمات الهاجاناه وشستيرن، وعلى مستوى متقدم من الجاهزية القتالية، من حيث التدريب والسلاح الذي منحهم اياه الجيش البريطاني قبل رحيله عن ارض فلسطين. وصار من المألوف للناس سماع الاخبار مع اشراقه كل صباح عن هجوم اليهود على العباسية او كفرعانة او الهلمه (ولهلما). وقد قام الكثير من اهالي بيت نبالا بشراء البواريد والذخائر، بعد ان ضحى بعضهم بمصاغ زوجاتهم لتوفير المال. وكانت مجموعات منهم، تذهب في معظم الليالي، لمساعدة القرى التي يتم الهجوم عليها من قبل اليهود. وكان من المألوف لاهل القرية، ان يشاهدوا المسلحين من شبابهم، وهم عائدون الى بيوتهم عند كل صباح، او مع الضحى، بعد ان يكونوا قد ساهموا في المعارك بطريقة عشوائية مع اخوانهم في القرى المجاورة ضد اليهود المهاجمين. وكان على رأس هؤلاء المناضلين، الشيخ حسن سلامه، الذي اتخذ من قرية دير طريف في البداية مقراً له، بعد رحيل الانجليز مباشرة، ثم نزل الى الكمب، واتخذ من مكاتب الضباط الانجليز مقراً له ولاتباعه القياديين، امثال السعيد حسن عثمان وحسين خليل يوسف وصالح محمد عابد، واحمد عليان وعفانة ياسين وحميدان مخلوف من بيت نبالا، ومحمد عبد الحميد (ابو زكي) من العباسية، ومحمد العبد من المزرعة. وقد اصبحت جميع مخلفات الجيش البريطاني في الكمب، ملكاً للثورة، وقد سمح الشيخ حسن سلامه لاهل القرى من الشمال الى الجنوب بشراء هذه المخلفات، مثل المواسير والزينكو والاششاب والحديد والصاج، وكان البيع يتم بحمولة السيارة كاملة، وكانت نصف العائدات تذهب لدعم الثورة، ونصفها الاخر لاهل القرية، تعويضاً لهم عن الاضرار التي لحقت باراضيهم التي اقيم عليها الكمب. وعلى هذا الاساس، قامت كل حمولة من حمائل البلد الاربع، باخراج سيارة محملة بالمواد، بالتناوب والتساوي، وفي احدى المرات، قام ناصيف من حمولة دار النخلة، باخراج سيارة زيادة عن الحمائل الثلاث، فغضب لذلك علي طالب الحيت، وقام باطلاق الرصاص على اطارات

السيارة على باب الكمب، فارتطمت الرصاصات بالاسفلت، وارتدت على ساق  
مصطفى حسن حسين صالح (جاسر فتولة) فاصيب بجراح، وتم ارساله الى  
المستشفى في مدينة الرملة، ولم يخرج منه الا عشية ايام الرحيل وكانت ساقه لا  
تزال ملفوفة بالجبس.



تعتبر فلسطين حسب التقسيمات الجغرافية، من ضمن العالم القديم، التي توالى عليها الموجات البشرية المختلفة منذ درج الانسان على سطح الارض، فكانت محط انظار جميع الامم والاقوام التي انتظمت حول ملوكها على شكل دول وامبراطوريات، يطمع حكامها بالسيطرة على شعوب الارض القديمة، التي كانت معروفة منذ فجر التاريخ، خاصة وانها كانت تمثل الجسر البري الوحيد، الذي يربط بين قارات العالم القديم الثلاث، اسيا، واوروبا، وافريقيا. فكانت بذلك تلك الارض، مثل مواطن النمل، التي تسير في مساربها، فتدوسها اقدام الجيوش، وعربات الغزاة، التي كانت تعبر مفترق الطرق هذا على مر الدهور. ولا تزال بلادنا تعاني من هذه الظاهرة المتمثلة اليوم في الهجمة الصهيونية على فلسطين، وما ترتب عليها من مسح، وازالة تامة لكثير من القرى الفلسطينية. ويبدو أنه ولكثرة الويلات التي عانت منها الشعوب التي سكنت هذه الديار، ان نزلت فيها الديانات السماوية الثلاث، للتخفيف من تلك الويلات، وتهذيب قساوة البشر. هذه الاديان، التي انتشرت على ارجاء واسعة من العالم، نتيجة لموقع مهدها المتوسط الذي اختاره الله، بعكس الديانات الكثيرة الاخرى التي ظهرت في القارات وبقيت معزولة متفوقة على نفسها. ويمكن تشبيه ارض فلسطين بصورة اخرى، كرمال الشاطيء الناعمة المستوية، التي ترسم عليها الانامل خطوطاً فنية، فتأتي عليها موجات البحر العاتية لتمحوها من جديد.

وبيت نبالا، هي جزء من الارض الفلسطينية، وكان لموقعها المميز في الوسط، وتوفر شروط الحياة في محيطها، دافع قوي لتناوب الاستيطان في سهولها وتلالها، هذا التواجد، الذي ترك اثراً باقية، تعكس حضارة الاقوام التي توالى

على سكن القرية. فقبل ان تصل مخالب الغيلان الى معالم القرية قبل عام ١٩٤٨، كانت تقف اثارها شامخة، خالدة، ناطقة باصالة البقعة. فلا يمرن التاريخ على هذه القرية مرور الكرام، فقد دفعت الثمن غاليا ضريبة لموقعها.

ومن ابرز المقامات والمعالم الاثرية في القرية ما يلي :

١- مقام السلطان عبد القادر : وهو مسجد القرية الرئيسي، يقع الى الغرب منها، في الزاوية الجنوبية الشرقية من ارض المقبرة، له باحة واسعة، يقوم على طرفها الجنوبي بناء المسجد، بأروقه القوسية. اما المقام فيقع في الجهة الغربية منها، وهو عبارة عن غرفة كبيرة تفتح نحو الشرق، وينزل اليها بثلاث درجات، يتوسط مصطبتها قبر السلطان عبد القادر. ويحيط بالساحة من الجهة الشمالية سور طويل، على ارتفاع قامة الرجل، مشيد بالحجارة والشيد، كما تحيط بالساحة من الخارج شمالاً وغرباً، القبور العالية، المدلوسة ظهورها بالشيد على شكل بيضاوي. وتقوم المئذنة في الزاوية الشمالية الشرقية، وهي منفصلة عن بناء المسجد، اذ يبلغ ارتفاعها حوالي ٢٠ متراً، وهي حديثة العهد، وتم تشييدها في مطلع الاربعينيات، مبنية من الحجر القاسي المسمم، وقاعدتها مضلعة الشكل، يصعد بداخلها درج لولبي يفضي عند قمته الى منصة دائرية، محاطة بدرزين حديد، يدور فيها المؤذن بحرية. وتفتح بوابة ساحة المسجد الرئيسية نحو الشرق، ولا بد للداخل اليها، ان ينزل على درجات عريضة وواسعة على شكل مصاطب، تقع على يمينها بعض قبور الصالحين من اصحاب الكرامات من احفاد الشيخ امين، التي اقتصرت خدمة المقام والمسجد على عائلتهم، وتعود هذه الاسرة التقية في اصلها الى قرية البرير، الواقعة في وسط المنطقة الشرقية بين عسقلان وغزة. ومن هذه القبور، قبر الشيخ محمد حسن الشيخ امين، الذي توفي



وهو في ريعان الشباب دون ان ينجب اولاداً، وقد عادت ارملة الى قريتها الاصلية، دير طريف، وكان اهل البلد، يعتبرونه من العلماء الصالحين. كذلك قبر شقيقه خالد، الذي كان ضريراً، ولم يتزوج، والمتوفيان، هما اخوان الشيخ يوسف حسن، احفاد الشيخ امين، وكان تحيط بقبريهما شجيرات الخروع والسموة، وتستعملان في العلاج. لقد كان للسلطان عبد القادر مكانة خاصة في نفوس اهل القرية، وقد كانوا يقرنون الحلف به مع الذات الالهية، فيقولون (وحياة سيدي عبد القادر، والرب القادر).

٢- المسجد العمري : وهو مسجد قديم جداً، وقد سماه اهل القرية بهذا الاسم تخليداً لاسم الخليفة الراشدي، عمر بن الخطاب، رضى الله عنه. يقع بالقرب من دار مغاوش، في حارة دار النخلة، في الجزء الشرقي من البلد، وكانت الحمولة، تستغله كمضافة في كثير من الاحيان، خاصة بعد ان تم تحويل مضافة البلد الرئيسية الى مدرسة، اضافة الى فترات عقود كانت تهب على القرية من حين لآخر مخلفة وراءها زفرات من الجفاء الموسمي. وكان ضيوف دار النخلة ينامون فيه احياناً، وتخرج لهم عائلاتهم الطعام. وظل هكذا، حتى وجدت الدواوين، حيث اقتصر استخدامه للغرض الرئيسي الذي انشئ من اجله، وهو الصلاة.

٣- مقام الشيخ ابراهيم : يقع شرق القرية، بين دار اسماعيل الغزاوي ودار عبد الجليل عودة.

٤- مقام سعد وسعيد : يقع في خربة بيت قوفا البائدة، القريبة من القرية، وهو عبارة عن بقعة صغيرة، محاطة باشجار السدر الكبيرة، يوجد في وسطها رواق صغير معقود يشبه المغارة، يضاء بسراج الزيت وفاء لنذر منذورة. وقد تشتت اهل هذه الخربة في اواخر العهد العثماني لظروف امنية، وقد لجأ بعضهم الى بيت نبالا، مثل دار علي نحلة، ودار سرحان احمد حسين، وبعضهم لجأ الى

قرية عجول قضاء رام الله، مثل دار العتريس، وذهب البعض الآخر الى قرية عارورة.

٥- مقام الصحابي الجليل، علي بن مالك، (سيدنا علي مالکينا) : يقع هذا المقام في الخربة الشامية، الى الشمال من القرية، في ارض دار عيسى صباحا. وهو من بقايا قرية مندثرة، وعبرة عن بيت قديم، مقام على قبر الصحابي الجليل، علي بن مالك، محاط بالابار الكفرية القديمة، واشجار الزيتون الكثيفة، ونباتات الحنظل، التي تنتج ثماراً يشبه البطيخ الصغير، طعمه مر كالعقم. ونادراً ما كانت تضيئة النساء ليلاً، نظراً لبعده عن القرية، ولوقوعه في مكان موحش تكثر فيه الحيوانات المفترسة، كالذئاب والضباع، وبنات اوى. وكانت غالبية النذر له تتم في العادة، عن طريق ذبح الذبائح بجانبه، حيث كانت بعض الاسر، تأخذ معها رأساً من الغنم، وتذبحه وتطبخه مع سميد القمح بالقرب من المقام، وتقدم الطعام لافراد العائلة والاصدقاء من المدعوين. وكانت بعض النساء، تقوم سنوياً بابقاء النذر بالذبيحة عند هذا المقام، مثل الحاجة مياسة، زوجة محمود دعوس، حتى يطيل الله من عمر ابنها الصبري، بعد ان فقدت قبله الكثير من الاطفال. كما ساد اعتقاد راسخ بين اهل القرية، بضرورة عدم قطع الاشجار القريبة من المقام على شكل حطب من اجل الوقود، لان ذلك سيكون مجلبة للمصائب وموت اطفال من يمس الاشجار بسوء.

٦- مقام ست النسب : يقع في الجزء الشمالي من القرية، وهو عبارة عن مغارة طبيعية في الصخر على شكل غرفة. ينزل اليها بعدة درجات، ويقال ان اسم ست النسب الحقيقي هو، زينب وست النسب بدل اسم، للدلالة على عفة وطهارة نسبها. وكان مقامها يحظى باضائته في معظم الليالي بسرج الزيت لقربه من بيوت القرية، كما كان على كل من يدخل مقامها ان يقف على باب المغارة، ويقول (دستور يا ست النسب، يا اللي بتحاسبي كل الحسب). كما



يوجد بالقرب منها مقام الداهودية، وهو عبارة عن مدخل معقود عقد عربي ومدفون تحت الارض، ولم يبق منه الا جزء صغير يقود الى دهليز تحت الارض.

٧- راس ابو يعقوب : وقد اشرنا اليه سابقاً، وهو عبارة عن عمودين مستطيلين متقابلين في موقع شرق القرية، في ارض دار ابراهيم صافي قطيفان، ويعتقد بانهما بقايا مدخل قصر او بوابة قلعة قديمة. والموقع معروف لاهل القرية، باسم خوابي الغولة او راس حبوبة، وكان يتردد عليه السياح من حين لآخر.

٨- بعنة : اثار خربة مندثرة، تقع في الجزء الشرقي من اراضي القرية، وعلى حدود اراضي قرية قبية، يظهر منها بقايا جدران مبنية بحجارة هندسية كبيرة، كما تنتثر حجارها هنا وهناك، ويعجب معظم اهل القرية، كيف كان اصحاب هذه الخربة يحملون تلك الحجارة الضخمة الى مكانها في البناء، ويبدو من هندسة حجارها انها اقيمت في السابق على ايدي مهندسين ذوي خبرة عالية.

٩- دسرة : تقع شمال شرق القرية، على حدود اراضي قرية قبية ايضاً وهي عبارة عن مساكن جماعية عديدة متقاربة منحوتة في الصخور، وبداخلها طاقات لوضع سراج الاضاءة عليها، وتفتح ابواب هذه المساكن على ارض فسيحة، تتوسطها بركة كبيرة منحوتة في الصخر. يطلق عليها اهل القرية اسم (بركة الوقع)، تمتليء بالماء كل شتاء، وتبقى فيها على مدار العام. وتقول امنة العيشاوي ان اهل القرية كانوا يسقون حلالهم منها في مواسم الرعي.

يعتقد بعض اهل القرية، ان القبائل اليهودية، ربما استوطنوا دسره وبعنة وراس ابو يعقوب قبل اندثار دولتهم، وتقول امنة احمد العيشاوي، باننا سمعنا من ابائنا وامهاتنا، بان المرأة اليهودية، كانت تغني لطفلها وهي تلاعبه في السرير،

حيث تقول : متى تكبر يا فرخي ، وتقيم العدة والشرخي (البلطة) ، وترجع دسرة  
وبعنه، وتملك راس حبوبة.



## الفصل الثالث

### الحياة الاقتصادية

## الفصل الثالث

### الحياة الاقتصادية

كانت الحياة الاقتصادية السائدة في بيت نبالا تشبه الى حد بعيد الحياة الاقتصادية في معظم القرى الفلسطينية وخاصة ابان الحكم العثماني الذي استمر حوالي (٤٠٠) سنة. وتمثلت اهمية الارض بالنسبة للفلاح وللدولة، وبأن شكلت مصدر الدخل الاساسي للدولة، المحور الذي تصاغ حوله الحياة الريفية. ولا تقف الارض مصنفاً، اقتصادياً فقط وانما تعتبر العظم الذي ينبت فوقه لحم ونسيج العلاقات الاجتماعية، وبكلمة : الارض هي الحياة بصورها المختلفة.

وبناءً على ما تقدم فلا بد من الحديث عن هذه الارض، وشكل ملكيتها وادارتها. فقد كانت السياسة المتبعة في الدولة العثمانية تقوم على ان ملكية الارض تعود للدولة. ولكن وفي القرن التاسع عشر، قامت الحكومة بادخال نظام الالتزام الذي اصبحت بموجبه ملكية الاراضي تقوم على ركائز اساسية هي : الدولة نفسها الممثلة في الاقطاعيين من مدنيين وعسكريين (المتعهدين)، ثم الفلاحين. فكانت الدولة هي المالك الحقيقي للارض، ولها الحق في جمع الضرائب والرسوم والاعشار من الفلاحون بواسطة الملتزمين (المتعهدين)، اما الفلاحون فكان عليهم زراعة الارض ورعي الماشية مقابل التزامات معينة يؤديونها لصاحب الارض (الدولة) عن طريق الملتزمين بالتعهد كدفع الضرائب والالتاوات، ولقد اطلق على استغلال الفلاحين للارض اسم (التصرف) بمعنى الحيازة وليس الملكية<sup>(١)</sup>. فالفلاحون يعملون في الارض ويدفعون الضرائب ويقدمون الجنود. وعلى هذا فان حق التصرف يبقى شبه وراثي ينتقل من الاب الى الابن، وبطبيعة الحال فان الفلاحين الذين ظلوا يشكلون اغلبية السكان ويعملون في الارض كمستأجرين



وتتخصص علاقتهم في الانتفاع بهذه الارض والتصرف بها تحت رحمة الملتزمين والاقطاعيين المتعهدين، فمن الطبيعي ان تظل احوالهم سيئة، وكانوا كثيراً ما يتعرضون لعمليات التعسف والاضطهاد.

ولكن وفي فترة حكم ابراهيم باشا للبلاد (١٨٣٠ - ١٨٤٠) حصل تغير في هذا النمط، وذلك بالغاء نظام الالتزام في جباية الضرائب، حيث امر بجبايتها بشكل مباشر (٢). وفي ٧ رمضان ١٢٧٤ هـ/١٨٥٨م اصدرت الدولة العثمانية قانون الاراضي الذي تضمن ١٣٢ مادة وخاتمة، والذي كان اول قانون يصدر بشأن الاراضي ويعتبر نقلة نوعية في تعامل السلطة العثمانية مع موضوع الاراضي وملكيته. فقد سمح القانون المذكور بالملكية الخاصة للاراضي، وجواز حق التصرف فيها بيعاً وشراءً ولكن بعد ان يكون قد اشترها من الدولة بثمن كبير. وقد ساعد هذا القانون على تطوير الملكية الخاصة للارض وجعلها بضاعة متداولة، وربما كان القصد منه تحفيز الفلاحين على العناية بالارض وزيادة انتاجها.

### شكل ملكية الارض في بيت نبالا :

كان نظام ملكية الاراضي مطبقاً في قرية بيت نبالا كسائر القرى الفلسطينية، ولكن بعد ان اصدرت الدولة العثمانية قانون الاراضي الجديد سنة ١٨٥٨ الذي اجاز للفلاحين شراء الاراضي، لم يقم اي من اهل القرية بالشراء، بل بقيت الارض مستغلة من قبل السكان عن طريق المشاع بالتناوب بين الحمائل الاربعة، فكان اهل القرية يقومون بتقسيم اراضيها سنوياً من سهل وجبل الى ثلاثة اقسام رئيسية وذلك على الحمائل الثلاث زيد وصافي ونخلة، اما الحمولة الرابعة وهم الشراقة فكانوا يعطون حصصاً على رؤوس الموارس المقسمة بين الحمائل

الثلاث. وقد ظلت هذه الطريقة هي المتبعة في تقسيم وفلاحة الارض حتى وقت متأخر. بل واكثر من هذا ملكية بعض اشجار الزيتون المعمرة كانت تعود احياناً لعائلات غير المالك الجديد للارض (قبل الفرز)، ومن ثم فقد ظل هؤلاء يجنون ثمار اشجارهم المزروعة في ارض الغير بعد الفرز، واستمرت هذه الظاهرة حتى الرحيل.

وفي عهد الانتداب البريطاني عمل هربرت صموئيل المندوب السامي البريطاني الاول على تغيير القوانين العثمانية واصدار قوانين جديدة لتسهيل انتقال الاراضي لليهود في فلسطين بشكل عام، وقد حذا المندوبون السامون التالون حذوه. فقد صدر في هذا الحقل : قانون تسوية حقوق ملكية الاراضي الذي حد نسبياً من نظام المشاع. فاذا كان ٧٠٪ من الاراضي الفلسطينية عام ١٩١٨ مشاعاً، فان هذه النسبة اخذت بالتقلص تدريجياً لتصل الى ٥٦٪ عام ١٩٢٣، و ٤٦٪ عام ١٩٢٩، و ٤٠٪ عام ١٩٤٠ (٣).

ولما كان نظام المشاع في احد جوانبه يشكل عائقاً امام بيع وشراء الاراضي بما في ذلك لليهود نظراً لعدم افرازها وتسجيلها باسماء اصحابها، فقد اصدرت الحكومة الفلسطينية في ٣٠ ايار ١٩٢٨ قانون التسوية، وعلى اثر ذلك قامت حكومة الانتداب بعد هذا التاريخ بوضع حدود عامة لاراضي كل قرية في فلسطين عن طريق لجان تم تشكيلها لهذا الغرض، وقد اعتمدت هذه اللجان في تخطيط الحدود بين القرية والآخرى خطوط تقسيم المياه او قيعان الاودية في المنخفضات او الطرق الرومانية. بالرغم من ان الحدود بين القرى كانت معروفة



# خارطة تقسيم الاراضي

## في قضاء الرملة واللد

لعام ١٩٤٥

طولكرم

نابلس

يافا

رام الله

القدس

غزة

الخليل

تقسيم الأراضي في قضاء الرملة واللد في عهد الانتداب البريطاني

- حدود أراضي القرية
- حدود البلدة
- موقع قرية بيت صالح

تم إعداد رسمها : عبد الرحيم المدور  
 مركز الأبحاث / جامعة بيرزيت  
 مقياس رسم : ١ / ٥٠,٠٠٠







لاهلها الا انه لم يكن لتلك الحدود الصفة الرسمية القانونية. وانطلاقاً من روح القانون الجديد فقد وضعت حكومة الانتداب في الثلاثينيات خرائط بين عليها مخطط كل قرية (انظر خارطة تقسيم اراضي فلسطين). وكانت القطعة هي الوحدة الثابتة للمساحة والتسجيل.

وقد حضر اول فريق مساحة الى القرية في اواخر عام ١٩٣٥ برئاسة المرحوم عبد القادر الحسيني (القائد الفلسطيني المعروف)، حيث نصبوا خيامهم في ارض الوسطة غرب المدرسة وباشروا باعمال المسح والافراز، ولكن عبد القادر الحسيني لم يلبث ان التحق بالثورة التي اشتعلت عام ١٩٣٦، وقد خلفه في رئاسة الفريق شكري صالح المعلم (ابو سهيل) من قرية عابود، ثم السيد بشير الرفاعي اخو سمير الرفاعي رئيس وزراء الاردن لاحقاً، حيث اكمل الفريق عملية الافراز على جميع اراضي القرية.

ونتيجة لعدم قدرة بعض الاسر على ادارة وفلاحة حصصها التي حصلت عليها بعد الفرز، فقد قامت هذه الاسر ببيعها لاسر اخرى ميسورة من نفس القرية، ولم تتجاوز هذه النسبة ١٠٪ من اراضي القرية. ونتيجة لذلك، فقد ظهر بعض كبار الملاكين، وخاصة ان بعضهم قد اشترى اراضي من اهل القرى المجاورة، مثل الحاج محمود دعوس، ودار احمد كمنة قطيفان، ودار الحاج حسين صالح الذين اشترى ارض العديسية من اهالي قرية رنتيس، كما اشترى بعضهم الكثير من اراضي قرية قبية، مثل راس الاقرع الذي اشتراه دار الحاج حسين ودار ابو يقين، ومرج الحيلة الذي اشتراه موسى سليمان ومحمود احمد مصلح، وام العمدة، واشترىها احمد العرايشي، وارض السحبان، واشترىها رشيد حسن صافي، كما اشترى دار زين جبل من اهالي قرية بدرس الذي يطلق عليه اهل البلد اسم باطن

زين. واشترى علي فرحة كرم عيد من اهالي قرية الحديثة (انظر خارطة اسماء  
مواقع ارض البلد المرفقة).

يقول احمد سليمان داود ان اراضي قرية بيت نبالا تتميز عن غيرها من  
القرى، بانه لا توجد فيها ايه املاك تعود لاهل القرى المجاورة، باستثناء قطع  
صغيرة جداً على الاطراف البعيدة من اراضي جنديس الملاصقة لمدينة اللد التي تم  
بيعها لعائلات دار حسونة، ودار ابو رجب على اعتبار انها قطع مجاورة وضرورية  
لاهل اللد. كما تشير سجلات اراضي فلسطين ان ملكية اراضي القرية كانت عام  
١٩٤٥، تعود بالكامل للعرب، بحيث لم تسجل هنا عمليات بيع اراض لليهود .

### الزراعة وتربية المواشي :

الزراعة وتربية الماشية اصيلة وتقليدية في قرية بيت نبالا، وتشير الدفاتر  
العثمانية لعام ١٥٩٦ الى ان ما تم تحصيله من ضرائب في قرية بيت نبالا قد بلغ  
في ذلك العام ٨٦٦٦ اقجة (عملة عثمانية بقيت في التداول ما بين القرنين الرابع  
عشر والسابع عشر). وتشير تلك الدفاتر الى ان حجم تلك الضرائب تعادل ٣٣،٣٪  
من قيمة حاصل الناتج الزراعي في القرية، ولو قمنا بمقارنة هذا الرقم مع قرى  
اخرى كانت تابعة في ذلك الوقت لناحية الرملة، لوجدنا ان قرية بيت نبالا كانت من  
اهم عشر قرى من مجموع ٧٠ قرية تبعت لناحية. وان القرى التي تفوقت عليها  
كانت كفرعانة ويازور والعباسية وصرفند وعابود وبيت دجن.

وقد وزعت هذه الضرائب المجنية بالاقجة كما يلي (٤) :



٢٧٠٠ عن القمح

٢٥٠٠ عن الشعير

٢٥٠٠ عن الكروم والمحاصيل الصيفية

٣٨٨ عن الماشية

١٢ عن معصرة الزيت

---

٨٦٦٦ المجموع

واستمرت الزراعة حتى عام ١٩٤٨ تشكل الانتاج الرئيسي في بيت نبالا، وذلك بسبب خصوبة تربتها المنتمية الى تربة البحر الابيض المتوسط، وهي الطفليه الحمراء التي تجود فيها المزروعات المختلفة، عدا عن تضاريس ارض القرية السهلية والجبلية. وكانت جميع اراضي القرية البالغة مساحتها (١٥،٠٥١) دونما، تكاد لا تخلو من المزروعات، حيث تشير سجلات استغلال الاراضي في فلسطين ان مساحة الاراضي المزروعة في بيت نبالا قد وصلت عام ١٩٤٥ الى ١٢١٥٨ دونما<sup>(٥)</sup>، وهو ما يعادل ٨٠،٧٪ من مجموع اراضي القرية. وقد بلغ مجموع ما هو مزروع من اراضي القرية بالاشجار المثمرة ١٩٥٩ دونما<sup>(٦)</sup>، اي قرابة ١٦٪ من مجموع المساحة المستغلة زراعياً. ومن اهم الشجريات في القرية الزيتون والحمضيات والتين والعنب، وقد قدرت مساحة الاراضي المزروعة بالزيتون بما فيها التي اشتراها بعض الميسورين من اهل بيت نبالا من اراضي بدرس ورننيس وغيرها بحوالي ٢٦٨٠ دونماً، معظمها في المناطق المرتفعة، كما بلغت مساحة بيارات الحمضيات المروية بمياه الابار الارتوازية ٢٢٦ دونماً. اما باقي الاراضي، فكانت تزرع بالحبوب، مثل القمح والشعير والذرة البيضاء والسمسم والعدس والكرسنة والفاول والحمص والبازيلاء، او بالخضراوات، مثل

البصل والثوم والمقائي المعروفة بالخيار والفقوس والبامية والبندورة والبطيخ والكوسا والخروش. وقد اتخذت المحاصيل الزراعية التي كان ينتجها الفلاح النبالي شكلين متميزين، الشكل الاول اقتصادي، ويتمثل في بيع الفائض منه الذي زرع في الاساس لاجله مثل زيت الزيتون والقمح والسمسم والذرة والحمضيات والخيار والفقوس، التي كان يتم بيعها عادة في سوق (البرين) في مدينة اللد. اما الشكل الثاني فهو للاستهلاك الذاتي مثل البندورة والبامية والبصل والثوم، وكانت هذه الاصناف تزرع عادة في قطع الاراضي الصغيرة القريبة من البيوت على اطراف القرية.

لقد اشتهرت بيت نبالا بزراعة الزيتون، ويقال بان القرية هي الموطن الاصلي للزيتون النبالي الذي لا يزال يحمل اسمها، ثم انتقل الى منطقة نابلس، ومن ثم الى معظم بلاد الشام، وهو اكثر انواع الزيتون الفلسطيني انتشارا، ويعتبر من اجود الانواع من حيث صغر حجم النواة واكتناز الحبة بالزيت.

وتحتل قرية بيت نبالا المرتبة الثانية بعد اللد في لواء يافا وقضائي اللد والرملة في زراعة الزيتون، ويتفق كبار السن من اهل القرية على القول بان عدد جرار الزيت كان يصل في السنة الماسية الى اربعة عشر الف جرة، ومن المعروف عند الفلاحين ان سعة الجرة عشرة ارطال او ثلاثين كيلو زيت. وقد كانت المرحومة جدتي الحاجة مشايخ ايوب (١٨٨٠ - ١٩٧٨) زوجة الحاج كايد حسين صالح تقول: انه في بعض السنوات لم يبق متسع من مصطبة بيتها (١٠ × ٥) م سوى مكان نومها وسرير ابنها فقط وذلك لكثرة الجرار المليئة بالزيت بعد الموسم.



لقد اتبعت حكومة الانتداب البريطاني شتى الاساليب لضرب اشكال الانتاج الزراعي عند الفلاح الفلسطيني، لعله يتخلى عن ارضه ويبيعها لليهود، بدءاً من تحديد اراضي المدن والقرى وافرازها بين الاهالي من اجل تسهيل عملية البيع، مروراً بضرب سعر قمح الفلاح في الاسواق المحلية عن طريق اغراقها بالطحين الاسترالي رخيص الثمن، وتوفير فرص العمل لاهل البلاد بانخراطهم في سلك البوليس، او العمل في الكمبات او النافي والوظائف الاخرى. ولكن اهل بيت نبالا تخطوا مؤامرة ضرب سعر القمح وذلك بالتنوع في الزراعة، ومن هنا دخلت زراعة الحمضيات والاشجار الاخرى والخضار الى القرية، التي اعتبر العديد منها من الزراعة الاقتصادية البديلة لتجارة القمح الذي اخذ الفلاح يزرعه لاستهلاكه الذاتي بالاساس. وبهذه الطريقة ابدع الفلاح النبالي في توفير المال اللازم لتغطية نفقات كسوة عياله وقضاء حاجاته الضرورية.

وبقدر اهتمام بيت نبالا بالزراعة، فقد اهتموا بالثروة الحيوانية حيث بلغ عدد رؤوس الاغنام عام ١٩٣٠ حوالي ١٥ الف راس من الغنم، وانخفض هذا العدد عام ١٩٤٦ ليصل الى ٤٤٥٠ رأساً، ويرجع السبب في ذلك الى انشغال اهل القرية في مجالات اخرى مثل عمل الكسارات والعمالة في الكمب والنافي، بينما بلغ عدد رؤوس الابقار عام ١٩٤٦ حوالي ٨٦٠ رأساً كان لا يخلو بيت واحد من الابقار التي كانت بمعدل رأسين لكل بيت لاهميتها في اعمال الحراثة وادرار الحليب (٧)، وقد كانت هذه الابقار تنتظم مع بزوغ كل فجر مع احد قطعان العجال الذي يتولى رعايتها احد الرعاة مقابل عدد من مسحات القمح او الذرة. واذا ما فقدت احدى رؤوس الماشية، كان اصحابها يذهبون الى احد الشيوخ ليقسم عليها بواسطة سكين ويقرأ عليه لكي يبعد خطر الحيوانات المفترسة عنها. كما اهتم اهل القرية بجميع انواع الطيور مثل الدجاج والحمام والبط والاوز، فكانت بيضة الدجاجة



بمثابة قوة شرائية لدى جميع ربوات البيوت، ولا تقل اهمية عن العملة في شراء الحاجات الضرورية للبيت مثل الكبريت والملح وابرة البابور والسكر والشاي وعلب الزعوط التي كانت تتشققها معظم النساء وخاصة العجائز وبعض الرجال. فكانت معظم النساء والاطفال يقضون حاجاتهم من الدكاكين عن طريق المبادلة بالبيض الذي كان يورده صاحب الدكان في اليوم التالي الى مدينة اللد او يسلفها ويبيعها بواسطة اخرين الى العمال على باب الكمب.

ان الشعب والتوسع في عمل الرجل النبالي بسبب وجود الكسارات والكمب لم يؤثر كثيراً على مستوى انتاجه الزراعي لانه لجأ الى استخدام الخدامين (المرابعية) الذين كانوا يأتون الى القرية من جبال الخليل والقدس ونابلس والسعودية والعراق احياناً. وكانت معظم البيوت لا تخلو من واحد منهم حيث يعيش مع الاسرة ويأكل ويشرب معها ويتولى الاعمال الزراعية في الارض ورعاية البقر، وتعشيتها في فصل الربيع في مواسم الولادة وادرار اللبن، مقابل طعامه وكسوته واجر متفق عليه عن العام الكامل. وكان الكثيرون يستمرون مع الاسرة سنوات عديدة، وقد اعتادت بعض الاسر على وجودهم بدرجة كبيرة، وقد استشهد منهم اثنان اثناء مرور قافلة اليهود من باب الكمب تحت حماية الانجليز، وهم شحادة وعلي عندما كانا عائدين من حقول مخدوميهما. كما ونذكر من هؤلاء المرابعية القدومي وابو البصل وهو سعودي وكان اسمه محمد ظاهر ولكنه سمي بابو البصل لان مخدومه قد طلب منه في بداية عمله معه ان يذهب الى الحقل لتعشيب البصل. ولما لم يكن يعرف معنى التعشيب قام بخلع البصل المزروع جميعه وحمله معه الى بيت مخدومه، فانتاب الأسرة الغضب المزوج بالطرافة واطلقوا عليه اسم ابو البصل. وقد عمل محمد ظاهر قبل الرحيل مع دار الحاج محمود حسين صالح وهاجر معهم الى قرية جلجلية قرب سنجل، وأحصي معهم في وكالة الغوث الدولية للاجئين



وتزوج من نفس القرية التي لجأ إليها مع الأسرة، ثم سافر الى الكويت مع ابنائها وانجب اولاداً وبناتاً وظلت علاقته مع اسرة مخدمه قوية، وخاصة من سافر منهم الى الكويت للعمل، الى ان تعرف عليه اهله السعوديون وحصل على جنسية سعودية ثم توفاه الله بعد ان رجع الى بلاده بوقت قصير. كذلك نذكر فوزي العراقي الذي اخرج نمساً من خم دجاجات الحاجة حسن غانم زوجة الحاج كايد حسين، ولحق به حتى قتله في زقة ضيقة مركونة بالحجارة وبقايا التتك والخشب ومحصورة بين جدار ماكنة زيت دار الحاج حسين صالح من الجهة الغربية وبين جدار بيت زهرة عزارة ام المرحوم محمود شنيور.

كان اهل القرية يستخدمون عود الحراث، الذي تجره الدواب في حراثة الارض السطحية الممتلئة في حرتين خلال السنة، وهما الكراب اول الشتاء، والثانية في فصل الربيع للقضاء على الاعشاب. وكان يجر عود الحراث الخشبي زوج من البقر او الثيران القوية العنيدة التي ذاع صيتها في القرية مثل ثور دار ابو خضرة الذي كان يضرب به المثل، حتى ان البعض كان يصف فلاناً من الناس بانه مثل ثور دار ابو خضرة لضخامته وعدم لباقته في التصرف. كما كانوا يستخدمون الجمال والحمير والبغال في الحراثة. اما الحراثة العميقة او ما يسميه اهل البلد القلابة، فكانوا يستعملون لذلك محراثاً حديدياً تجره زوجان من البغال وخاصة في الاراضي السهلية الواقعة في الجهة الغربية من الكعب لتطهيرها من نبات السوس الذي كان يقتلعه الفتية والبنات الصغار ويدقون عرقه بحجر وينقعونه في الماء المحلى بالسكر ويضعونه في زجاجات فارغة ويشربونه عوضاً عن المشروبات الغازية هذه الايام. لقد كان هذا النوع من الحراثة ضرورياً في بعض الاحيان في اراضي السهل التي كانت تتشقق في فصل الصيف خصوصاً في السنوات التي يكون فيها معدل هطول الامطار كبيراً، لكي يشكل التراب المتفكك المنثور على وجه

الارض طبقة عازلة تحول دون تبخر رطوبة الارض خاصة اذا كان الفلاح يعدها  
لزراعة المحاصيل الصيفية مثل الذرة البيضاء والسمسم والمقاتي. واذكر قول  
والذي المرحوم خليل كايد حسين بان العرايين والافاعي الكبيرة كانت تخرج من  
الشقوق مع سكة المحراث فيقبض عليها بواسطة الشاعوب الذي ينظف به سكة  
المحراث من كتل التراب، ثم يقوم بربطها من وسطها بطرف خيط من المصيص  
ويربط طرفه الاخر بوتر في الارض ثم يتركها حية في العراء لتأكلها الطيور  
الجارحة التي تكشفها من اعالي الجو.

وفي بعض الاحيان استخدم الفلاح النبالي المحراث الحديدي الكبير الذي  
تجره اربعة بغال، وهذه الحراثة كانت تستخدم في السهل وهي الاقرب الى الجرار  
الزراعي.

لقد استخدم اهل القرية التراكتور الزراعي في حراثة الارض لأول مرة عام  
١٩٣٨ وذلك عن طريق استتجاره من اهالي قرية العباسية، وكذلك الحصاد  
والدراسة التي تفصل الحب عن التبن، ولم يقتن اي منهم هذه الاليات بتاتا حتى  
رحيلهم عن قريتهم. وقد بلغت اجرة حراثة الدونم الواحد ربع جنيه فلسطيني، وقد  
اقتصرت عمل الجرارات على الاراضي السهلية في الغالب.

كان الفلاح النبالي يحسب حساب البذار اللازم من القمح والشعير والذرة  
والسمسم وغيرها من الحبوب لموسم الزراعة الجديد، فكان يأخذ هذا البذار من  
رأس كوم غلة كل سنة ويخزنه ويحافظ عليه ثم يتصرف بالباقي لاستهلاك أسرته  
في السنة، او خزنة في المطامير والخوابي لسنوات المحل المتوقعة، او يبيع  
الفائض منه بطريقة المقايضة مع اهل الجبل بالقطين والزبيب.



كان الفلاح النبالي يقدر اهمية السماد العضوي للارض كثيراً، فكانت الغالبية العظمى من نساء القرية يقمن في الصباح الباكر بعد خروج العجال بكناسة روث البقر وبقية المواشي من داخل البيت او قاع الدار ويجمعنه في سلال كبيرة منسوجة من زبط الزيتون ويحملنه على رؤوسهن ليلقن بما فيه فوق المزابل التي تخص الاسرة، حيث كان لكل اسرة مزبلة بعيدة عن البيوت، ويتم تسميد الارض بها بعد تخمرها مع بداية كل موسم زراعي. وكانت هذه المزابل تعتبر من معالم القرية حيث يقولون: مزبلة دار فلان ومزبلة دار علان.

اما السماد الكيماوي فقد دخل قرية بيت نبالا عام ١٩٣٥، وكان الاهالي يشترونه معبأ في شواتل مختومة سعة الواحد منها مائة كيلو، مدموغ عليها من الخارج بالعربي والانجليزي والعبري (حن، وايزمن، لد، فلسطين). اما بالنسبة للامراض والحشرات التي كانت تهاجم المزروعات وتفتك بها احياناً، فقد عانى الفلاح النبالي منها كثيراً في بعض السنوات دون ان تساعد جهة رسمية في مكافحتها، وانما كان اهل القرية يكافحونها بطريقة بدائية مثل التقاط الجراد وسلقه واكله او قتله من اجل ان يتقى شره. وكثيراً ما كان الفلاح يستسلم للحمرة التي تلفح موارس القمح نتيجة شتوة نيسان دون ان يجد وسيلة لمكافحتها فيبلغها ساكتاً صابراً لاعتقاده بانها من ثوابت القضاء والقدر.

لقد كانت الاعمال الزراعية المختلفة تشغل الفلاح طيلة ايام السنة تقريباً، فلم يكد ينتهي من زراعة وتعشيب وحصاد المحاصيل الشتوية حتى يدخل من جديد في شقاء المحاصيل الصيفية، عدا عن العناية بالمواشي والدواجن التي تشغله على مدار العام، فكان عفير القمح والشعير والكرسنة يبدأ في اواخر شهر تشرين الاول

واوائل شهر تشرين الثاني يتزامن ايضاً مع جداد الزيتون، اما قطاعة الذرة  
البيضاء، ففي شهر اب، ثم تليه قلاعة السمسم في اوائل شهر ايلول.



## الحرف الصناعية في القرية :

### طحن الحبوب :

شكلت الاراضي المزروعة بالحبوب في القرية ٨٣،٩٪ من مجموع الاراضي المزروعة فيها عام ١٩٤٥<sup>(٨)</sup> ، ومن الطبيعي ان يكون طحن الحبوب هو احدى شواغلها الرئيسية. وقد استخدمت في الماضي (قبل دخول الالة الى فلسطين) مطاحن الحجر البيتية، الموجودة في كل بيت، ثم توجه الناس الى مدينة اللد عند ظهور المطاحن الالية فيها حتى اقيمت اول مطحنة آلية عام ١٩٣٠ على بير البلد كما اشرنا سابقاً، وكان يشرف عليه في هذه الفترة محمد سالم قطيفان الذي يعمل فني صيانة (مكنست). ولكن وبعد خمس سنوات تقريباً اختلف اهل القرية على وجود المطحنة بجانب البير، وقاموا بتقديم شكوى الى سلطة الصحة في حكومة الانتداب، وادعوا فيها بان بعض الفئران والجرادين التي تعيش على بقايا الحبوب والطحين داخل المطحنة تسقط في البير، فامرت الحكومة بوقف عمل المطحنة والابقاء على الموتور لضخ المياه من البير. وعلى اثر ذلك قام الشيخ عطا الطريفي بانشاء مطحنة حبوب في دير طريف، وتحول اهل القرية لطحن حبوبهم فيها. بالرغم من هذا، فان مطحنة بير البلد لم تغلق تماماً، بل كانت تدور في الليل من وراء السلطة وتطحن للاصدقاء الذين كان ابو الفخري يأمن جانبهم بعدم تبليغ السلطات التي امرت بوقفها. وفي عام ١٩٤٠، انشأ الحاج محمود سليمان قطيفان واخوانه مطحنة جديدة وحديثة في طرف القرية من الجهة الغربية امام دار حسن خليل عيوش ودار فارس دامه مباشرة، وكان يشرف عليها (المكنست) مصطفى دولة من يافا، الذي لم يستمر طويلاً، اذ حل محله محمد سالم بكر بعد ان ترك

العمل على بئر البلد الذي تسلم ادارته من بعده السعيد الشبوب ابن سليمان السعيد الذي عمل عليه سابقاً، والذي ظل عليه حتى وقت الرحيل. وقد عمل مع محمد سالم في بابور الطحين الجديد، كل من احمد خالد صافي (الكلاب). ومحمود شتات (التكروري) وسيف الدين. وقد استمرت مدخنة المطحنة تصفر فيما يشبه العويل اثناء هجرة الناس نحو الشرق باتجاه قرية بدرس، اما بابور الطحين فقد ظل في مكانه بين ركب نبات الصبر الذي يمد اكفه بثبات مثل ايوب ويبتسم بحزن من خلال زهره الاصفر كلما قدم احد من اهل القرية لزيارة اطلالها، ليعلن له من جديد بان النزوح عن الوطن لا يورث للانسان سوى الحياة المجبولة بالذل.



كان وجود الزيت والزيتون في البيوت مقروناً بوجود الماء والهواء للأسرة، وبمعنى آخر فانه من المستحيل خلو بيت واحد في القرية من هذه المادة الاساسية في الطعام على مدار العام، والذي يأتي في الدرجة الثانية بعد الخبز بل ويعتبر توأمه الابدي في حياة الفلاح، والطعام الاول للرضيع بعد الفطام. فكانت نساء القرية يقمن بكبس الزيتون في جرار من الفخار، ثم يضعن في فوهة الجرة خرقة مكعبرة على شكل كرة ويختمنها بدقموس من الطين لمنع تسرب الهواء الى الكبيس المخلوط بقرون الفلفل الغليظة وقطع الليمون الحادقة. اما الزيت فكان يتم خزنه في جرار فخارية ايضاً او في براميل كبيرة تحتفظ بها الاسرة لهذه الغاية. وكانت كل اسره تحتفظ بابر يق فخاري تضع فيه الزيت الذي تستعمله في حياتها اليومية يسمى كعكوز الزيت، يجلس على مقعدة مصنوعة من طين الحور المعجون بالتبن على حافة المصطبه حتى يكون في متناول الجميع.

اما عصر الزيت فكان في السابق يدرس ويعصر بطريقة بدائية بواسطة رحي حجرية كبيرة يديرها البغل او الجمل، وكان في القرية ما يقارب عشرة معاصر التي يمكن تصنيفها الى ثلاثة انواع وهي :

١- البدود القديمة المهجورة (مفردها بد) التي بناها الاباء والاجداد قديماً بطريقة تشبه بناء الملاجيء العسكرية تحت الارض وهي ذات مداخل مرتفعة وتميل ارضيتها بانحدار خفيف نحو الداخل. وكان اهل القرية يلجأون اليها ايام الحروب خصوصاً خلال المعركة الفاصلة التي وقعت بين الاتراك والانجليز في نهاية الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٨، وقبيل ترحيل الاهالي الى مدينة اللد حيث سكنوا هناك في بدودها ويواخيرها التي كانت تتغل بقراد البقر والاغنام. ومن بدود القرية

المهجورة بد دار شقديح، وبد آخر قديم يقع تحت الشارع العام شرق دار خليل عيسى صالح، خلف مضافة البلد من الجهة الجنوبية الذي هفت تحت حوافر بغلة حكمت محمد خليل شقديح وهو راكب على ظهرها ليجد نفسه فجأة مع البغلة في قاع البد، ولكن الله بعنايته قدر ولطف، وكان ذلك قبل سنوات قليلة من الهجرة. ويسمى هذا البد بد الدهليز.

٢- معاصر الزيتون نصف الآلية (ماكنات الزيت): كان بعضها متوقفاً عن العمل قبل الرحيل، مثل ماكنة دار الحاج حسين صالح، وبعضها الآخر يعمل مثل ماكنة احمد علي فرحة وماكنة عبد الرحمن عساف. وماكنة عطا موسى وشركاه، وماكنة حسين خليل عيده.

٣- عصارة آلية (بابور الزيت): وهو الوحيد من نوعه في البلد وكان يدار بواسطة موتور ومكبس حديث حيث تم تأسيسه عام ١٩٣٦، يعرفه اهل القرية ببابور زيت دار علي صالح، الا انه في الواقع شركة مساهمة، ومن اكبر المساهمين فيه الحاج محمود سليمان قطيفان، ويقع شرق دار خليل كايد الجديدة مباشرة.



## صناعة الادوات الزراعية :

من المعروف منذ الازل ان مسرح العمليات الزراعية دائماً هي الارض التي تتأثر بمناخ الفصل السائد خلال السنة، من حيث جفاف التربة وما يعقبها من تماسك في قشرة الارض او رخاوتها عند هطول الامطار، وما يترتب عليها من انبات لاجنة بذور الاعشاب التي تفرض حياتها متزاحمة على القشرة الارضية بقوة مستجدة، من احدى اساسيات الوجود، الا وهي صراع البقاء. ومن هنا فقد استخدم الفلاح النبالي الادوات الزراعية التي تعينه على زراعة وحصاد محاصيله ومحاربة الاعشاب البرية التي تعيق زراعة هذه المحاصيل بنفس النمط الذي كان سائداً في فلسطين، بل ومعظم بلاد الشام بغض النظر عن اختلاف طفيف في شكل هذه الادوات ومسمياتها. فقد استخدم المحارث لتحريك التربة وادوات القطاف والحصاد، ثم ادوات التحويل من درس وهرس وعصر وعجن وشواء في سبيل الحصول على اللقمة التي تمد شرايينه بالحياة.

فاستعمل المحراث الخشبي الذي يسميه الفلاح "عود الحراث" الذي كان يصنعه من جذوع اشجار الزيتون والبلوط ذات الانحناءات الخاصة التي تناسب شكل المحراث المكون من عدة اجزاء وهي : الكابوسة التي يقبض عليها الفلاح بيده اثناء الحرث، والمركبة على رأس عمود خشبي طوله حوالي متر يسمى الذکر، والمثبت في طرف قطعة خشبية بنفس الطول وتكون ملاصقة للارض بشكل افقي اثناء الحراثة وتسمى الفجلة، والملبس رأسها الامامي بسكة المحراث الحديدية. كما تتداخل مع الفجلة عند مؤخرة السكة قطعة خشبية منحنية تشبه ماسورة المدفع المنصوب وتسمى البرك، والذي يربط طرفه الامامي مع وسط نير صغير من الخشب ليوازن بين السحابات الواصلة بطرفيه والمربوطتين الى الحوالة التي تطوق

صدر الدابة والمصنوعة من الجلد على شكل مخدة. كما كانت تغمم عينا الدابة بغمامات من الجلد لتظل تنظر امامها في خط مستقيم وتحجب عنها حركة السوط التي كانت تجفلها وتربكها اثناء الحراثة. هذا في حالة الحراثة على دابة واحدة، اما اذا كانت الحراثة على زوج من البقر او الحمير او البغال، فيوضع على رقبة الدابتين نير كبير طوله متران، ويثبت في منتصفه رأس البرك بمسمار كبير من الحديد يسمى الجارور، ويحبك حوله حبل قوي مصنوع من امعاء الحيوانات يسمى الشرعة، وذلك من اجل تسهيل عملية التحرك والدوران للدواب والة الحراثة التي تشبه عمل الاذرع التي تصل المقود بعجلات السيارة الامامية. كما يمسك الفلاح بيده الاخرى اثناء الحراثة عصا ينتهي طرفها الاخر بشعبة حديدية تسمى الشاعوب، والذي يستعمله لتنظيف سكة المحراث الحديدية من كتل التراب الرطبة التي تتكدر عليها اثناء شق التربة. كما كان يستعمل المساس الطويل لنهر الدواب.

لقد كان الفلاح يقوم بحراثة ارضه مرتين في السنة، الكراب والثناية، اما تعشيب حقول الحبوب والخضراوات فكان يتم باستخدام الفؤوس او طريقة القلع. وقد برع من اهل القرية في صناعة المحارث الخشبية كل من عبد الرحمن ايوب و ابراهيم محمود احمد مصلح.

لقد استعمل الفلاح النبالي طريقتين في بذار ارضه. كان في الاولى، يعفر البذار على الارض، ثم يحرثها او يعفر البذار في الارض المحروثة ثم يعيد عليها. اما في الثانية، فكان يثبت على عود الحراث خلف السكة مباشرة بوصة عمودية مفرغة ينتهي طرفها العلوي بقمع معدني (محقان)، يلقيه بقبضته حفنات البذار التي يأخذها من كيس معلق على صدره.



اما حصاد القمح والشعير والذرة البيضاء، فكان يتم بواسطة استعمال المنجل المعقوف والسحلية، اما السمسم فكان حصاده يتم بطريقة نزرعه مع جذوره من الارض، وتسمى هذه العملية 'قلاعة السمسم'. وقد استأجر اهل القرية حصادات اهل العباسية على نطاق ضيق في بداية الاربعينيات.

اما فصل حب القمح والشعير عن القش فكان يتم بطريقة الدراس على البيدر (النوادة)، حيث يفرش القش على شكل دائرة قطرها حوالي عشرة امتار ثم تدور فوقها دابتان او اكثر مربوطة الى بعضها بحبل في اعناقها يتبعها صاحبها، وهذه اكثر الطرق بدائية، او ان تقوم دابة واحدة او اثنتان بجر لوح الدراس المثبت في اسفله قطع مسننة من الحديد لهرس القش، او بجر النورج خلفها بدلاً من اللوح. والنورج يشبه في شكله مقعد طلبة المدارس بدون طاولة امامه ومثبت فوقه مظلة لتقي الفلاح من حرارة الشمس، ويسير على عدة عجلات مسننة من الصاج السميك، حيث يجلس على مقعده الفلاح ويدور به على طرحه القش تبعاً لدورة الدابة التي تجره. اما هرس اعواد الذرة فكان يتم بفرشها في الشارع العام بعد نزع العرائيس منها، لتقوم اقدام المارة على هرسها واحالتها الى قصول يستعمل في زبل الطابون.

كان الفلاح يستعمل الدقران في ترداد القش المتناثر على اطراف الطرحه بين الحين والحين لاعادته الى دوامة الهرس من جديد، كما كان يحمل بيده المنخاز وهو عبارة عن عصا طويلة مثبت في نهايتها مسمار ينخز بها الدواب التي تتباطأ في السير، واذا ما انتهى الفلاح النبالي من هرس طرحته فانه يجمعها على شكل هرم ويبدأ في تذريتها بواسطة المذارة التي ينثر بها القش المهروس الى اعلى في مهب الريح ليطير التبن على بعد قليل ويرجع الحب الى مكانه عند السقوط.

ويختلف الدقران عن المذراة بان فمه مصنوع من الحديد، اما كفة المذراة واصابعها فمن الخشب. وبعد هذا كله يقوم الفلاح بفصل ما تبقى من عقد القش الثقيلة عن الحب بواسطة الكربالة والسرادة واللتين تشبهان الغربال مع اتساع اكثر في فتحات شباكهما. ولا ننسى الغربال الذي يفصل بواسطته الحب عن ذرات التراب والحصى. واخيراً المكيال المسمى (المسحة) التي كانت سعتها (١٥ كيلوغرام) ويستعملها الناس كمعيار عند البيع والشراء او المقايضة باجر او مهور النساء عند الزواج. حيث يقال بان مهر النسوة زوجة السعيد حسن عثمان من قرية قبية كان مسحة واحدة من الذرة، وذلك في احدى سنوات المحل التي اجتاحت البلاد. كما كان الحلاق يخلق للولد على الصفر على مدار العام مقابل مسحة من القمح او الشعير او الذرة.

كانت عملية نقل محاصيل الحبوب المحصودة الى البيدر (النوادة) تتم بواسطة عربات تسير على عجلات خشبية مطوقة بالحديد تجرها الخيول، وكانت هذه العربات تتراءى للناظر عن بعد وهي محملة بالقش كأنها كوخ كبير يسير في الطريق، وقد يبلغ ارتفاعها عن الارض احياناً حوالي اربعة امتار. كما كانت الجمال تستعمل كثيراً في نقل القش وذلك عن طريق لفة داخل شبكة كبيرة محبوكة من الحبال القوية وتشبك خطاطيفها الخشبية بفتحات الشبكة نفسها التي تبدو للناظر عن بعد وهي محملة على ظهر الجمل كأنها شجرة ضخمة جافة كثيفة الاغصان تسير في الطريق.

كان اهل القرية يستعملون سلالم الخشب العالية في قطاف الزيتون والجدادات الطويلة بعد ان يفرشوا تحت الشجرة قطعاً من الخيش او الملاحف



القديمة لتسهيل عملية التلقيح المضيئة التي كانت في العادة من عمل النساء والفتية  
والفتيات.

ولا يفوتنا هنا الحديث عن قطاعة الصبر التي تشبه في شكلها علبة الفول  
المعدنية ولكن اطول مرتين، وهي عبارة عن اسطوانة مفتوحة الجانبين ومثبتة على  
رأس عصا طويلة وتستعمل لقطاف اكواز الصبر خصوصاً العالية منها، ولتجنب  
الفلاح اذى شوكة الصغير الذي كان ينشه ابن القرية بحزمة من نبات الغار او نبات  
الخلعة المنتور حول اشجار الصبر.

## الادوات المنزلية :

كانت الادوات المنزلية المستعملة في دور القرية بسيطة جدا، وهي اقرب الى الحضارات القديمة منها الى الصرعات العصرية الحديثة. وكانت معظم نساء القرية تصنع ادواتها المنزلية بنفسها من المواد المتوفرة حولها في الطبيعة، وتدخلها في استعمالاتها اليومية باستثناء الادوات الصعبة التي لا يستطيع الفلاح صنعها، كونها منتجات حرفية ذات اختصاصي فني وصناعي التي كان الفلاح يشتريها من اسواق اللد والرملة، ويمكن تقسيم المواد التي صنعت منها هذه الادوات الى تسعة اقسام وهي :

١- الفخاريات : وكان يتم شراؤها من الاسواق في المدن او من الباعة المتجولين في القرى، ومن هذه الادوات ما كان يستعمل لحفظ الماء او الزيت، مثل الجرة الكبيرة والعسلية والزير والهشة والشربة والكرار والابريق والكعكوز. وكانت اذا ما كسرت بعض هذه الادوات فان المرأة تحافظ على نصفها الاسفل الذي يسمى القحف وتستعمله لحاجات اخرى وخاصة لسحق الزعوط بواسطة دحموس الحجر او مشرب للدجاج. ومن الفخاريات ما كان يستعمل للطبخ مثل القدرة والطباخة وقصرية المفتول، ومنها ما يستعمل لحفظ اللبن والحليب كالطوس والبكلولة والبوشة وصحون الطعام المختلفة.

٢- طين الحور : كانت نساء القرية تحصل عليه من مناجم خاصة تسمى المحاور وقد وجدت في الغالب على اطراف البلاد. وقد تحولت هذه المحاور مع المدة الى كهوف بسبب نحت الناس المتوالي لجدرانها للحصول على تربة بيضاء لها عرق مثل عرق العجين، والذي كان يمزج مع التبن لتصنع منه النساء ساسات الطوابين، وكوانين النار، والخوابي، ومقاعد الابريق على حواف المصاطب، وحوامل



الفراش، ومذاود الدواب في قاع البيت، والرفوف المزخرفة، ومقعدة السراج، والطاقت التي تخبىء فيها المرأة حاجات المنزل كالكبريت والملح والصابون وعلب الزعوط والمكاحل وحياناً القروش. كما كانت النساء تعمل من هذا الحور طاقت لأسراب الحمام في مكان مرتفع يصعب على القطط وصوله وذلك خوفاً على الزغاليل.

٣- القش : والمقصود بالقش هنا القصبه العليا الخالية من العقد من نبات القمح الجاف المطروح على النوادره بعد الحصاد، حيث كانت الصبايا والنساء ينشطن في هذه الفترة بالتقشيش قبل عملية الدراس، ويذهبن في مجموعات الى النوادره، واذ ما سألهن احد في الطريق : (وين رايات ؟ يقلن : راين نقشش). ثم يرجعن بضمام القش الى البيوت ويحتفظن بها حتى تحين الفرص للقيام باعمال (النسيج) وخاصة في الايام الماطرة التي تقل فيها الاعمال الزراعيه، حيث يقمن بنقع القش في الماء ثم صبغه بالالوان المختلفه استعداداً لصنع الاطباق التي توضع عليها الصحون عند وجبات الطعام، كما يصنعن المطاحن والمقاطف والاقداح والقبعات المختلفه الاحجام التي يحفظ في بعضها البيض او الحلويات او الطحين مثل قبة التفريص، والملواط وهو عبارة عن قبة لها علاقة، ثم القوطة وهي بحجم البطيخة الكبيرة وتشبه في شكلها حبة الكمثري ولها فتحة بحجم قبضة اليد عند العنق، تحفظ المرأة النبالية فيها لوازم الخياطة من خيطان ملاحف وخيطان مجفورة وابر وكرارات وطيب الحرير وعشراويات الوقايا والازرار وقطع القماش اللازمة لترقيع الملابس، وحياناً الشفرات الحادة اللازمة للتقطيع.

٤- الخشب : معظم الادوات المنزلية المصنوعة من الخشب كانت تشتري في الغالب من اسواق المدن باستثناء اسرة الاطفال الصغار التي كان يصنعها عبد الرحمن ايوب، ومن هذه الادوات : باطية العجين، وكرمية الفتات والهنابة والمغرفة ومهايش القهوة.



٥- اغصان الشجر : لقد تفتنت نساء بيت نبالا في عمل السلال الكبيرة من اغصان الاشجار وبالذات من الافرع المائية التي تثبت على عروق اشجار الزيتون المسماه (مطارق الزبط). وكانت هذه السلال تستعمل في الغالب لنقل الزبل على رؤوس النساء الى المزابل المترامية على اطراف البلد، او لتزيب الطابون بالقصول. كما اتقنت النساء صنع القرطلات الكبيرة والملاقط الصغيرة التي كانت تستعمل لجمع التين والبندورة وحب الزيتون وبعض الفواكه. كما كان يصنع من هذه الاغصان اقفاص الدجاج التي تباع في المدن، او لمبيت الدجاج داخل البيوت خشية ان يأكلها النمس، او تجنباً لبرودة الخم في ايام الشتاء الذي كان يسبب لها الورم في ارجلها احياناً.

٦- المعادن : مثل طاحونة القهوة اليدوية، وطاسة الرجفة، والمكاحل، والسكاكين (الخوصة) وبوابير الكاز، والحلل النحاسية والاناجر (المناسف). والملاعق المعدنية التي كانت لا تظهر في البيوت الا عند وجود ضيوف وخاصة الرسميين من كبار الموظفين وفرسان حكومة الانتداب المعروفين لاهل القرية باسم (الدولة). وقد كان وجودهم في ضيافة احد المخاتير يعزز من مكانته على حساب مختار اخر مما يثير حفيظته ويؤدي بالتالي الى الفتنة والفساد التي كانت تنتهي بالطوشات. كان مبيض النحاس يزور البلد سنوياً ويتخذ من ساحة مضافة القرية مقراً له، وتأتيه النساء بهذه الادوات ليعمل على تبييضها، وكان يشاهده الجميع بلباسه القذر ووجهه المتسخ الموشح بالبقع والخطوط السوداء التي تحيط بعينيه الناصعتي البياض. وكان الاولاد الصغار يرقبونه بدهشة وخوف وهو يضع قدميه السوداوين العاريتين في قاع الحلة مسنداً راحتيه على جدار المضافة وهو يحرك جذعه وارداً يمينه ويسرة على شكل نصف دائرة.

٧- الجلد : مثل سعن اللبن (الشكوة)، التي لا يزال اهل الريف والبدو يستعملونها حتى الان لخض اللبن للحصول على السمن والزبدة ولبن المخيض، حيث تعلق هذه



الشكوة بعد اغلاقها في منصب خشبي دي ثلاثة ارجل للقيام باعمال الخض التي تمارسها النساء الكبار امام البيوت مع كل صباح يحيط بهن الاحفاد الصغار المبللة صدورهم باللبن. كما كان يصنع من الجلد الجراب وهو يشبه الشكوة، ولكنه اصغر قليلاً، ويستعمل لحفظ الخبز ليظل طرياً عندما يأخذه الفلاح معه في مواسم الحراثة والزراعة الى حقله البعيد خاصة في ايام الشرد المعروفة برياح الخماسين.

٨- الزجاج : يتمثل ذلك في المرايا الصغيرة، وكاسات الشاي، وفناجين القهوة، ودوارق النراجيل التي لم يتغير جوهرها حتى الان سوى قليل من حيث الشكل. كذلك عصارة الليمون اليدوية التي لا زالت تستعمل حتى الان في معظم البيوت ولكنها تصنع اليوم من مادة البلاستيك واللامين.

٩- العظم : كالمشاط العريضة المربعة الشكل، وبعض الاغوشة التي تضعها النساء في معاصم اليدين للزينة، او تعلق بخيط في رقاب الاطفال لاعتقاد ذويهم بأنها تشفيهم من الذبحة الصدرية. وقد كان الفتيات والفتيان يجمعون العظام من الطرقات ومن اطراف القرية عن المزابل ويبيعونها لتجار متجولين يجوبون القرى لجمعها، مقابل قطع صغيرة من اللبان العربي، ثم يقوم هؤلاء بتصنيعها في المدن وبيعها الى الفلاحين على شكل امشاط وغيرها.

### الطرق والمواصلات :

ترتبط قرية بيت نبالا بالمدن والقرى المجاورة كبقية البلدان عبر مجموعة من الطرق الخارجية، علاوة على مجموعة من الطرق الداخلية التي تتفرع من الشوارع الرئيسية وتصل البيوت بعضها ببعض، كما تصلها بالمرافق الحيوية، كالمضافة وجامع القرية والمقبرة والساحات العامة والمطامير والمقيل، والى

المرافق الأخرى في أطراف البلد، كالمدرسة والنوادرتين، الشامية والسطح، ويبر البلد والكسارات، وتمتد إلى أبعد من ذلك، لتصل الحقول المحيطة بالقرية، فهي أما مستقيمة في الأراضي السهلية، أو ملتوية وحادة النزول أو الارتفاع في الجبل، مثل الطريق المؤدية إلى الخربة الشامية عبر كتف جبل النقارة الشرقي. وتحتل هذه الطرق بما فيها الأودية ٤٦٨ دونماً من مجمل أراضي القرية البالغة ١٥٠٥١ دونماً.

لم تكن الطرق الداخلية معبدة، ولا مرصوفة، لكنها متماسكة وخالية من الحجارة والحصى، بعكس الطرق التي تتحدر من أطرافها التي تتخللها الأخاديد المنحوتة من جريان مياه المطر، حيث تتأثرت فيها الحجارة الصغيرة، ومخلفات أهل البلد من علب الصفيح الصدئة، وبقايا الأحذية البالية، وعيدان الحطب المتكسرة تحت أقدام المارة من ناس ودواب، مثل طريق السحيلة، والطرق النافذة إلى إحدى النوادرتين. كانت هذه الطرق في مجملها عريضة، خاصة الشوارع الرئيسية، ويتراوح عرضها من (٥-٦) أمتار، وتسمح لسيارات الشحن وعربات الخشب أن تمر منها بالراحة.

كانت المنطقة المحيطة بالباب الشرقي للكمب والمدرسة ويبر البلد من أكثر المناطق حيوية للقرية، تشبه في أهميتها بالنسبة للبلد محطات السكك الحديدية في المدن، حيث ضمت بعض المقاهي والمطاعم وبائعي الفلافل والسحلب والبليلة والسجائر الإنجليزية المهربة من النافي داخل الكمب، إضافة إلى الصحف المحلية. وقد تجمع عادة هنا العمال الفلسطينيون والعرب قبل دخولهم باب الكمب، كما اعتبرت هذه المنطقة محطة ركوب السيارات إلى المدن والقرى المختلفة. ويمر



منها الشارع العام المسفلت قادماً من قرية دير طريف في الشمال، ويستمر محاذياً لسياج الكمب من الجهة الشرقية باتجاه مدينتي اللد والرملة قبل ان يصل قرية الحديثة. كما يتفرع من باب الكمب شارع معبد يتجه شرقاً نحو قرية بدرس، يحاذي عند بدايته سياج المدرسة من طرفها الجنوبي، حيث يفصل بينها وبين كمب السمران. كما تتطرق من هذه المنطقة طريق ترابي عريض محاذية لسياج الكمب من الجهة الشمالية تؤدي الى مدينة اللد، وتعتبر من اسهل الطرق الزراعية التي تقود الى سهول القرية الغربية، مثل أراضي جنديس وبسامة والهدفه وشعاب الخطيب، كما تمر هذه الطريق ببيير البلد بعد تفرعها بخمسين متراً فقط، وتفصل بينه وبين الكمب، وتمر أيضاً بالقرب منها في الجهة الشمالية وصلة سكة الحديد المنتهية عند الطرنشة، التي اقامها الانجليز لنقل الدبس و الحصمة في عربات القطار الى جميع انحاء فلسطين في عام ١٩٢٥م وفق ما جاء في دراسة سمارة الرنتيسي غير المنشورة عن القرية. ومن قلب هذه المنطقة تتفرع طرق البلد الرئيسية باتجاه الشرق التي تقود الى مداخل القرية الغربية، وهي ترابية وغير معبدة (انظر مخطط البلدة المرفق). وأولها الطريق الذي يمر بين باب المدرسة الشمالي وبين ارض مصطفى الحيت، ويستمر حتى يقطع وادي كريكعة، ثم يسير مع حدود عميرة دار نمر زهرة المحفوفة بركب الصبر ونبات القريص، حتى يدخل القرية صعوداً من باب دار موسى كاكافدار صافي طه. وبعدها يتشعب نحو الشرق مروراً من باب دار تامر والى الشمال من باب دار احمد الخيري. كما ينطلق من نفس المنطقة الحيوية المذكورة بل ونفس النقطة طريق ترابي اخر اكثر اهمية موازي للاول من الناحية الشمالية يقطع وادي كريكعة ويخترق ما بين ارض الحمرية جنوباً وقطاع الجندي شمالاً حتى يصل بداية المقبرة، وعندها يتشعب منه طريق نحو الشمال باتجاه بئر الخيل والنوادر الشامية، اما هو، فيستمر بالصعود نحو مدخل البلد حتى يصل زاوية الحاج كايد حسين، ومن هناك يتفرغ منه طريق



باتجاه جامع السلطان عبد القادر جنوباً، وبابور الطحين والنوادر الشامية شمالاً،  
وأما استمراره فيقود الى ساحة المطامير امام قهوة عيسى الحاج ودار العتلة ودكان  
رشدي الخطيب مروراً بدكان البهلول وبيوت دار قطيفان نحو الشرق. وجدير  
بالذكر ان الشارع الرئيسي الذي يبدأ من باب جامع السلطان عبد القادر ويتجه شرقاً  
حتى اخر القرية يعتبر اهم شارع فيها ويبلغ عرضه في المناطق الضيقة خمسة  
امتر ثم ينتفخ في اماكن اخرى كثيرة كالمنطقة المحيطة بدار الزغلول، ويستمر  
هذا الشارع ليخرج من منتصف شرق البلد حتى يقود الى قرية شقبة، كما يخرج  
منها شارع في الجهة الشمالية الشرقية يؤدي الى قرية رنتيس.

لقد تكررت ظاهرة عزل بيت نبلا عن المناطق المحيطة بها ما عدا الجهة  
الجبالية الشرقية في السنوات الماطرة، وذلك بسبب ارتفاع منسوب المياه في  
الواديين المحيطين بالقرية، التي كانت تجرف معها احياناً ركب الصبر واشجار  
الزيتون المحاذية لها، اضافة الى رؤوس الماشية وبعض اهل القرية مثل بنت ابو  
السيد.

لقد كانت مياه الواديين تمر تحت الاسفلت عبر جسرين على مسافة قصيرة  
بعض من بعضهما من بعض، ثم يتحدان في مجرى عريض منبسط مليء بشجيرات الغار  
ورائحة الخضرة التي كانت تعمل منها الشعوب القديمة اكاليل النصر. وقد تغنت نساء  
بيت نبلا بهذه الشجيرة ابان الثورات الفلسطينية المتعاقبة، نذكر منها اغنية : حسن  
سلامة رابط في الغارة، من اول طلق وقع طيارة.

وقد كان يتعذر على السيارات او عربات الخشب التي تجرها الخيول دخول  
القرية ما دامت المياه الحمراء بلون الطين تتدفق سريعة في مجرى الواديين، الا



انه كان هناك معبر للمشاة من فوق الاسفلت بين الجسرين يقود الى ارض موحلة في قطاع الجندي على ضفة وادي كريكعة الشمالية توصل الى البلد. وغالباً ما كانت تحف هذه الطرق على الجانبين اشجار الزيتون وركب الصبر، يتخلل ذلك سدره هنا وهناك، اضافة الى بعض الاسيجة الشائكة المتراخية التي تحيط بالتعامير، والتعميرة ارض جبلية مزروعة بالزيتون والتين والصبر. واما في السهل فتسمى مارساً.

كانت وسيلة النقل الوحيدة في السابق هي الدواب، متمثلة في الجمال والحمير والبغال، الا انه في الثلاثينيات من هذا القرن تم استخدام عربات الخيول ذات العجلات الخشبية المحاطة باطواق الحديد، التي استبدل بعضها بعد الاربعينيات بعجلات الكاوتشوك من مخلفات السيارات. وقد استخدمت هذه العربات في نقل الناس واغمار الحصيد وحجارة البناء والخضراوات المصدرة الى مدينتي اللد والرملة. وكانت هذه العربات متوفرة عند معظم اهالي القرية، وكان اكثرها حركة في الصيف والشتاء عربة حكمت محمد خليل شقديح التي كانت تنقل نشارة الخشب من داخل الكمب الى اهل البلد ومعظم القرى المجاورة لاستعمالها زبلاً للطوايين، وقد كان المذكور المتعهد الوحيد لشراء هذه المادة من مناجر الانجليز في الكمب.

وقد تم امتلاك اول سيارة في القرية من قبل احمد علي فرحة عام ١٩٤٢ من نوع دوج كندي، وكان يسوقها ابن عمه جمعة محمد الحاج (جمعة كاملة)، ثم تبعه في ذلك الشيخ احمد الخطيب، والحاج كايد حسين، لكن الاخيرين لم يوفقا في ادارتها مما اضطرهما للتخلي عنها. كما امتلك سيارة محمود ابو حسينة التي خرجت معه بعد الرحيل.

## التجارة :

قامت حياة الناس اساساً في قرية بيت نبالا على الزراعة، كباقي القرى الفلسطينية. اما التجارة بمعناها الحقيقي، فكان موطنها المدن، وكان الفلاح النبالي كغيره من الفلاحين، لا يتقن فن التجارة، بل يخضع في تسويق الفائض من انتاجه الزراعي لألاعب التجار المتمرسين في مراكز المدن. وكان يحكم قيمة ما يريد بيعه من هذا الانتاج عاملان، الاول: سذاجته التي فطر عليها، والثاني: خوفه على بضاعته من الكساد والتلف خاصة الخضراوات، اذا ما عاد بها ادراجه من السوق دون بيع. فكان غالباً ما يرضى بأي ثمن يعرض عليه. وكثيراً ما يردد ابناء القرية في مجالسهم اليوم بعض النوادر التي حدثت بين ابائهم وتجار المدن وخاصة تجار اللد، كالذي باع خروفه لاحد اللحامين، ووضع ثمنه في جيبه، وطاف في اسواق اللد حتى تعب، وقبل رجوعه الى القرية، مر باللحام اياه، واشترى رطلاً من لحم خروفه بثمن يفوق ثمن الخروف جميعه. وكما يقول المثل العامي : مجنون يحكي، وعاقل يسمع . فان هذه النادرة مبالغ فيها، الا انها لا تخلو من دلالة على سذاجة الفلاح النبالي كغيره من الفلاحين في مجال التجارة.

كان ابن بيت نبالا يسوق الفائض من محاصيله الزراعية في سوق "البرين" في مدينة اللد، بعد ان يأخذ من راس الكوم بذار العام القادم، اضافة الى تأمين حاجته للعام كله، وكان يشتري بثمن ما يبيعه كسوة عياله، وما يحتاجه من معدات زراعية صغيرة، او ما يلزم بيته من ادوات منزلية. اما شراء وبيع الحلال والدواب، فكان يتم في سوق حلال مدينة اللد، الذي يعقد عادة كل يوم اثنين. كما كان هناك سوق حلال اخر في مدينة الرملة، وغالباً ما كان يقوم ابناء المدن في



هذه الاسواق بدور الوسيط خاصة في الامور الصعبة. وكثيراً ما كان يشاع بين ابناء القرى، ان بعض تجار اللد، كانوا يسكرون البغال الشرسة (الشموص) بالخمير لتبدو هادئة عند بيعها، والتي لا تلبث ان تتحرر من ثملها وتعود الى طبيعتها وترفس صاحبها او احد عياله بعد ان يكون قد عاد بها مسروراً الى قريته. ومن الطريف ان بعض اهل اللد كانوا يمنعون بل ويحرمون على الفلاحين ركوب الجمال اثناء تجوالهم في المدينة تجنباً لكشف حسب الحريم الغافلات في ساحات الدور المحاطة بالواح الزينكو وقطع الصفيح والخشب اضافة الى خرابيش اكياس الخيش.

وفي اواخر الثلاثينيات التي شهدت تحولا نحو زراعة البيارات، فقد اخذ اهل القرية يصدرون الخضراوات الى مدينتي اللد والرملة، كالزهرة والجزر والبندورة والباذنجان، اضافة الى الحبوب، كالقمح والشعير والذرة والسوسم والكرسنة والعدس. اما الزيت، فكان التجار يأتون الى القرية لشراؤه من الناس من بيوتهم. وكانت الاسعار في حينها قليلة. وقد قال المرحوم ابراهيم كايد حسين، انه نزل مرة الى مدينة اللد بعربة يجرها زوج من الخيل ومحملة بالباذنجان من بيارتهم في ارض الوسطة، قبل ان يصادرها الانجليز لضمها داخل الكمب، بانه باع حمولة العربة جميعها بقرشين ونصف فقط، وقد اشترى بقرش ونصف بكيت سجائر، وبالقرش الباقي نصف كيلو هريسة اكلها على الطريق اثناء عودته الى البلد. كان البيع والشراء في المدن يتم بتبادل العملة، ووحدته الجنيه الفلسطيني. اذ ان الجنيه الذهب كان يساوي ٨٠ جنيهاً ورقياً، وكان الجنيه يسمى بين الناس بالليرة، اسوة بالليرة العسملية (العثملي) نسبة الى السلطان العثماني.

كما كان البيع والشراء عن طريق المقايضة (تبادل السلع) يسير جنباً الى جنب مع التبادل بالعملة، خصوصاً بين اهل القرى انفسهم، وكان يتم استيراد العنب والقطين على ظهور الجمال والدواب من القرى الجبلية المحيطة بمدينة رام الله، وتبديله بالقمح والذرة البيضاء والسوسم، وذلك عن طريق بعض التجار الصغار، امثال اولاد الاشقر من براغثة قرية كوبر، وعبد الرحيم حسن من فلاحى نفس القرية، كما تبادلوا السلع مع اهالي مزرعة شريتح (المزرعة القبليّة)، ومع اهالي قرية دير عمار المشهورين بالتين. اما داخل القرية، فكانت وحدة الشراء هي البيضة اذا لم تتوفر العملة مع ربات البيوت، اذ يتم تبادلها مع اصحاب الدكاكين بالكبريت والزعوط والتمر والخيطان واغراض المنزل اللازمة. ومن اشهر دكاكين القرية، دكان رشدي الخطيب ودكان البهلول في ساحة المطامير، ودكان مصطفى يعقوب، ودكان علي ويوسف رباح في حارة الشراقة، ودكان طالب الحيت التي كانت ملحمة ايضاً قرب المضافة، ودكان وملحمة حسين الحيت ومحمود شنيور. لقد عرف اهالي بيت نبالا نظام القروض من البنوك، فقد استدان بعضهم من البنك العربي في اللد بتحرير الكمبيالات، وذلك من اجل تطوير مشاريعهم الزراعية وشراء الكسارات، ولا يزال بعض الابناء يحتفظون بالكثير من هذه الكمبيالات في خزائنهم حتى هذه الايام، كذلك قامت حكومة الانتداب بمنح بعض الفلاحين قروضاً تتناسب مع حجم ما يملكون من ارض، وهي معروفة بين الناس باسم (كوته). اما التعامل بالربا بين الناس فلم يكن واضحاً، وانما كان يشار اليه احياناً من طرف خفي لدم بعض الناس واظهار نقائصهم عند الغضب.

لم يرتبط اهل القرية باية علاقات تجارية مع بدو جنوب فلسطين، وانما يتحدث كبار السن عن غزو لحقول الذرة من قبل بدو السبع، الذين كانوا يأتون الى قرى الوسط على ظهور الجمال بشكل مجموعات صغيرة، ويقطفون عرانييس



الذرة، ويملاؤن بها خروجهم ويهربون. اما عن علاقة اهل بيت نبالا باليهود، فقد قام بعض اهل القرية بمشاركة اليهود في بعض مشاريع الكسارات ومعامل الشيد، كما ان معظم السيارات التي كانت تنقل الحصمة والدبش من الكسارات تعود ملكيتها الى اليهود. وفي ثورة عام ١٩٣٦ و ١٩٣٩ التزم اصحاب المشاريع مع اهل البلد بالاضراب العام الذي اجتاح فلسطين، وان لم يكن الالتزام بالاضراب عند البعض بدافع الروح الوطنية، فلا بد ان يكون بدافع الخوف على مشاريعهم من النسف من قبل الثوار، الا ان علاقة اهل القرية باليهود ظلت موجودة، ثم انقطعت مع بداية المناوشات بين الطرفين اثر رحيل الانجليز عن فلسطين، وكانت هذه العلاقة محصورة في مشاريع الكسارات ومعامل الشيد فقط.

وفي النهاية، لا بد من الاشارة الى تجارة دخان الحطل (الدخان العربي) المحظورة تجارته لحماية السجائر الانجليزية، الذي كان يتم تهريبه من ام الفحم وقرى المثلث في الشمال الى بيت نبالا عبر طرقات ومسالك جبلية وعرة تحاشياً لضبطهم من قبل سلطات الانتداب البريطاني. وكثيراً ما كانت تصادفهم الضباع وهم يسرون ليلاً خلف حميرهم المحملة بالدخان.

### العمالة في القرية وفي كمب بيت نبالا :

لقد شهدت بيت نبالا مع بداية الاربعينيات حركة عمالة ممتازة لتوفر فرص العمل الكثيرة المتنوعة فيها، ليس لاهل القرية فحسب، بل للقرى والمدن المحيطة بها، ولبعض ابناء الدول العربية ايضاً، وذلك بسبب الاعمال الزراعية النشطة في القرية، ووجود الكمب، وحوالي ٣٠ كسارة عاملة، اضافة الى اعمال البناء التي لا تخلو منها اية قرية على مدار العام. فكان جهد اهل القرية موزعاً في عدة

اتجاهات. فالنساء يعملن في الحقول جنباً الى جنب مع الخدامين الذين لا يخلو بيت تقريباً من وجودهم فيه، وهم مرابعون، كانوا يأتون الى البلد من جبل الخليل ونابلس وقرى رام الله. اما الرجال، فكانوا يديرون الكسارات ويشرفون على مشاريعهم الاخرى وهم يشربون الاراجيل المتوهج تتباكها بحجر قراقيد الحطب. واما الشباب، فكانوا يعملون في الكمب ونافي الجيش البريطاني. وقد كان العمل متوفراً لدرجة ان الدور لحق الفتيان والفتيات الصغار الذين سيروا الجمال المحملة بالزلط والحجارة من وادي الصرار لتزويد الكسارات بها. وكانت هذه الحجارة تعباً في صندوقين كبيرين من الخشب على جانبي ظهر الجمل، ويتم تفريغها في الموقع بفتح قاع الصندوق المشبوك بمزلاج. فتهر منه الحجارة دفعة واحدة. وعند كل صباح، لم يبق في البلد سوى العجائز والاطفال الصغار الذين هم دون سن المدرسة فقط.

كانت العمالة في الكمب تحتل الترتيب الثالث من حيث الدخل الاقتصادي لاهل القرية بعد الزراعة والكسارات، وقد اقامت حكومة الانتداب هذا المعسكر الذي يعرف بكمب بيت نبالا عام ١٩٤٠، على حافة الاسفلت الرئيسي من الجهة الغربية الذي يمر بمحاذاة القرية على بعد خمسمائة متر من بيوتها، وعشرين متراً فقط من حديقة المدرسة، وقد اقيم على ارض منبسطة على الحد الذي يفصل الجبل عن السهل على مساحة تقدر بحوالي الف دونم. وقد اعتبرت اراضيها من اجود واخصب اراضي القرية الزراعية، وقد ضم هذا المعسكر اراضي الوسطة والخماس وقطعة البوسة، وقام الانجليز باحاطته بالاسلاك الشائكة.

وقد بلغ عرض السياج حوالي خمسة امتار، أي سياج داخل سياج يتوسطهما لفات لولبية من السلك الشائك متراص الثغرات، يتناسب والاهمية الامنية



التي تجدر بمستودع يعد من اعظم واكبر المستودعات لا في فلسطين، وانما في الشرق الاوسط، ويليه في الترتيب كمب صرفند من حيث الضخامة. لم تراع حكومة الانتداب باقامتها هذا الكمب مصالح اهل القرية ومشاريعها الزراعية التي تعتبر المصدر الاول والرئيسي للغذاء الذي يحافظ على حياتهم، فضم حقول قمح وبيارات كانت في بواكير نموها، مثل بيارة دار الحاج كايد حسين صالح في ارض الوسطة، كما كانت الاراضي غير المشجرة مزروعة جميعها بالقمح والشعير. وبدون رحمة بدأ الانجليز باقتلاع الاشجار ودهس السنابل الخضراء بسبب شق الطرق واقامة المشاغل والعنابر الكبيرة المعدة لتخزين اللوازم التي تحتاجها الجيوش البريطانية المنهمكة في الحرب العالمية الثانية.

وبالرغم من الكارثة الزراعية التي لحقت بأهل القرية من اقامة هذا المعسكر الذي ابتلع اجود الاراضي، الا ان وجوده قد وفر لاهلها فرص عمل معقولة، ويقدر صالح عابد عدد الذين عملوا في الكمب من ابناء القرية وحدها حوالي ٣٠٠ عامل ومستخدم من اصل خمسة الاف عامل من القرى والمدن الفلسطينية والبلاد العربية واليهود والاسرى الطليان.

ويقول صالح محمد عابد : كنت مسؤولا عن عشرين عاملا، يقومون باعمال تحميل وتنزيل الاخشاب والحديد والواح الصاج، وجميع المواد التي تستعمل في تصنيع المعدات اللازمة للجيش البريطاني في حربه ضد دول المحور في الشرق الاوسط، وقد عمل معنا الكثير من ابناء القرى المجاورة، مثل دير طريف والحديثة وبدرس وقبية وشقبة ودير ابو مشعل ودير قديس وقولية والمزيرة وطيرة دندن وعمواس والقباب ويالو وبيت نوبا واللطرون، عدا عن المصريين والسوريين. واضاف : عندما كان يقل عدد العمال في الكمب في مواسم الحصاد،

او بسبب انشغال العمال في اعمال الزراعة في قراهم، كنت اركب سيارة واذهب الى قرى نابلس لابحث عن عمال هناك. وكان رئيس العمال يتقاضى في اليوم ٧٦،٥ قرشاً، اما اجرة العامل، فكانت ٥٢ قرشاً. وقد وصل اعلى رتبة عبد الهادي عابد، وهي رتبة باش رئيس، وكان هذا مسؤولاً عن رؤساء العمال. كما كان بعض العمال يتقاضون اجورا اضافية اذا زادت ساعات عملهم عن الساعات الرسمية المقررة.

اما اليهود، فكانت معظم وظائفهم ارقى من وظائف العمال العرب بشكل عام، فهم اما في وظائف ستورز كبير (امناء مستودعات)، او تشكرز (مفتشين).

كان العمل في الكمب يقسم الى اربعة اقسام وهي : المحادد والمناجر والسبلاي (التموين) وال DCRE. وكان الجو السائد فيه هو العمل باستثناء الحراس المسلحين عند مداخل الابواب وعلى منصات الابراج في الداخل وخلف السياج الذين كانوا يطلقون النار على كل من يقترب منه في الخارج، وقد قتل من جراء ذلك بعض اهل القرية كالمرحوم احمد شريف الذي كانت يده مقطوعة، كما جرح العديد. اما الحامية العسكرية وقيادتها المكلفة بالحراسة، فكانت تقيم في معسكر مستقل على حافة الاسفلت من الجهة الشرقية في ارض القني، ولا يبعدان عن بعض سوى مسافة عرض الشارع فقط، حيث كان يربط فيه جنود من جنسيات مختلفة من المستعمرات التابعة لبريطانيا، كالهنود المسلمين والسيخ، او من الافارقة كالسنجال وغيرهم، اضافة الى الاسكتلنديين المعروفين لاهل القرية باسم السكوتش.



وقد انخرط بعض شبان بيت نبالا خارج الكمب كمستخدمين في النافي التابع للوحدات العسكرية البريطانية المتقلة في انحاء فلسطين وشرق الاردن ، مثل العرابي الذي عمل فور من (رئيس عمال)، وابنه عثمان الذي وصل رتبة ميجر، و خليل حسين عيدة، واحمد سليمان امانة في كمب صرفند، ومصطفى ابو دية، ومحمد ابو دية عمالاً، ومحمد شحادة سلامة رئيس حلونجية، واخوه حمودة شحادة سلامة على الكاونتر، ويقول الاخير: لقد كنت انتقل معهم اينما يحلون، وقد تزوجت عام ١٩٣٦ ونحن في ماركا شرق عمان، ولا يزال البيت الذي سكنت فيه قائماً حتى الان.

ولكثرة الاشغال في الاعمال الزراعية والكسارات والكمب، فقد عزف اهل القرية عن الانخراط في الوظائف الحكومية او سلك البوليس الاضافي، ونادراً ما كان البعض يلتحق بهذه الوظائف، مثل مصلح محمود الذي كان عامل مقص في سكة الحديد لتحويل وجهة القطار، وشخص اخر لبس في البوليس، ولكنه لم يستمر طويلاً لان اهل القرية كانوا يحتقرون هذه الوظائف ويتتدرون بها، وقد شاعت بينهم اغنية لا يزالون يرددونها حتى هذه اللحظة ومطلعها يقول :

يا لابس متطوع، جخة على طول  
والقمل على جنبه مثل قرون الفول  
والتي على اثرها عاف هذا المتطوع تلك الوظيفة، وخلع البدلة العسكرية منهياً خدمته. وفي مجال العمل الحر، فمن المعروف ان اهل القرية هم اصحاب مشاريع زراعية وكسارات، ولم يعمل أي من ابنائها اجيرين في المدن او نواطير عند اليهود او حمالين في مناطق مختلفة، ولم يصل تأثير العمل والوعي النقابي الفلسطيني الى القرية بالرغم من ان مشاريع الكسارات والاعمال الزراعية المختلفة في القرية كانت تستقطب الكثير من العمال الوافدين الى بيت نبالا، والذين كانوا يخضعون للعرف في تقاضي اجورهم، الا ان هؤلاء العمال كانوا يتضامنون مع

الاحداث التي تدور من حولهم بصورة عفوية، وقد ظهر ذلك جلياً في اضرابهم عن العمل في الكمب لمدة يومين عندما شاع بينهم خبر مقتل جميل الطريفي، كما كانوا يتأثرون بما يقع في فلسطين من احداث بشكل عام، خصوصاً اضراب عمال السكك الحديدية عام ١٩٤٥، الذي كان تأثيره كبيراً على حكومة الانتداب، وانتهى بتلبية مطالب المضربين لاهمية اعمالهم الفنية التي لا غنى عنها، بعكس عمل الكمب الذي يحتاج الى مهارة، ويمكن الاستعاضة عنه بأية قوة عاملة اخرى. ومما يلفت النظر ان احداً من اهل القرية لم يعمل في مهنة اصلاح هذه الكسارات بل كانوا يلجأون الى ورش المدن لاصلاحها عند تعطلها، خاصة في الامور الدقيقة.



## الحرف والاعمال اليدوية :

لقد برع بعض ابناء القرية في اتقان عدد من الحرف والاعمال اليدوية بدافع من الحاجة الملحة التي املتها عليهم طبيعة حياتهم الزراعية، او كانت استمراراً لمهنة متبعة يتوارثها الابن عن الاب، او ان الظروف الاقتصادية الجديدة التي نشأت في ظل حكومة الانتداب البريطاني قد اوجدتها مثل الكسارات. وكان معظم اصحاب هذه المهن يمارسونها في احواش بيوتهم مثل مهنة النجارة التي تعتبر من اقدم المهن في القرية، والتي نشأت في الاصل لصناعة وصيانة الاشياء الضرورية التي يحتاجها ابن القرية، مثل عود الحراث والنير ولوح الدراس والمساس والقعاديات والسلالم وابواب البيوت والاحواش ورحاحيل الجمال والوتاد، كذلك السناكيل الخشبية التي توضع على جانبي ظهر الحمار او البغل او الجمل لنقل جالونات الماء وحجارة البناء. ثم تطورت هذه المهنة الى عمل صناديق العرايس، وسرر الاطفال، وحوامل الفراش، وصيانة عربات الخشب التي تجرها الخيول، وصناعة عكازات المتقدمين في السن التي يسميها اهل القرية الدوتشان او المحجانه، كما عملوا العاب الاطفال مثل الفرافير التي تدور بسرعة بواسطة شد الخيط او ارخاؤه، وقد برع في مهنة النجارة قبل الرحيل كل من ابراهيم محمود احمد مصلح وعبد الرحمن ايوب.

اما مهنة الحدادة، فقد مارسها في القرية شخص واحد فقط وهو عثمان محمد رباح (الغرابي)، الذي كان يقوم بصرف الفؤوس والعتلات وسكك الحراث والبنسات التي تستخدم لنقر الثقوب في محاجر الكسارات التي كانت تعبا بملح البارود لتفتيت الصخور اللازمة لطحن الحصمة والناعمة.

اما مهنة البناء فقد عمل فيها بعض ابناء القرية المهرة في بناء الحجر المقصب مثل الشيخ محمد مخش والحاج صالح رباح وعفانة ياسين الذي اعتزل هذه المهنة والتحق بصفوف الثورة التي عصفت في فلسطين عام ١٩٣٦. كما عمل في القرية بناءون اخرون من غير اهلها زمناً طويلاً مثل يوسف حمد من قرية دير طريف، وعودة المحمد من حمولة دار ابو عواد من بلدة بيرزيت، والذي قضى حياته في بيت نبالا يعمل دقيقاً للحجارة حتى ان انتماءه قد اصبح مزدوجاً لبيرزيت وبيت نبالا.

اما اعمال الخيطة والتطريز باليد، فقد اتقنتها معظم نساء القرية، حيث كن يعلم بعضهن بعضاً هذه المهنة خاصة الفتيات الصغيرات اللواتي يعشن في فراغ كبير بسبب عدم دخولهن المدارس، وينتظرن الزواج المبكر جرياً على العادة المتأصلة بين اهل القرية. وقد كانت لا تبور منهن واحدة، حتى الضريرات لحقهن الزواج لان رجال بيت نبالا كانوا مزواجين بطبعهم.

وقد ابدعت النساء في تطريز الوقايا والشطوات الموشاة بقطع العملة المعدنية العثمانية والفرنسية والفلسطينية، التي يترتب عليها بالضرورة تنقيب هذه القطع لقطبها على الوقايا والشطوات. وقد تخصصت في مهنة التنقيب الحاجة فاطمة عبد اللطيف والدة حكمت محمد خليل شقديح التي كانت تقوم ايضاً بحبك هذه القطع على ظهر الوقاة المسماة (الشكة) مقابل اجر متفق عليه. وكان بحوزتها لهذه الغاية عدة حديثة مكونة من سندان يشبه سندان الاسكافي ولكن قائمه اقصر بقليل، اضافة الى المطارق والسنايك الفولاذية اللازمة للتنقيب والتبشيم، حيث كانت تقصدها نساء القرية من شرقها الى غربها لهذا الغرض، بل ومن القرى المجاورة مثل دير طريف والحديثة وغيرها.



وقد عملت الكثيرات من نساء القرية بالاجرة في مهنة تطريز الثياب النسائية بالحريز وارجل سراويل التوبييت والمناديل مثل : سعدة مسعود صافي زوجة زيدان الخالدي، وشيخة امين زوجة العبد سعدة (ام الصابر) وهنية مسعود صافي زوجة يوسف علي نحلة. كما اشتهرت بالخياطة على الماكنة كل من مريم محمود خليل (ام وجيه)، وفاطمة الدبسة زوجة عمارة، وبنت ابو حجر الحلاق من ساكية وهي زوجة محمود ابو حسينة من بيت نبالا.

اما خياطة ملابس الرجال فقد اشتهر بها الشيخ احمد رشيد واولاده، كذلك الشيخ موسى من قرية ساكية، وكانت مخيطته في دار خليل كايد حسين، ويفتح بابها على الشارع العام. وكان هؤلاء يقومون بخياطة القناييز (الدمايات) والسراويل والاثواب القصيرة لمعظم رجال القرية باستثناء الوجهاء والمخاتير الذين كانوا يفصلون اطقمهم في مدينة اللد خاصة عند اولاد عبده الذين ظلوا يمارسون هذه المهنة حتى الان في مدينة رام الله وذلك بعد ان رحلوا عن مدينتهم الاصلية اللد عام ١٩٤٨.

اما مهنة الحلاقة فقد اشتهر بها من اهل القرية جمعة رضوان حيث كان يمارسها في دكان صغير في الحارة الشرقية من البلدة، وكان يحلق شعر اولاد المدرسة على الصفر بناء على تعليمات من مدير مدرستهم تجنباً لتفشي حشرات القمل في رؤوسهم. وكان جمعه رضوان يحلق للطالب او الرجل الكبير طوال العام مقابل مسحة من القمح او الذرة. وقد اشتهر من الحلاقين من غير ابناء القرية كل من ابو حجر من ساكية، والعطاري من قرية عطارة قضاء رام الله الذي قد ناسب

اهل القرية بتزويجه بناته الثلاث لكل من احمد علي صالح ومصطفى علي شقديح  
والشبلي الحيت.

لقد كانت ادوات هؤلاء الحلاقين بسيطة لا تتعدى كرسيًا خشبياً عريضاً  
ومرأة صغيرة وماكنة الحلاقة التي تضغط اذرعها باصابع اليد، ومقص الشعر،  
وموس الحلاقة الذي كان يتم شحذه على سير من الجلد مربوط الى ظهر الكرسي.  
كما لا ننسى هنا مهنة الخبيز حيث كان في القرية مخبران، واحد لدار عيسى  
صباحا، والثاني لدار ابو محمود الطفران (الباي) قرب المطامير الذي كان يعمل فيه  
عزات وهو من مصاروة القرية.

كما لا بد من الاشارة الى ان معظم نساء القرية وفتياتها كن يجدن عمل  
الاطباق والاقداح المختلفة الحجم من القش، والسلال من عيدان اشجار الزيتون،  
والاشكال المختلفة من طين الحور.

اما الحرف التي نشأت في القرية في ظل حكومة الانتداب التي كان  
ظهورها نتيجة طبيعية لدخول الكسارات الى القرية، فهي حرفة عمل قواعد  
الكسارات التي برع فيها سيف الدين، وكذلك مهنة ميكانيكي الموتورات  
(الميكانيست) واجزاء الكسارة الاخرى مثل: السعيد الشبوب، ومحمد سالم قطيفان.



## الكسارات ومعامل الشيد :

شهدت فلسطين في السنوات الاولى من حكم الانتداب البريطاني نوعاً من الاستقرار والهدوء، وعززت بريطانيا هذا الاستقرار بتوفير فرص عمل للناس بتشغيلهم كمستخدمين في معسكرات الجيش والنافي، او في الانخراط في سلك البوليس الاضافي والوظائف العامة، او في المشاريع الانشائية التي تخدم وجودهم وامنهم مثل توسيع بعض الطرق الرئيسية والسكك الحديدية الضيقة التي اقامتها الدولة العثمانية. وقد اوجدت الحكومة البريطانية بذلك مناخاً مناسباً لتحسين وضع الناس الاقتصادي، بالرغم من السلوك العسكري القاسي الذي تميز بالصرامة الشديدة في ايقاع اقصى العقوبة على كل من يمتلك سلاحاً. ومما ساعد على وجود الاستقرار في فلسطين ان الناس كانوا يعيشون في هذه الفترة في حالة تأمل وترقب ومقارنة بين حكم الاتراك المتخلف الذي كان يأخذ ولا يعطي، وبين وجود الانتداب الذي بدأ يبهر الناس بادخال كل جديد الى فلسطين خصوصاً الات الانتاج التي تخدم وجودهم في البلاد مثل الكسارات والحصادات والجرارات الزراعية ومضخات المياه للابار الاتوازية. ومن المعروف تاريخياً ان وجود الاستقرار في أي مكان يعقبه في العادة اعمار وبناء، ومن هنا نشأت فكرة ادخال الكسارات الى البلاد وخاصة الى قرية بيت نبالا التي سمحت طبيعة الصخر في الجزء الجبلي من اراضيها في انتاج الحصمة والدبش، اضافة الى قربها من المدن والقرى الساحلية التي شهدت نهضة عمرانية في اوساط العرب واليهود في ظل هذا الهدوء. وقد اقيمت اول كسارة عام ١٩٣٢ في الجزء الجنوبي من اراضي القرية في مجرى وادي الصرار المليء بالزلط القاسي ذي الجودة العالية لانتاج الحصمة. وقد عادت ملكية الكسارة الى الحاج حسن علي صالح وشريكه مصطفى طه صافي، وكانت هذه الكسارة مركبة على شاصي حديد متقل، وقد تجمع الناس حولها يشاهدونها



وهم في حالة من الذهول والاستغراب وهي تبتلع الحجارة في جوفها وتخرجها حصمة، مثيرة حولها زوبعة من الغبار الابيض. ولم يمض عام على اقامة هذه الكسارة في وادي الصرار حتى اقيمت بجانبها كسارة ثانية للحاج محمد طه والد المرحوم محمود زكية وشريكه الشيخ احمد رشيد. واصبح وجود هذه الكسارات حول البلد واقعاً مالوفاً للرائح والغادي من الناس، بل واكثر من ذلك فقد اصبحت المرأة تعمل جنباً الى جنب مع الرجل بنقل القفف المليئة بالزلط على رأسها والقاء ما فيها الى حلق الكسارة. وعندما شعر اهل القرية بأن وضع اصحاب هذه الكسارات الاقتصادي قد تحسن، دبت الغيرة في قلوب بعضهم مما حدا بهم الى بيع ذهب زوجاتهم للمشاركة مع اخرين في امتلاك قيراط او اكثر من كسارة. ومن هنا فقد بدأت تظهر هذه الكسارات في جنبات القرية وخاصة في الجهة الغربية الشمالية على الطريق العام بين البلدة وقرية دير طريف، عند السفح الغربي لظهر الجبل المعروف بقرنة الارانب. وقد فتحت فيه المحاجر وركبت على مداخلها كسارات البلكات الثابتة التي كانت اكثر تطوراً من حيث فرز احجام الحصمة بواسطة الغربال وازدادة سكك حديدية صغيرة تسير عليها الطرازينات التي تنقل الحجارة من عمق المحجر الى حلق الكسارة. وكان سيف الدين وهو من اهل القرية يقوم بعمل قواعد للكسارات الثابتة. لقد بلغ عدد الكسارات التي كانت تعمل حول القرية عام ١٩٤٨ وفق تقديرات صالح عابد حوالي ٤٥ كسارة تعود ملكية ٨٥٪ منها لاهل بيت نبالا، اما البقية فقد ملكها اهل دير طريف اضافة الى كسارة تعود لشخص من قرية ادنبة قضاء الرملة. وقد شارك عدد من اليهود مثل بوكاج ودميانوس وهارون، بعض اهل القرية في الملكية، كما كان بعض الاشخاص من اهل القرية يشتركون في ملكية كسارة واحدة او اكثر مثل كسارة مصطفى سالم قطيفان، وحسن علي صالح. وكسارة هارون الذي يملك نصفها والنصف الباقي يملكه احمد سليمان قطيفان ومحمود سليمان قطيفان ومحمود دعوس وحسن حمدالله. وكسارة صالح قاسمية



واخوه البعب قاسمية، وكسارة حسين خليل في وادي الصرار وكسارة عيد محمد سلامة والسعيد حسن عثمان، وكسارة عبد الرحمن طه واخوه صافي طه، وكسارة السعيد سليم واخوه محمد سليم، وكسارة السعيد الشبوب وغيرها الكثير التي لا مجال لحصرها. وقد اطلق على اسم المنطقة التي اقيم فيها مجمع الكسارات على طريق بيت نبالا دير طريف اسم (الطرنشة)، وقد سماها اهل القرية بهذا الاسم لان اصحاب الكسارات وضعوا ومن باب التباهي، مرتبانات زجاجية صغيرة او علب معدنية فارغة على فوهات مخارج عوادم الموتورات بعد تثبيت فتحتها على فوهة الداخون بشكل مائل، فيصدر عنها صوت صغير منتظم حسب تتابع الطرطرات ويأتي بصوت قريب من لفظ كلمة (طرنشة)، كما كان بعضهم يترنم بسماع دوجان موتور كسارته عند دخوله غرفة التشغيل ويتصور بانه يستمع الى صوت يشبه لفظ كلمة الله الله الله الله متتابعة تصدر عن دورات الماتور، وتشبه الى حد بعيد لفظ كلمة الله الله الله المتوالية التي يرددها الدراويش اثناء غيبوبتهم في حلقات الذكر. وقامت حكومة الانتداب البريطاني بربط الطرنشة بشبكة السكك الحديدية العامة في فلسطين بوصلة صغيرة لكي يسهل نقل حصمة بيت نبالا الى غزة في الجنوب وحيفا في الشمال، فكان القطار يأتي بالقاطرات الفارغة التي كان يسميها اهل القرية (الفراكين)، ويتركها على سكة الحديد المنصوبة على مداخل هذه الكسارات ثم يعود اليها في وقت لاحق ليسحبها معبأة الى جميع انحاء البلاد. لقد عمل اهل القرية في البداية في كساراتهم وخاصة النساء، ولكن عندما تضاعف عددها، صار العمال يردون اليها من كل حذب وصوب، فعمل فيها الكثيرون من جبل الخليل وقرى نابلس، والا ان غالبية العمال تشكلت في الفترة الاخيرة من قبل الهجرة، من الحوارنة القادمين من محافظة درعا في سورية، حتى اصبح العمل على الكسارات مقروناً باسم الحوارنة، وقد كان العامل العادي يتقاضى في اليوم اجرة مقدارها خمسة قروش فلسطينية والعامل المميز سبعة قروش. وكان وادي



الصرار يعتبر اكبر مصدر للزلط مع بداية انشاء الكسارات لسهولة جمعه عن الارض، ولكن عندما نفذت الحجارة المبعثرة في مجراه والقريبة من موقع العمل لجأ الناس الى فتح المباحش على جانبي الوادي لاخذ الحجارة المدفونة منذ الاف السنين مما كان يتسبب في بعض الاحيان بانهيارات ادت الى مقتل البعض من اهل القرية مثل : محمد العيفي، ومحمود الطفران، وحنونة موسى كاكأ، ووفيقه علي رباح.

اما مهنة تصنيع الشيد الابيض (اللتون) في القرية، فهي مهنة قديمة بسبب حاجة الناس لها لبناء بيوتهم وطراشتها ثم بيع الفائض عن الحاجة منها الى اهل المدن. وقد تخصصت بعض العائلات في انتاج هذه المادة بطريقة بدائية في اول الامر مثل: دار بدوان غانم، وذلك بحرق نتش البلان في مواقدها. ثم تطور الحرق في اخر عهد الانتداب البريطاني باستعمال البترول بدل من البلان الذي كان يستغرق جمعه من الوعر شهراً وذلك للحصول على وجبة شيد واحدة من هذا اللتون. ونذكر من اصحاب معامل الشيد المتطورة مصطفى طه صافي الذي انشأ معمله شرق جنوب القرية في روس الدالية الواقعة في الجهة الخلفية لمغارة البراغثية. لقد تمسك اهل بيت نبالا بعد هجرة ١٩٤٨ بمهنة الكسارات وخصوصاً الذين استقروا في عمان ورام الله منهم، وامتلكت نسبة كبيرة من اهل البلد كسارات او شاركوا فيها، حتى وصل الحال مع بعضهم ان اصبح من كبار المتعهدين في الضفة الشرقية وخاصة في مجال الخلطات الاسفلتية مثل الحاج عبد الحفيظ طالب الحيت واولاد اخيه المرحوم الحاج علي طالب الحيت، الذي لا يخلو شبر في شوارع عمان والزرقاء من فرشاتهم الاسفلتية، كما ان المحاجر الشاهقة التي تفتح افواهاها من الجانبين على شارع رأس العين ووادي الرمم تشهد على جبروت اعمالهم، واهل بيت نبالا معروفون لدى جميع الناس في الضفتين بتطويعهم للحجارة والمحاجر، ويغلب على حديثهم في البيوت والمجالس الكلام عن الكسارات والجرافات والقلابات



واسعار الحصمة. وهنا لا بد من ذكر قصة طريفة حدثت في عمان عام ١٩٩٦  
وتتلخص احداثها في ان سيدة شابة من بيت نبالا ذهبت الى عيادة طبيب، وجلست  
تنتظر دورها في صالة جلوس المرضى لحين انتهاء الطبيب من الكشف على  
مريض كان معه داخل الغرفة، وبعد قليل انفتح باب غرفة الطبيب الذي ظهر يسير  
خلف المريض ويضع يده على كتفه ويقول له : اطمئن يا اخي، فان مشكلتك  
بسيطة وهي عبارة عن وجود حصوة صغيرة في المرارة. وما كان من الرجل  
المريض الا ان وجهه نظره نحو الطبيب باستغراب، وسأل : يعني اللي معي  
حصمة كسارات يا دكتور ؟ وعندها ضحك الطبيب ضحكة عالية، وانصرف  
المريض الى حاله. فاستنتجت السيدة من خلال الحديث بان الرجل المريض من  
بيت نبالا، وقد تأكدت من ذلك بعد ان سألت الطبيب عن بلد هذا الرجل المريض  
الذي لم تتمكن من معرفته بحكم التشتت الذي اصاب الناس في هجرتهم.

## الفصل الرابع

### الحياة الاجتماعية



## الفصل الرابع

### الحياة الاجتماعية

#### وصف عام للقرية، هيكلها وتنظيمها:

تقع القرية فوق تلة منبسطة على الحد الفاصل بين السهل والجبل، وتعتبر من ضمن قرى فلسطين العرقية، أي القرى اللاتنة لعروق الجبال من الجهة الغربية. وقد اتخذ مخططها التنظيمي شكل المتسطيل من الغرب الى الشرق، فبعد ان وصل امتداد القرية شمالاً وجنوباً الى ضفتي الواديين. (انظر الخارطة التنظيمية المرفقة). وتشكل كل من نوادة السطح من الجنوب والنوادة الشامية من الشمال جناحين منبسطين للقرية، حيث يفصل وادي كريكعة بين نوادة السطح وبيوت القرية، اما النوادة الشامية فتعتبر امتداداً لارض القرية ويحاذيها الوادي الشامي من الشمال. ومن اراد دخول القرية من الجهات الشمالية والغربية والجنوبية، فعليه ان يقطع الوادي الشامي او وادي كريكعة اللذين يحصران البلدة من الجهتين الشمالية والجنوبية ثم يتوحدان غربها، اما الداخل اليها من جهة الشرق فانه يسير على ارض منبسطة ليس فيها صعود او نزول. واحسن وصف لموقعها، ان الرجل المسن الذي يعاني من ضيق في التنفس لا يشعر باية مضاعفات متعبة عندما يدخلها من الجهات الثلاث الشمالية والغربية والجنوبية، بسبب انحدارها الخفيف باستثناء طريق السحيلة التي تبدأ بالنزول من امام دار موسى الرطانة نحو وادي كريكعة، وهي مسافة قصيرة جداً. ويخترق القرية شارعان رئيسيان من الغرب الى الشرق، وتتفرع عنهما بقية الشوارع الاخرى الى جميع اطرافها. وفي اواخر فترة الانتداب البريطاني وصلت مساحة بيت نبالا الى ١٢٣ دونماً، معظم بيوتها متلاصقة ومبنية من حجر. وجميع طرقاتها ترابية وغير معبدة، وترتبط هذه

الطرق البيوت والاحواش بالاماكن الرئيسية مثل : المقبرة والجامع وبير البلد والمضافة والنوادر (البيادر)، وبابور الطحين، وبابور وماكنات فرز الزيت، كما تتصل بالمسالك التي تؤدي الى الاراضي الزراعية المحيطة بالبلد. كانت معظم طرقها الداخلية الرئيسية عريضة ويبلغ متوسط عرضها (٥-٦) امتار. وكانت هذه الطرق تنتفخ في بعض المواضع لتصبح ساحات واسعة مثل ساحة المطامير في الغرب، وساحة المقييل في الشرق، والساحة المحيطة بدار الزغلول في الوسط، وغيرها الكثير من الساحات. ثم تستمر هذه الطرق من الساحات محافظة على عرضها المؤلف سالف الذكر حتى تتفرع منها الدخلات الاقل اتساعاً، التي تقود الى البيوت والاحواش. وبصورة عامة، فقد كانت السيارات الكبيرة وعربات الخشب الزراعية التي تجرها الخيول تتحرك بحرية تامة في معظم طرقها الداخلية، كما كانت تتسع لمواكب الاعراس والجنازات التي كانت تسير في مقدمتها احياناً فرقة العدة التي تفرع الطبول، وتحنن على المصنجات، وترفع الاعلام خاصة اذا كان المتوفى من الرجال الصالحين، كما وكانت هذه الطرق تعج بقطعان العجال مع بزوغ كل فجر، او عندما تاذن الشمس بالمغيب. كان يتوسط القرية مضافة كبيرة مبنية من حجر وسقفها معقود على النمط العربي، وهي تتألف من طابقين، وتقدر مساحة الطابق الواحد حوالي ٥٠ متراً مربعاً، يحيط بها من الشمال والغرب ساحة واسعة. وكان الطابق العلوي يستعمل لنزل الضيوف الوافدين على القرية، واما الطابق الارضي فهو لايواء دوابهم واحمالها اذا كانت محملة. وكان معظم اهل القرية يتعاونون ويخرجون لهؤلاء الضيوف الطعام عند كل وجبة. كما كان يعقد فيها الاجتماعات العامة لجميع الحمائل، ويقوم الانجليز احياناً بمعاينة وضرب رجالها بالكرابيج في ساحتها عندما كانت تقع طوشة بين حمائلها، وكان عويلهم يترامى الى اسماع البيوت المجاورة في دار طالب الحيت ودار الحاج حسين صالح. وقد انشئت فيها اول مدرسة عام ١٩٢١، وكان معلمها الوحيد الشيخ عبدالله يعقوب



من قرية بدرس، ونذكر من طلاب تلك السنة اسماعيل سليمان قطيفان، و خليل كايد حسين والذي كلفه الشيخ عبدالله بحمل مفاتيحها، وقد قال "تغيبت في احد الايام عن المدرسة، وذهبت الى احد حقول القمح لاعمل فريكة لاكلها، وكانت مفاتيح المضافة معي، وعندما حضر الشيخ عبدالله على حماره صباح ذلك اليوم ووجد المدرسة مغلقة والطلبة في حيرة من امرهم، فارسل طلابه للبحث عني، واهتدوا الى مكاني حيث كنت ادق طاقتي المليئة بالفريكة بحجر صغير لافصل الحب عن السبل، فامسكوا بذراعي واقتادوني الى الشيخ عبدالله الذي ذبحني من القتل".

وكان بئر البلد وهو المصدر الرئيسي لمياه الشرب يقع الى الغرب من المدرسة بانحراف بسيط الى الشمال، ولا يبعد عن الكعب اكثر من ثلاثين متراً، وهو بئر ارتوازي تعمل عليه مضخة كبيرة يشرف عليها السعيد الشبوب، وهو الميكانيست الذي كان يقوم باصلاحها عندما تتعطل. وكان على هذا البئر خزان ماء كبير في اسفله حنفيات، والى جانبه بركة ماء قليلة الارتفاع، تغطس فيها الاغنام لتطهيرها من الامراض المعدية بعد ان يضاف الى مائها محاليل بيطرية. وكانت الطريق التي تصل القرية بالبئر تشبه طريق النمل لكثرة النساء والصبايا الرائحات والغاديات وعلى رؤوسهن الجرار والعسلات المملوءة بالماء، ومن خلفهن يسير الاطفال حفاة الاقدام تلسعهم حرارة رمال الطريق (الصماتة) في عز الصيف.

اما المقبرة فتقع غرب القرية مباشرة، ولا يفصلها عنها الا الطريق العام وجامع السلطان عبد القادر، المقام على جزء من ارضها بمئذنته العالية التي ترى بوضوح من قرية دير طريف والحديثة واراضي بيت نبالا المحاذية لمدينة اللد. وكانت غالبية القبور مرتفعة عن الارض ومبنية بالحجر والشيد، تعلوها الشواهد البارزة، وكان ظهر بعضها محدباً مصقولاً على هيئة مقطع طولي لثلث برميل كبير



املس يذكر من يشاهده بظهر البيضة، وكان معظم اهل القرية يتجنبون دخول المقبرة بعد الغروب بسبب ما كان يشاع بينهم عن رؤية قط اسود يهيم بين القبور، كما اشيع بينهم مرة عن سماع انين ينطلق من قبر المرحوم احمد البرقة (ابو نظمي) مختار حمولة الشراقة بعد وفاته.

كانت اشجار الزيتون المعمرة تحيط بالقرية من جميع الجهات، ولم تبعد هذه الاشجار عن البيوت الا قليلاً، وكانت مناطقها مألوفة للصبيان في الجهة الغربية مثل: البرك، وتعميرة دار سليمان امانة، وكرم ابو حدوش، وقطاع الجندي، والدريس، والحمرية، وزيتونة بيت قوفا. التي كانت تقع تحت بصرهم صباح مساء لوقوعها على الطريق التي تربط القرية بالمدرسة وبير البلد. كما كان يحيط بالقرية نبات الصبر، وعلى بعد اقل من بعد اشجار الزيتون. هذا الصبر الذي لا يزال صابراً وصامداً في معظم منابته القديمة مثل اطلال هياكل المدن التاريخية حتى هذه اللحظة والذي لا يزال يأكل من ثمره كل من يزور الموقع مع نضوج الثمر، مثل ام مية ابقى الله ضرعها حياً لانقاذ حياة وليدها.

كانت القرية مزدانة باشجار السدر، التي ياكل عنها الناس ثمار الطعامير، وقد ارتفعت هذه الاشجار في الفضاء بين جنبات البيوت من شرق القرية الى غربها. ومن اشهرها سدرة دار عبد الرازق القرية من بيوت دار النخلة والتي يرد ذكرها كثيراً في احاديث كبار السن من اهل القرية الذين شاهدوها في صغرهم، فأخذوا يقارنونها بسدرة المنتهى التي ورد ذكرها في القرآن الكريم، وقد ظلت تلك السدرة بأغصانها مجالس الشيوخ امام محلقة ابو حجر، وقد كانت عصافير الدويري تشفشق على غصونها، واذا ما رفع الجالسون تحت الشجرة نظرهم الى اعلى رأوا من فجوات فروعها سماء الصيف الصافية. كذلك اشتهرت في بيت نبالا سدرة



الزاوية القريبة من بابور طحين دار قطيفان، والسدرة الواقعة جنوب دار موسى الرطانة بجانب تينة السحيلة، والسدرة التي كان يتسلقها (المقرية) طلاب مدرسة القرية عند الذهاب والاياب على الضفة الشرقية لوادي كريكعة غرب الحميرية، وغيرها وغيرها.

اما ساحات القرية فكثيرة وواسعة، نذكر منها ساحة المطامير في الجهة الغربية من القرية، والتي سميت بهذا الاسم لوجود المطامير الكثيرة فيها، والتي هي عبارة عن ابار لتخزين الحبوب في سنوات الغلال. وكانت تقام فيها "السحجات" في الصيف ايام الافراح بعد ان تضاء "بلكسات" الكاز وتنصب على مواقد طناجر الشاي، وتعبّر من اطرافها بعض الصبايا بدلال وحياء حيث تلمحن اعين الشباب بثيابهن البيضاء المطرزة، فيتبدن لهم، بين النور والظلام مثل ظييات تتوارى خلف الصخور عند المغيب. كانت ارض القرية تعج بأبار الجمع التي تمتلئ في الشتاء من مياه الطرقات وتستعمل لسقاية الدواب وغسيل الثياب وبناء البيوت. وقد قسمت هذه الابار بين خاصة وعامة، نذكر منها على سبيل المثال: بئر الخيل على طرف النوادة الغربي الجنوبي، وبئر حسين شرق البلد، نسبة الى حسين ابن عابد الذي تالق نجم والده زمن تسلط القيسييين المرعب على البلد. وبئر البرشة الذي يقع شرقي البلد في ارض دار دينة من حمولة الشراقة. ولا يفوتنا في هذا الوصف ذكر الطوابين في القرية التي كان يوازي عددها ثلث وربع عدد البيوت، والتي كان دخانها يزكم الانوف عند تزييلها في المساء، ويتعالى بلونه الازرق في السماء ممزوجاً برائحة اطواس المدموس والبامية المدفونة في ساساتها، والتي كان يعبق طبيها في خياشيم الجائع عن بعد. لقد شهدت جلسات الطوابين الكثير من النوادر الطريفة بين سكان القرية خاصة في ايام الشتاء، كان يتندر بها الحضر من اهل مدينة اللد عند لقائهم مع مخاتير القرية.

كانت النواذر (البيادر) الشامية ونوادر السطح تشكلان جناحين للقرية من الشمال والجنوب، وتربو مساحة كل واحدة منها على عشرة دونمات وجميعها ارض منبسطة تتسابق فيها الخيول وترعى فيها الحمير ايام الربيع. ويطرح فيها اهل القرية حصادهم من القمح والشعير والسّمسم والذرة ايام الصيف مع مراعاة الحدود المتعارف عليها فيما بينهم. وكانت تثبت فيها ايام الشتاء جميع انواع البقول البرية الصالحة للطبخ مثل: الخبيزة والبقيلية ورجل العصفورة وبعض انواع الفطر، كما نبت على اطرافها نبات الخرفيش والقريص، خاصة في السنوات الماطرة. يضاف الى هذا ما كان ينبت في المساحات الخالية بين البيوت من بابونج وخلة واقحوان خصوصاً على المزابل واطرافها، كما كانت الطحالب تعلق جدران بعض البيوت او ظهور بعض السقايف القليلة بين البيوت الحجرية الغالبة. وكانت سماء القرية تعج باسراب الحمام وعصافير الدوري التي تتردد على نوادر السطح والنوادر الشامية بحثاً عن الحبوب في ايام الدراس، حيث تذهب خصاصاً وتعود زغاباً. وطيور السنونو تنزلق سريعة في الهواء فوق الحارات التي تقوم بعض نساؤها بغربله العدس، لالتقاط حشرات السوس المتطايرة من الحبات التالفة. كانت معظم البيوت لا تخلو من الدجاج البياض، وهو ينبش التراب ويتحمم من عفيره باسترخاء وامن في جنبات الحواكير تحت رعاية الديك. الا ان صيوانها كانت تتعرض لغارات الصقور التي تسكن الاوكار في جدران البيوت المرتفعة والعاليات الشاهقة وخاصة جدران المضافة.

كانت البلاد مقسمة الى مناطق نفوذ، تحكمها زعامات الاطفال الذين يعيشون دائماً في حالة حرب بين الحارات المختلفة، وهم يتسلحون بقصب الذرة المطروح في شوارع القرية تحت اقدام المارة. وكانت الفتيات الصغيرات يلعبن على عتبات



الاحواش بشعرهن الاشعث، والعجائز يتبادلن نشقات الزعوط بنفوس راضية  
وقلوب مطمئنة عبر الازقة في ظل جدران البيوت واسوار الاحواش العالية.

ويمكن تقسيم نمط البناء في القرية الى ثلاثة اقسام وهي :

**اولاً : الاحواش الرئيسية الكبيرة** المحاطة بالبيوت القديمة العالية من جميع الجهات،  
والتي تعتبر جدرانها الخلفية الخالية من النوافذ بمثابة السور الذي يحيط بالحوش  
الواحد، وله بوابة رئيسية واحدة لجميع من يسكن بداخلها، وتفتح ابواب هذه  
البيوت متقابلة على ساحة الحوش من الداخل، ويعلو كل باب فتحة صغيرة تسمى  
هلالاً لتهوية البيوت اثناء نوم الناس ودوابهم بداخلها. وكانت هذه الاحواش بمثابة  
قلاع حصينة في فترة الحروب بين القيس واليمن، وذلك لضمان حياتهم وحماية  
ماشيتهم، وشكلت هذه الاحواش بمجموعها البلدة القديمة. ومن اهم هذه الاحواش  
نذكر :

أ- **حوش السباط** : يقع خلف دار مرعب ودار الشبلي الحيت من الجهة الشمالية،  
وتفتح بوابته نحو الشمال، ويضم بداخله دار علي قاسمية ودار حسن حمدالله  
واخوانه محمد حمد الله ويوسف حمد الله، ودار احمد العرايشي والشيخ احمد رشيد  
والعبد الحنفي وسليم داهود وعمر كركور.

ب- **حوش الزعوط** : يقع شمال دار حسين خليل يوسف، ويفتح بابه نحو الغرب،  
ويضم بداخله دار حمود الزغاري وعيشة مرزوق، واحمد طبطب والغزاوي رشيد  
وعبدالله بقله.

ج- **حوش البلاط** : ملاصق لحوش السباط من الجهة الشرقية وبوابته تفتح نحو  
الشرق ولا تفصل بين البابين سوى زاوية البناء ويضم بداخله دار كل من : محمود  
مطلب، وسالم رشيد حسن، ودار عليان وحميدان مخلوف و خليل الحلاقة وصالح  
عبد العزيز ويوسف مصطفى.

د- حوش دار الشاعر : بجانب حوش البلاط من الجهة الشرقية، وبوابته تفتح الى الشمال، ويضم دار كل من محمد العنطيل وسالم الاحول وتيم قاسم واخوه ودار مصطفى البليج.

ه- حوش دار النخلة : بوابته تفتح نحو الشرق، ويضم بداخله دار كل من ابراهيم محمود واخيه خليل محمود وعبد القادر خليل واحمد طايح والعبد طايح ومحمد موسى علي وعبد الجليل عودة.

ثانياً : الاحواش الصغيرة وتضم هذه الاحواش عدداً اقل من البيوت مقارنة بالاحواش الكبيرة انفة الذكر، وتتميز هذه الاحواش بصفة عامة بان ملكيتها تعود لاسر تتحدر من جد واحد. ويحتل هذا النمط من البناء الغالبية العظمى من مساحة القرية المحدودة والمحصورة بين الواديين من الشمال والجنوب. وقد انشئت هذه الاحواش في الارض الخالية ضمن ما يعرف بالبلدة القديمة او المحيطة بها، وذلك بعد ان شعر الناس بالامن والهدوء النسبي على اثر انخفاض حدة هجمات الجرود القيسيين على القرية. ولكن هذا النمط من الاحواش كان ضرورياً لهذه الاسر لضمان امن ماشيتهم التي نادراً ما يخلو منها بيت في القرية.

ثالثاً : البيوت المستقلة اقيم هذا النمط من البيوت في مرحلة متأخرة على اطراف القرية وخاصة في نوادة السطح وذلك في عهد الانتداب البريطاني. وكانت غالبية هذه البيوت محاطة بسياج عادي لمنع الدواب من الدخول الى ساحاتها، ومعظم اصحابها هم ممن هجروا الاحواش القديمة او من ابنائهم الذين ضاقت بهم المساكن القديمة. ونذكر منهم دار مصطفى طه، ومحمود فنون، ومحمود القرعة، ومصطفى خليل خالد، وعطا الحاج يوسف، ومحمد اسماعيل، ومحمود مسعود خالد، ومحمد الطرشة، ومحمود زكية وعبد المجيد طه، وظاهر شقديح وحكمت شقديح، وخليل محمود صافي، ويوسف علي نخلة، وغيرهم الكثيرين في الجهات الاخرى من القرية.



## السكان :

اول الارقام المتوفرة عن عدد سكان قرية بيت نبالا في العصر الحديث وردت في كتاب د. كمال عبد الفتاح مع د. وولف هيتروث "الجغرافية التاريخية لفلسطين وشرق الاردن وجنوب سوريا في اواخر القرن السادس عشر" حيث قدر عدد سكان بيت نبالا عام ١٥٩٦ بـ ٢٧٠ نسمة<sup>(١)</sup>. وقد حصل الباحثان على الرقم المذكور من دفتر الضرائب الخاص بلواء غزة الذي كانت ناحية الرملة تابعة له في ذلك العهد. واذا اخذنا بالاعتبار النمو السكاني في فلسطين، الذي كان بطيئاً ما بين القرن السابع عشر والتاسع عشر، بسبب انتشار وباء الطاعون، الذي كان يتكرر كل عشر سنوات تقريباً ويحصده ٥٠٪ من سكان المنطقة والعالم، فاننا نقدر ان عدد سكان بيت نبالا قد كان في حدود ٥٠٠ نسمة عند منتصف القرن التاسع عشر. ولما شهدت فلسطين في النصف الثاني للقرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين ظاهرة القضاء على وباء الطاعون وبعض التحسن في الظروف الصحية والاقتصادية والامنية، فان عدد سكان بيت نبالا وصل ووفق احصاء السكان الاول الذي اجراه الانتداب البريطاني عام ١٩٢٢ الى ١٣٢١ شخصاً، مقسومين الى ٦٦٤ من الاناث و ٦٥٧ من الذكور<sup>(٢)</sup>. اما في التعداد السكاني الثاني الذي جرى عام ١٩٣١ فقد وصل عدد سكان بيت نبالا الى ١٧٥٨ شخصاً من بينهم ٨٨٢ ذكور، و ٨٧٦ اناث. والجدير بالذكر ان سكان بيت نبالا كافة هم مسلمون. اما عدد بيوت القرية فقد وصلت في عام ١٩٣١ الى ٤٧١ بيتاً<sup>(٣)</sup>. بمعنى ان الكثافة السكانية الوسطى بلغت في بيت نبالا ٣,٧ شخص في البيت الواحد. اما الرقم الرسمي الثالث والآخر الذي ورد عن عدد السكان فقد صدر في الارقام الاحصائية التي اصدرتها حكومة فلسطين عن ملكية الاراضي وعدد السكان عام ١٩٤٥

لصالح اللجنة الامريكية التي وصلت الى فلسطين عام ١٩٤٦ للبت في مصير الديار الفلسطينية، وقد قدر عدد سكان القرية في عام ١٩٤٥ بحوالي ٢٣١٠ نسمة<sup>(٤)</sup>. ويعتقد العديد من اهل القرية بعدم تطابق هذا الرقم الاخير مع الواقع، وهو برأينا اعتقاد له ما يبرره، اذا ما وضعنا امامنا اعتبارات كثيرة، منها الاوبئة التي كانت تجتاح القرى وتقضي على عدد كبير من الناس، مثل الكوليرا، وعدم الوعي بأهمية الاحصاءات، علاوة على عدم الثقة بحكومة الانتداب البريطاني التي جعلت العديد من السكان يقللون من الارقام المعطاة، خوفاً من السلطة الجديدة (الانجليزية) التي تمثلت في اذهانهم بالسلطة العثمانية السابقة التي كانت تستغل معادلات الاحصاء للتجنيد الاجباري او الضرائب. الا ان الباحث عباس نمر، قد اورد في نهاية بحثه المتعلق بسكان بيت نبالا أن عددهم قد وصل عام ١٩٤٧م الى ٤٨٣٠ نسمة<sup>(٥)</sup>، وذلك حسب الاحصائية التي قامت بها لجنة الزراعة في القرية، ومعنى هذا ان عدد السكان قد ازداد خلال السنتين من ١٩٤٥ - ١٩٤٧م الى اكثر من الضعف. وهذا برأينا رقم مبالغ به، وغير صحيح بالرغم من انه مثبت في دفاتر لجنة الزراعة في القرية، ويعود السبب في ذلك الى ان بعض العائلات كانت تسجل اسماء افرادها مرتين او ثلاثاً من اجل الحصول على الاغذية من رز وسكر وغيرها من المواد التي كانت توزعها سلطات الانتداب على السكان بواسطة اللجان الزراعية في القرى الفلسطينية والتي تعرف باسم (السندقة)، التي كان توزيعها في الغالب لا يخلو من المحسوبة. واذا ما اتخذنا من احصائية عام ١٩٤٥م، التي تعتبر ان عدد سكان بيت نبالا قد بلغ ٢٣١٠ نسمة اساساً للتقديرات المقبلة، واذا اخضعنا هذا الرقم لمنطق الاحصاء الذي يقول بان عدد السكان في بلادنا يتضاعف مرة كل عشرين عاماً، فان عدد سكان بيت نبالا اليوم في ديار الشتات لا يتعدى خمسة عشر الف نسمة، وهو رقم يغضب اهل القرية، حيث يرى الصغير منهم قبل الكبير بان عددهم اليوم هو بين ٤٠ الفاً الى ٥٠ الف نسمة، تقيم غالبيتهم العظمى في الضفة الشرقية



وخاصة في الوحدات وجبال عمان الشرقية والزرقاء وناعور، إضافة الى عائلة دار الخيري المقيمة في مدينة اربد. وتعيش نسبة غير قليلة من اهل بيت نبالا في الضفة الغربية، خاصة في مخيم الجلزون ودير عمار ومدن رام الله والبيرة وبيرزيت، ويقدر ان عددهم هناك قد تجاوز في منتصف عقد التسعينيات من هذا القرن ٣٥٠٠ نسمة. واهل بيت نبالا موزعون ايضا بالاضافة الى الاردن وفلسطين في ديار الشتات بحكم اعمالهم، وسعيهم وراء الرزق.

## الحمائل والعائلات :

تحدثنا في السابق بأن منطقة بيت نبالا والاراضي المحيطة بها غنية بالاثار والخرب المندثرة، ومنها الخربة الشامية وبيت قوفا وجنداس ودسرة وبعنة وراس ابو يعقوب الذي لا تزال اعمدته المضلعة القائمة شاهدة عليه، وغيرها من الخرب العديدة، مما يدل على ان هذه المنطقة كانت مركز جذب لاستقرار بعض العشائر والاسر التي ضاقت بها منابتها الاصلية بسبب المنازعات، او سعياً وراء الكلا وخصوبة التربة، او لنشر بعض المعتقدات الدينية عبر الدهور. ومن المعروف في التاريخ القديم بان الكثير من القرى والمدن التي كانت تستعصي على الجيوش الغازية، يتم تدميرها واحراقها، وكان ملوك هؤلاء الغزاة يتفاخرون باقامة النصب التذكارية المنقوش عليها انباء تلك الكوارث.

وتعتبر بيت نبالا من ضمن المواقع التي تعرضت للدمار عدة مرات منذ ان سكنها الكنعانيون، وقد نهضت فيها الحياة وال عمران اخر مرة عام ١٢٩٢ على انقاض دمار سابق. ولا يعرف احد بالضبط اول العائلات التي نشأت بوجودهم القرية منذ ذلك التاريخ، خاصة وان سكانها قد استوطنوا فيها على دفعات زمنية متتابعة، وكان لكل موجة اسبابها وظروفها. وقد قطنت القرية حتى عام ١٩٤٨، وقبل رحيل اهلها عنها خمس حمائل، تتفرع عن كل حمولة منها عدة افخاذ، سواء بانحدارها من جد واحد، او بائتلافها بعضها لبعض، بغض النظر عن اصولها ومنابتها، او الفترة الزمنية التي قدمت فيها الى بيت نبالا. وهذه الحمائل الخمس هي : الشراقة، النخلة، صافي، المصاروة، زيد. وفيما يلي بعض التفاصيل عن هذه الحمائل :



## ١- حمولة الشراقة :

تتشكل هذه الحمولة من ائتلاف عائلات عديدة، ويعتبرها البعض اصل البلد، واول من سكنها. ومن المؤكد بان الاوائل منهم كانوا يحملون اسم بيت نبالا وخدمهم، ولكن عندما تعددت الحمائل في القرية، اصبح هؤلاء الاوائل جزءاً من الكل فصاروا يحملون اسم الشراقة وقد سموا بالشراقة، لانهم كانوا يسكنون في الجزء الشرقي من القرية. ومن اهم عائلات هذه الحمولة :-

أ- دار التلة : وهم من اقدم عائلات بيت نبالا، حضروا اليها من الحجاز في عهد الايوبيين، وهم من قبيلة قيس عيلان، ومنهم دار علاء الدين ودار عبد النبي (البنار).

ب- دار جودة : من اقدم العائلات في البلد، ومنهم دار عوض.

ج- السوالمة : وهم من عرب ابو كشك، ومنهم دار ابو بقله ودار حسونة.

د- دار الشاعر والبحشة : وهم من عرب الحجاز.

هـ- السكافي والقر : يرجع اصلهم الى خربة قاقوطة، وهي بقايا خربة مندثرة بالقرب من بيت بنالا.

و- دار شحادة وسعد وصباح وهم ايضا من حمولة الشراقة.

ز- الزبن وكمش : يقال انهم من جد واحد، كما يقال بانهم من عرب ابو كشك،

ويرجعون في نسبهم الى عرب الحجاز، من قبيلة قيس عيلان، التي تعرف في

السعودية باسم العتيبي، وهناك رأي اخر، يقول انهم من زبون الظاهرية قضاء

الخليل، وقد خرج اجدادهم منها اثر نزاع عشائري، وكانوا ثلاثة اخوة، توجه

احدهم الى الرمثا، ومنه زبون الرمثا، وتوجه الثاني الى منابع نهر الموجب في

منطقة مادبا، ومنه زبن بن صخر، وتوجه الثالث الى بيت نبالا، ومنهم محمد

زبن وحمدان زبن ومصطفى زبن. اما العائلات التي ترجع الى كمش، فهم : دار

ابو عاقلية ودار محمد نمر ودار احمد البرقة.

ح- دار عابد : استقر هؤلاء في القرية في وقت متأخر، بعد ان تشكلت الحمائل الاربع، ويرجعون في نسبهم الى قرية دير جرير قرب رام الله، من حمولة الفراخنة من دار عجاج، الذين يعود اصلهم الى قرية فرخة في وسط فلسطين. اما سبب هجرة عابد من قرية دير جرير، فيعود الى المنازعات التي وقعت بينه وبين اقاربه هناك، ويقال بانه ذبح اربعة من اقاربه قرب عين ماء البلدة، ثم هرب مع اخوته الى غور الصافي ثم الطفيلة، حيث استقر فيها، وتزوج منها. لكنه ما لبث ان اختلف مع اهل زوجته فقتل حماه وهرب الى فلسطين، وبالذات الى قرية فرخة، منبت اجداده الاوائل الفراخنة، لكن اهل فرخة اعربوا عن خوفهم من نيته بالاستقرار في بلدتهم بعد ان هدر دمه في قرية دير جرير، وقد طلب منه اهالي قرية فرخة مغادرتها، قائلين له : ان الفرخة لا تستطيع ان تحمي الديك. واثرت ذلك استمر في ترحاله حتى استقر في بيت نبالا، وذلك عام ١٥٤٠م، أي بعد قدوم سلام جد الحمائل الثلاث الاخرى بقرن ونيف. ولعابد هذا قصة طويلة، حيث يقول احد احفاده الحاليين وهو الاستاذ رسمي عابد، وذلك في بحث اعده لتوثيق تاريخ القرية لم ينشر بعد، بأن الفترة التي قدم فيها عابد الى بيت نبالا كانت فترة خلاف وصراع بين القيسية واليمانية في فلسطين، فاشترك عابد واهالي بيت نبالا في هذه الفتنة المجنونة. واصبح عابد بجرأته زعيماً من زعماء القيسية في البلاد والذين يطلق عليهم اسم الجرود، وقد قام هؤلاء بعدة مذابح في قرية ودير طريف وفي قرى اخرى، وكان لهم مقر في قرية دير ابو مشعل، واخر في مكان قريب من دورا الخليل ويسمى بقصر عابد. وعندما بدأ نجم القيسيين يأفل اثر تشديد قبضة الدولة العثمانية هرب عابد الى قرية جيوس شمال فلسطين وتزوج من هناك، وعندما هدأت الخواطر عاد الى بيت نبالا حيث عادت الفتنة من جديد، ولكن الوالي العثماني في فلسطين قبض على زعماء القيسية وسجنهم، واصدر حكماً باعدامهم غرقاً، اذا القي بهم في البحر الابيض المتوسط بعد ان ربط كل واحد منهم بجسم



تقيل. والجدير بالذكر بان دار عابد من قرية كفر دان في الشمال هم من ابناء عابد  
من زوجته التي تزوجها. وقد ظل ابناء عابد واخوته في بيت نبالا، حيث اندمجوا  
مع اهل القرية، وهم الان من حمولة الشراقة.

## حمائل زيد وصافي ونخلة:

اما حمائل البلد الثلاث الاخرى زيد وصافي وثلاثة ارباع دار النخلة تقريباً فيرجعون في نسبهم الى سلام الخزاعي فيما عدا بعض العائلات، الا انها تحسب من ضمنها عند التعداد العام، وهي ترتبط بها بروابط المصاهرة الوثيقة والمصالح المعيشية المشتركة. وسلام هذا هو سلام بن حرفوش الخزاعي من قبيلة خزاعة التي هاجرت من اليمن الى مكة اثر خراب سد مأرب. وقد شاركت في الفتوحات الاسلامية كغيرها من القبائل العربية، لكن هذه القبيلة هجرت الديار الحجازية اثر نزاعات قبلية متوجهة نحو الشمال، وقد قتل من بقي منهم في الحجاز ومنهم اخ سلام، وقد قيل ان المقتول هو ابنه وليس أخاه. وقد استقرت هذه العشيرة في منطقة عوجا الحفير جنوب فلسطين، واختلطوا مع اهل قرى سبيطة والمنية وعبد، ثم توزعوا في مختلف انحاء فلسطين، فمنهم من ذهب الى بئر السبع، ومنهم من استقر في منطقة غزة، ومنهم من استقر في قرية خربثا المصباح، حيث تعتبر حمولة الحرافشة اكبر الحمائل الاربعة في تلك القرية. ولا يزال ابناؤها ينتسبون الى جدهم الحرفوش في وثائقهم الرسمية حتى ايامنا هذه، كما حافظ بعض ابنائها على توثيق صلاتهم مع حرافشة بعلبك وحرافشة مغير السرحان في منطقة المفرق. اما سلام واخوته فقد توزعوا على النحو التالي: سلام بن حرفوش استقر في بيت نبالا عام ١٤٥٠، وحمد بن حرفوش استقر في قرية المغار جنوب فلسطين. اما الاخ الثالث فقد استقر في بعلبك لبنان، ومنه انحدر امراء الحرافشة الذين حكموا بلاد بعلبك في العهد العثماني، وحالفوا الامير فخر الدين المعني في القرن السابع عشر، الى ان نشبت الخلافات بين الحرافشة انفسهم بعد سنة ١٨٦٠م وحكم على زعمائهم من قبل السلطان العثماني بالنفي الى جزيرة رودوس بعد ان امر بشنق



الامير اسعد الحرفوشي في بعلبك (٦) . وقد قال المرحوم محمد علي صالح بأن صلة حرافشة لبنان لم تنقطع مع اهالي بيت نبالا الا بعد الحرب العالمية الثانية، حيث كانوا في الماضي يتبادلون الزيارات ويكرم بعضهم بعضاً.

ونعود الى القرية، حيث استقر سلام وعياله في مغارة بجانب بيت نبالا، التي لا تزال حتى هذه اللحظة تحمل اسمه "مغارة سلام"، وقد نصب بيت شعره بجوارها، واحبه اهل القرية كثيراً خاصة بعد ان "فزع" لهم ليدفع شر اهل الحديثة عنهم. ولما رأى اهل القرية دماثة خلقه ونجدته، دعوه للسكن معهم، ففعل، وانتقل الى القرية، وصار واحداً منهم وشاءت حكمة الله ان يكثر نسل هذا الرجل حتى اصبح اكثر من نصف القرية، وتوزع احفاده الى حمايل ثلاث هي : زيد وصافي ونخلة، حيث تفرع عن كل حمولة عدة افخاذ.

## ٢- حمولة دار نخلة :

تتكون هذه الحمولة من اربعة افخاذ رئيسية، تعود ثلاث منها في نسبها الى جد واحد هو عيسى احد احفاد سلام الخزاعي، وهم : دار محمد ياسين، ودار احمد مصلح، ودار سلامة. اما الفخذ الرابع، فهم دار عناية الذين يرجعون في نسبهم الى قرية بيت اولا قضاء الخليل، وقد سميت هذه الحمولة بدار نخلة نسبة الى دار كانت تملكها الحمولة قديماً في وسط ساحتها شجرة نخلة، ومن هنا جاء اسم حمولة دار نخلة، وكان هؤلاء يسكنون غرب بيوت حمولة الشراقة. وسنورد فيما يلي بعض التفاصيل عن الافخاذ الاربعة لهذه الحمولة:

أ- دار محمد ياسين: جدهم هو خلاف بن عيسى، ويتفرع عن هذا الفخذ عدة عائلات وهم: ابناء قاسم (دار الدبسة)، وابناء علي (دار زوبعة)، وابناء ابراهيم وابناء ياسين، وابناء مصطفى، وابناء صباح، وابناء صبيح.

ب- دار احمد مصلح: جدهم هو خلف بن عيسى، ويتفرع عن هذا الفخذ عائلات دار سليمان احمد جد المختار عطا موسى، ودار محمود احمد، ودار رباح، ودار الحلاقة.

ج- دار سلامة: جدهم هو خليف بن عيسى، ويتفرع عنهم عائلات دار سليمان مصطفى (المختار سليمان امنة)، ودار علي فرحة، ودار عبد النبي.

د- دار عناية: وهم ابناء يوسف بن داود بن عمرو العملة من قرية بيت اولاء الخليل، والذين نزحوا عنها اثر نزاع عشائري واستقروا في بيت نبالا وانضموا الى حمولة دار النخلة. ويتفرع عن هذا الفخذ عائلتان رئيسيتان هما دار مخلوف ودار احمد الملقب بالخداش. كما ويتفرع عن هاتين العائلتين عائلات عديدة نذكر منهم: احمد مخلوف (حويلة) ومحمود والد مصطفى دحولة، ومحمد والد عيسى صبحه، وسالم سلامة (الحساب)، وسليمان محمد، ومخلوف والد حميدان مخلوف، ويوسف (حسن بيشو) جد حسين خليل عيده الذي كان مختاراً قبل الرحيل. ومن عائلات دار الخداش: دار علي جد حسن مصطفى (برارة)، ودار محمد السيد وجد خليل ابو ناعمة، ودار عبد القادر والد عيسى الملقب بالشايب، ووالد عبد الرحمن ابو شاکر.



### ٣- حمولة دار صافي :

يعود اصل هذه الحمولة الى جد واحد اسمه "مبارك"، وهو من احفاد سلام الخزاعي جد الحمائل الثلاث، زيد ونخلة وصافي، ولكن عندما لمع اسم احد احفاده وهو "صافي" سميت الحمولة باسمه بالرغم من ان جزءاً كبيراً من الحمولة ليس من نسله، بل من ابناء اخوته وعمومته، واسمه الكامل "صافي مصطفى محمد ياسين مبارك".

ومن ابناء صافي هذا كان كل من :

- ١- **حسن صافي** : ومن اولاده، رشيد حسن، احمد حسن، محمد حسن.
  - ٢- **حسين صافي** : ومن نسله، محمد عثمان حسين صافي، مرزوق.
  - ٣- **عباس صافي** : ومن اولاده، ياسين وحسين.
  - ٤- **محمود صافي** : ومن اولاده عبد الرحمن ومصطفى و خليل.
  - ٥- **احمد صافي** : وينحدر منه دعوس وابو يقين وسليم وسليمان وراغب وطالب وشاكر.
  - ٦- **خالد صافي** : وينحدر منه، ابراهيم، خليل، طه، اسماعيل، مسعود، موسى، الخالدي، سالم، محمد، احمد، محمود، مصطفى.
  - ٧- **الغزاوي صافي** : ومن نسله ، رشيد، وتيم.
- ويوجد لصافي مصطفى هذا اخوة عدة وهم :
- ١- **عساف مصطفى** : ومن اولاده، عبد الرحمن، يوسف، حسين، عبد اللطيف.
  - ٢- **علي مصطفى** : ومن اولاده عبد النبي، عبد الغني، احمد، موسى.
  - ٣- **محمد مصطفى** : ومن اولاده، طه، عيسى.
  - ٤- **احدوش مصطفى** : ومن اولاده سليمان.

ومن اعمام صافي شخص اسمه مطلب محمد ياسين وهو اخ مصطفى والد صافي،  
وبقي ان نذكر، ان جزءاً من الحمولة ظل يرجع في نسبه الى الجد الاول مبارك  
بالرغم من انهم يحملون اسم صافي، وهؤلاء هم :

١- دار خليل : ويتفرع عنها، دار الجاجة وسنقر واسماعيل ومطر والعيشاوي  
وقاسم خليل وابراهيم خليل (نينه).

٢- دار شتات : ويتفرع عنها، راشد وحسن ذيبة والعنطيل وصالح والكحلة.

٤- حمولة دار زيد :

تعد من اكبر الحمائل في البلد واكثرها تشعباً، وتكاد فروعها ان توصل  
ابناءها الحاليين الى حافة الجدل لتشعب العائلات التي ترجع بسوادها الاعظم الى  
سلام بن حرفوش الخزاعي، بغض النظر عن العائلات القليلة الوافدة التي تتضوي  
تحت لوائها. ويمكن تقسيم هذه الحمولة الى اربع افخاذ وهي :

١- دار مصلح : ويتفرع عنهم أ- دار قطيفان ب- دار عودة (شقيح) ج- دار  
حماد، وينحدر منه دار ابراهيم ودار عبدالله والد مصلح الذي انجب صالح والحيت.

٢- محمد خرف : وينحدر منه كل من دار ايوب ودار العنلة، ودار الاكل، ودار  
حمدالله (الحجوج)، ويتفرع عن الحجوج هؤلاء: دار قاسم ودار عبد الرازق ودار  
حسن حمدالله واخوه يوسف، ودار عبد الجليل.

٣- دار عدوان : وهم دار بدوان ودار عبد الجابر.

٤- عائلات مؤتلفة وهم :

أ- المراعبة : ويعود اصلهم الى الشوبك في شرق الاردن، ويقال بانهم من اقدم  
العائلات في البلد.

ب- دار الطفران : وهم من مصاروة البلد.



ج- دار الشيخ امين وهم من قرية البرير في فلسطين.

د- دار الخطيبا : وهم من قرية دانيال، ومنهم الشيخ احمد الخطيب واخوه رشدي،  
ودار سيف الدين واخوه محي الدين.

هـ- دار العبد خليل : وهم من دير البلح جنوب مدينة غزة.

و- دار خير الدين: ومنهم احمد ومحمود خير الدين الذين ائتمفوا مع الحمولة بعد  
ان هاجروا من قريرتهم الاصلية قطنة في منطقة القدس اثر خلاف على زواج.

### هـ - حمولة المصاروة :

وهي عائلات مستقلة لكنها مؤتلفة بعضها مع بعض ، وتشترك في عامل  
واحد وهو قدوم اجدادهم الاوائل من مناطق مختلفة في مصر. وتقول المصادر  
التاريخية بان هؤلاء رافقوا حملة ابراهيم باشا على فلسطين عام ١٨٣١، وظلوا فيها  
بعد انتهاء الحملة عام ١٨٤٠ هروبا من سياسة محمد علي الاقتصادية، وتقع معظم  
بيوت افرادها جنوب البلد ووسطها. ومن عائلاتهم : دار عبدالله حسان واخوه  
المشني، ودار جمعة رضوان الذي كان يعمل حلاقاً في القرية، كما كان يمارس  
فيها مهنة الطب الشعبي، ودار حمد ومنهم الشيخ مسعود حمد (العسس) الذي كان  
يتولى عمل المسحر في شهر رمضان من كل عام.

## ال عمران :

في الاحصاء العام للسكان والمساكن الذي اجرى عام ١٩٣١ في فلسطين اشارة واضحة الى ان عدد بيوت القرية في ذلك العام قد وصل الى ٤٧١ بيتاً<sup>(٧)</sup> ، بمعدل ٣،٧ اشخاص في البيت الواحد. وفي اشارة احصائية اخرى لاواخر الانتداب البريطاني، نجد ان مسطح البناء في القرية قد وصل عام ١٩٤٥ الى ١٢٤ دونماً<sup>(٨)</sup> . وكانت وجهة النمو العمراني تسير نحو الغرب والشرق بعد ان وصل امتداد القرية شمالاً وجنوباً الى ضفتي الواديين، واتخذ مخطط القرية التنظيمي كما هو واضح في المخطط المرفق، شكل المستطيل، حيث يتعامد فيه الشارعان الرئيسيان وسط القرية، وتتوازي بقية الشوارع الاخرى مع هذين الشارعين الممتدين الى اطراف القرية.

ويشير الواقع إلى ان التوسع العمراني في نهاية الانتداب البريطاني كان قد تجاوز وادي كريكعة، فقد عبر الكثيرون من اهل القرية الوادي نحو الجنوب، واقاموا بيوتاً لهم على رأس نوادرة السطح من الجهة الشرقية، وقد قدر عدد البيوت التي "شردت" على الجانب الجنوبي لوادي كريكعة بعشرين داراً. ويقول المتقدمون في السن من اهل القرية، ان نية بعض السكان كانت تتجه قبل نكبة عام ١٩٤٨ لاقامة البيوت المنفردة في اطراف البلد، وخاصة في الجهة الجنوبية، التي هي اقل وعورة من الجناح الشمالي للقرية، ولقربها من الطريق المعبد الذي يتجه الى الشرق نحو قرية بدرس. وقد وجدت هذه النية كنتيجة طبيعية لتزايد عدد السكان، وعدم وجود مساحات خالية من الارض داخل القرية، اضافة الى تحسن وضع السكان الاقتصادي من عمل الكسارات والاشتغال في الكمب، والتحول في النمط الزراعي باقامة مشاريع البيارات. ولكن نكبة عام ١٩٤٨ وضعت حداً لطموحات



اهل البلد، وجمدت احلامهم في رؤوسهم. وتوقف التوسع في البناء شرق البلد وغربها تماماً بعد ان استكملت شكلها الطولي من الشرق الى الغرب. ويرجع السبب في ذلك الى ان طرفها الشرقي قد اصطدم باثار واشجار زيتون راس ابو يعقوب، ومن الغرب بمقبرة القرية وجامع السلطان عبد القادر اللذين كانا يقفان في وجه توسعها كحاجز نفسي وديني لا يمكن اختراقه. اما فيما يتعلق بطبيعة البناء والمواد المستخدمة فيه، فاننا هنا نخالف ما جاء في الموسوعة الفلسطينية<sup>(٩)</sup>، بأن بيوت القرية كانت بمعظمها متلاصقة ومشادة من اللبن والحجر. ذلك انه كيف يمكن ان يكون ذلك وبيوت القرية بمعظمها مكونة من الاحواش العامة والاحواش الخاصة التي تشبه القلاع، وتضم بداخلها عليات كثيرة في الطابق الثاني؟؟ ومن اهم الاحواش التي كانت قائمة حتى عام ١٩٤٨ في القرية نذكر حوش حمولة النخلة الذي كان يقع قرب الجامع. وحوش البلاط التابع لحمولة صافي في وسط البلد، وحوش السباط لحمولة زيد في وسط البلد أيضاً، وحوش الزعوط لحمولة الشراقة. والحقيقة ان جميع بيوت القرية كانت مبنية من الحجارة المقصبة الكبيرة، وخاصة التي تحف شوارعها وازقتها الداخلية، باستثناء عدد قليل من السقايف والطوابين التي كانت معرضة للزوال في اية لحظة. كما ان التوسع العمراني في القرية كان عمودياً على شكل عليات كثيرة غالبيتها مبنية من العقد العربي فوق بيوت العقد.

كانت وحدة السكن في بيت نبالا تتكون من بيت واحد، يفتح في العادة على حوش خاص بالعائلة، او حوش عام يلم عدة عائلات، وكانت غالبية الدور من بناء العقد التقليدي القديم الذي يستند سقفه على اربع ركب في زواياه اذا كان البيت مربعاً، او ست اذا كان مستطيلاً. وكانت مساحة المستطيل تعادل ضعف مساحة المربع أو اقل قليلاً. وتقدر هذه المساحة في متوسطها ما بين (٦٠-٧٠) متراً مربعاً. وكان البيت في الداخل يقسم الى ثلاثة اقسام، حيث تحتل المصطبة نصف



مساحة البيت تماماً، وترتفع عن قاع البيت حوالي متر اذا كانت ارضيتها مردومة، او مترين، اذا كان تحتها عقد صغير يخزن بداخله جرار الزيت والزيتون وشوالات الحبوب واحياناً الحطب. وكان يصعد الى المصطبة بعدة درجات، ويفصلها عن بقية اجزاء البيت صف من خوابي الحور المليئة بالحبوب، وهي تشبه الخزانة الصغيرة من حيث الشكل والسعة، ولها فتحة واسعة في اعلاها، لتدار فيها الحبوب، وفتحة صغيرة في اسفل جانبها بقدر قبضة اليد، لها سداة ملفوفة من القماش على شكل كرة. كما كانت تقوم على جانبي اعلى درجة المصطبة مقعدة مشبكة من الحور يوضع عليها ابريق الزيت، وبجانبها موقد توضع عليه قدرة الفخار التي تستعمل للطبخ خاصة في فصل الشتاء كما كان يوجد في احد جوانب المصطبة مكان مرتفع قليلاً مساحته (2x1)م يسمى حامل اللحفة، يطوي عليه الفراش اثناء النهار، ويفرش عند النوم. وكانت باطية الخبز واقداح القش تزوى في الفراغ تحت هذا الحامل، كما كانت بعض النساء يقمن بعمل رفوف من الحور في اعلى الجدران على شكل طاقات، توضع فيها الحاجات الصغيرة المستعملة يومياً، مثل الكبريت والصابون والخيطان ومدقة المدموس وقبعة البيض وقبعة الخميرة حتى لا تصلها الفئران، اضافة الى رف صغير يوضع عليه السراج يعرف بالمسرجة، المدبوغ اعلاها بسناج الدخان.

اما النصف الثاني من البيت، فيقسم الى قسمين متساويين، مساحة كل قسم ربع مساحة البيت، ويستعمل الاول لخزن التبن، ويسمى القطع. اما القسم الثاني، فينام فيه فدان البقر وعجولها والجحشة ومعها ابنها احياناً، ويحيط بقاع البيت عادة مذاود التبن اللازمة لاكل الحيوانات، وكانت الفئران تتراكم ما بين القطع وبين ارجل خوابي، كما كانت تعيش الافاعي التي تأكل هذه الفئران احياناً في قطع التبن. وتذكر بعض النساء انهن شاهدن الحية ممددة بين البنات على المصطبة وهن



نائمات، ورحن على بيت الزلام (الديوان) واستتجن بهم، حتى جاءوا وقتلواها.  
وكان الاطفال المزحومون اثناء النوم يقفون على حافة المصطبة ويبولون في قاع  
البيت فيختلط البول بروث البقر والدواب الاخرى، ثم تأتي النساء في الصباح  
وتجمع هذا الروث وتذهب به الى مزبلة العائلة. اما الجمل، فكان ينام تحت الرواق  
الملحق بالبيت من الخارج، ولذلك كانت بعض الجمال تسرق من قبل اللصوص  
واصحابها نائمون في الداخل، حيث كانت تساق الى قرى بعيدة حتى لا يتم التعرف  
عليها. ولكن هذا كان نادر الحدوث.

وكان للبيت الارضي فتحة صغيرة في اعلى الجدار الخلفي او الجانبي  
للتهووية تسمى هلالاً، اضافة الى فتحة صغيرة احياناً على شكل قوس فوق الباب  
مباشرة. اما العلية التي تعتبر الطابق الثاني، فكان لها عادة شبك كبير تتسع  
ارضيته لفرشة صغيرة يجلس عليها رب الاسرة لقراءة القرآن او حلالة ذقنه او  
للاكل اذا كان منفرداً. كما يوجد داخل بعض العليات غرفة صغيرة غير مسقوفة،  
تستعمل لخزين الزيت والحبوب لمن يسكنها، وتسمى (الراوية). وكان باب العلية  
يفتح على حظير هو سطح الرواق الذي ينام تحته الجمل، ويصعد الى هذا الحظير  
بدرج خارجي ومنسوب عليه عريش قوائمه من جذوع الاشجار المستقيمة قدر  
الامكان، ومغطى بفروع الشجر والنتش. اما ابواب البيوت، فكانت من الخشب  
السميك، يقوم بعملها احد النجارين المحليين، ويغلق من الداخل بواسطة درباس  
من الخشب او الحديد، اما من الخارج، فله مفتاح حديد لا يقل طوله عن الثلاثين  
سم، وعندما تغلق المرأة بيتها، تضع مفتاحها تحت شداد وسطها، فيبدو للناظر  
عن بعد وكأنه سلاح تشيكي من النوع القصير.

كانت غالبية بيوت القرية القديمة متصلة بعضها مع بعض، ولا يفصل بينها في العادة سوى الشوارع والازقة الضيقة. وكانت غالبية السرقات التي تحدث بين الناس، تتم عن طريق النزول من اسطح البيوت، ومن هنا، جاءت عبارة فلان طاح على دار فلان، أي نزل عليها من مكان مرتفع. وحتى الطوشات وتبادل القذف بالحجارة التي اشتهرت بها القرية، كانت تتم على سقوف البيوت، فكان الفريق الذي ينزل عنها يعتبر مهزوماً.

اما البيوت التي ابتعدت عن القرية، فقد اتخذ شكل البناء فيها طابعاً مستقلاً، واصبحت محاطة بارض واسعة من حولها، يلفها من الخارج سياج من الحطب او السلاسل الحجرية او جذوع الاشجار والبراميل، وغالباً ما كانت هذه البيوت محروسة بالكلاب.

كان عرض الجدار (الكلين) في البيوت القديمة لا يقل عن متر، وواجهته من الداخل والخارج حجر، ولكنه يغطي من الداخل بالطين المجبول بالقصول فيما يشبه القصاراة، ثم يطرش بالشيد الابيض. اما المصاطب، فكانت تدلس بقشرة من الحور بمدلاك تحضره النساء من حجارة الوديان الملساء.

لقد قطعت جميع حجارة البيوت القديمة والحديثة من صخور الجبال المحيطة بالقرية، وكانت تنقل اليها في الغالب على ظهور الجمال، واحياناً في عربات الخشب التي تجرها الخيل. وقد عقدت اسقف بعض البيوت الحديثة بالاسمنت الذي بدأ الناس باستخدامه في الثلاثينيات من هذا القرن، وكان الاسمنت في البداية يباع في براميل، ثم اصبح يغلف بأكياس من الفل. وقد كان بعض الناس يبالغون في الحرص على سقوف بيوتهم بوضعهم تحتها دواير من الحديد كالتالي يسير عليها



القطار، ومن هذه البيوت دار حكمت شقديح في نوادة السطح، ودار خليل كايد حسين التي كان فيها المركز الصحي.

وكان يتخلل بيوت القرية الحجرية بعض السقايف الملاصقة للبيوت، التي يسكنها بعض الناس الفقراء ممن ليس لهم مصدر رزق، او ورثوها عن ابائهم وينتظرون الفرصة المواتية لبناء بيت جديد، ولكن لكل واحد ظروفه.

وبما ان البيضة كانت لها قوة شرائية مثل القرش، فلا بد من ذكر اخمام الدجاج التي لا يخلو قاع دار منها، وقد كان يأتي النمس في ليالي الشتاء الماطرة ويقحف ظهرها الترابي، ويتناول الدجاجة من داخل الخم، ويهرب بها وهي تستغيث بين انيابه عبر ازقة القرية.

وجدير بالذكر، ان التنظيم الهيكلي بالمعنى الهندسي المعروف اليوم كان في بيت نبالا مفقوداً، فقد كانت البيوت تتوزع وتتمو بشكل عشوائي تبعاً لقدرات اهل البلاد، كما كانت تخلو من التنسيق الهندسي باستثناء البيوت الحديثة، ولم يكن هذا النمط سائداً في بيت نبالا فقط، بل وفي معظم قرى فلسطين بشكل عام.

## التعليم :

x كان ابناء اهالي قرية بيت نبالا كسائر قرى فلسطين محرومين طيلة حياتهم من فرص التعليم ابان الحكم العثماني، بسبب انشغالهم بالاعمال الزراعية للحصول على لقمة العيش، اضافة الى جو التخلف والظلام الذي تركته الدولة العثمانية على عقول اهل البلاد تحت نير الضرائب والتجنيد الاجباري في حروب مستمرة لا يفهمون لها معنى. الا ان جميع المتقدمين في السن يجمعون على ان اول مدرسة قد انشئت في القرية بمبادرة من اهله في المضافة عام ١٩٢١م على طريقة الكتاتيب تحت اشراف المعلم الوحيد الشيخ عبدالله يعقوب من قرية بدرس المجاورة، الذي كان يتقاضى اجراً على كل طالب طيلة العام مقداره صاع او صاعان من القمح، او مقابل مبلغ من المال. وكان الاقبال على التعليم في تلك السنة قليلاً جداً لا يتعدى عشرة طلاب، نذكر منهم : خليل كايد حسين (حامل مفتاح المضافة)، واسماعيل سليمان قطيفان، وصافي طه، ومحمود زكية، وفارس دامه، والشيخ مصطفى ابو فقوسة. ومع بداية السنة الثالثة ارتفع عدد الطلاب الى ٣٠ طالباً في ثلاثة صفوف داخل بيت المضافة، وكان الشيخ عبدالله يأتي يومياً من قريته بدرس راكباً حماره، ويجد الطلاب بانتظاره في ساحة المضافة، ثم يقوم بربط حماره في حلقة متدلية في جدارها، ويدخل الطلاب ويجلسون على مصطبتها، ويبدأ بتعليمهم ويبيده الخيزرانة التي يسوق بها حماره. كان طويل القامة، متجهم القسما في الظاهر، طيب السريرة في الداخل، يلبس جبة طويلة وافية الاطراف، تكاد تخفي كفيه، وعمامة بيضاء نظيفة تلتف حول طربوش احمر. وقد اكتسب معظم طلابه على يديه خط الرقعة الجميل الذي لا يكاد الناظر اليه يصدق انه نتاج عامين او ثلاثة من التعليم. اضافة الى توسيع مداركهم مما ادى الى تعلق البعض من هؤلاء الطلبة بالشعر واقوال العرب. والتعليم في بداياته كان صورة للوضع المتخلف القائم في حينه،



ومن ثم اقتصر على تعليم القراءة والكتابة وقراءة القرآن، وقليل من الحساب. وكان الدوام يبدأ في الصباح مع حضور الشيخ، وعند الغداء، ينصرف الطلاب الى بيوتهم، ثم يعودون بعد الظهر ليتابعوا دروسهم الى ما بعد العصر. وكانت امهات الاولاد يحضرن الغداء يومياً للشيخ بالتناوب على طبق من القش. لقد ظلت المدرسة في المضافة حتى عام ١٩٢٣، ومع تزايد اعداد المقبلين على التعليم، تم نقلها الى ثلاث غرف غرب البلد على الطرف الشرقي للطريق العام الذي يصل بين قرية الحديثة ودير طريف. وكان اهل القرية يطلقون على هذه الغرف اسم (المتنّيب)، وهي مبنية من الحجر على شكل صف من الشمال الى الجنوب، وتفتح ابوابها نحو الشرق، ولها شبايك محمية بشبك تطل نحو الغرب على ساحة واسعة تصل حد الاسفلت، مزروعة باشجار الكينا والاكاسيا، التي لا يزال بعضها صابراً في مكانه كثبات الصبر حتى يومنا هذا. وقد قام بغرسها الطلاب الذين انتقلوا اليها في السنة الاولى بعد رحيلهم من المضافة. أي قبل ٧٥ عاماً، وكانت كل شجرة تعرف باسم الطالب الذي غرسها.

كانت مساحة ارض المدرسة تقدر باكثر من عشرة دونمات، اغلبها يقع في الجهة الشرقية المحاذية لطريق بدرس التي تتفرع عن الطريق العام نحو الشرق.

وكان الطالب في البداية يتخرج عندما يختم الختمة في الصف الرابع، حيث يحتفل به اهل البلد، ويزفونه على الفرس من حارة الى حارة. وبعد رحيل المدرسة الى موقعها الجديد، اتخذ التعليم فيها طابعاً رسمياً، واصبحت تدار من قبل سلطة التعليم في حكومة الانتداب البريطاني، وتم تعيين معلمين جدد فيها.

كان سن قبول الطلبة في الصف الاول الابتدائي يخضع في الغالب لادارة مدير المدرسة، وحسب علاقته مع ولي امر الطالب، وكان يصل احياناً الى خمس

سنوات او اقل. وكان البعض يرسل ابنه الى المدرسة في سن متأخرة قد تصل الى الثامنة، بعد ان تنهشه الغيرة من بعض الاقرباء. وعلى هذا الاساس، فقد كان التباين في الاعمار بين الطلبة واضحاً في الصف الواحد، وكان اعلى صف في تلك الفترة هو الصف الرابع الابتدائي، الذي بقي رديحاً من الزمن على نفس المستوى. حيث يتخرج الطالب عند هذا الحد، ثم يعود الى ممارسة الاعمال الزراعية مع اهله. ومن هنا، فان عبارة (الصف الرابع الابتدائي)، كثيراً ما تتردد على السنة المتقدمين في السن من اهل القرية، حتى صاروا يضربون بها المثل. كأن يقولون: ان فلاناً كان شاعراً وفصيح اللسان، بالرغم من انه تعلم حتى الرابع الابتدائي، ويقولون ايضاً: والله انه ابن رابع ابتدائي زمان، احسن من ابن الجامعة اليوم. ولكن وفي اوائل الاربعينيات، ارتفع المستوى الى الصف الخامس والسادس، واصبحت المدرسة تخدم ابناء قريتي دير طريف والحديثة، حتى وصل عدد الطلاب فيها عام ١٩٤٥ الى ١٦٠ طالباً، ونتيجة لهذا الضغط، فقد اقيمت ثلاث غرف صفية جديدة في الجهة الشمالية، تفتح ابوابها نحو الجنوب، على الساحة الرئيسية، بحيث كان اتجاه البناء الطولي لها، شرق غرب. وفي العام ٤٦/٤٧ م، اصبحت المدرسة ابتدائية كاملة حتى الصف السابع الابتدائي، وقبيل الرحيل، كانت مكتبتها تضم ٤٤٦ كتاباً مختلفاً<sup>(١٠)</sup>. كما كانت ساحتها التي تفتح عليها الغرف واسعة تصلح لكرة القدم، يقام في طرفها الشرقي مشرب ماء من الاسمنت يفضي الى حنفيات نحاس، وكانت امهات الطلبة ينقلن اليه الماء بجرار الفخار على رؤوسهن من بئر البلد بشكل دوري. اما المساحة المتبقية من ارض المدرسة في الجهة الشرقية، فكانت عبارة عن مزرعة مقسمة الى احواض صغيرة، يعتني بكل حوض مجموعة من الطلبة تحت اشراف المعلمين، لبث روح التنافس فيما بينهم. وكانت هذه الاحواض تضم معظم انواع الخضراوات المعروفة، ويقوم على حراستها اذن المدرسة الغريب عن البلد، الذي يعتقد بانه يماني بدلالة لون بشرته



التي تميل الى سمرة الكاكاو، وملامحه الواضحة، وزعبوط رأسه المونس باللون المطفي. والذي كان يأتيه الطلاب بالطعام قبل غروب كل شمس بالتناوب.

وكان يحيط بحرم المدرسة جميعها طوق من الاسلاك الشائكة، له مدخلان، واحد من الجنوب باتجاه كمب السمران، والثاني من الشمال باتجاه ارض مصطفى الحيت، وكان الطلبة يمدون ايديهم الصغيرة عبر هذه الاسلاك الى الباعة المتجولين بالقروش الفلسطينية المخروقة الوسط ليشتروا منهم السحلب والفلفل والنمورة.

x اما حول تعليم البنات في القرية فيمكن القول ان الفتاة النبالية كانت قداطت بوجهها على ساحة التعليم من خلال نافذة صغيرة عام ١٩٣٦، التي لم تلبث ان اغلقت مرة ثانية امام طموحاتها. ففي تلك السنة، وهي اخر سنة لعمل الشيخ عبدالله في البلد، التحقت بمدرسة الاولاد خمس فتيات في الصف الاول الابتدائي، وهن: فاطمة الحاج محمود حسين وشقيقتها عايشة الحاج محمود حسين، بنات المختار وحسنية بشير عبيدالله وهندة عبدالله ياسين، وعائشة محمد خليل قحص، حيث انهين الاول الابتدائي في صف مشترك مع الاولاد. وعندما جاء مدير المدرسة الجديد حسين التكروري عام ١٩٣٧، صرف هؤلاء البنات الى بيوتهن من غير رجعة. وفي عام ١٩٣٨ خلفه محمد الفاهوم في ادارة المدرسة، ثم تلاه سعيد الفار. وتقول عائشة الحاج محمود: باننا كنا مع الاولاد في صفوف مجمعة اذكر منهم ابراهيم احمد سليمان قطيفان، وكان عريف هذه الصفوف احمد عيسى كاكا (ابو سميح). وفي عام ١٩٤٦، قبل الرحيل، اقيمت على ارض المزرعة، مدرسة للبنات بجانب مدرسة الذكور، وما ان انتهت السنة الاولى من استعمالها حتى تركها اصحابها. x

وبلغ عدد المعلمين في المدرسة عام ١٩٤٧ ثمانية، بمن فيهم المدير مصطفى عبدالله، واخوه يعقوب عبدالله، ابناء الشيخ عبدالله يعقوب سالف الذكر، وعمهم الاستاذ مصلح يعقوب شقيق الشيخ عبدالله وثلاثتهم من قرية بدرس. اما البقية الباقية، فكان معظمهم من مدينة اللد، مثل الاستاذ طيارة، الذي كان يلبس دائماً البدلة والطربوش الاحمر، كما كانت تلبس خده الايسر لطة حمراء كبيرة كانها مرض جلدي. وقد خلفه قبيل الرحيل ابنه وجيه، وهو سمين، مربع الوجه، ذو شعر لامع. كما نذكر الاستاذ ابراهيم ابو طوق ومحمد عبد الجواد اللحام والاستاذ عوض الذي كان بيد واحدة، ومعلم اخر اسمه صبحي. ومن المعلمين الذين درسوا في قرية بيت نبالا ووردت اسمائهم في تنقلات المعارف المنشورة في جريدة الدفاع بتاريخ ١٧/٨/١٩٣٧ السادة سعيد الفار ومحمد طيارة. ولم يكن بين معلمي المدرسة احد من ابناء القرية سوى الاستاذ احمد سليمان امانة الذي انخرط في سلك التعليم عام ١٩٤٧. وكان اهل البلد يطلقون على الطلاب اسم المقرية، وعلى المعلم اسم الخوجا، وكانت العلاقة بين الطالب والخوجا علاقة احترام ممزوجة بالرهبة. وقد نظر اهل البلد الى المدرس كانسان عالم، قادم من عالم اخر، له صفات خارقة في الذكاء، والمقدرة العلمية اللامحدودة، وتكمن في عصاه القوة الكافية لتصويب السلوك الخاطيء، ويتمتع بحياة اسرية مترفة، واذا ما طلب من احد الاولاد البيض البلدي او اعشاب البابونج من اطراف القرية، فان هذا الطالب يشعر بنشوة التفوق على زملائه.

وعند الاصطفاف في طابور الصباح، كان الطلاب ينشدون معاً نشيد العلم،

الذي كان مطلعته:

يا علمي، يا علم



يا علم العرب اشرفي، واخفقي في الافق الازرق

يا علمي، يا علم

كما كان بعض الاباء يصطحبون معهم ابناءهم الى الدواوين ويتفاخرون بأن يجعلوهم ينشدون امام الحاضرين نشيدة القهوة، التي مطلعها :

انا المحبوبة السمرا

واجلى في الفناجين

وروح الهندي عطر

وذكرني شاع في الصين

كما كان الاولاد يرددون في الطرقات اثناء ذهابهم وايابهم الى المدرسة، (طاقة على طاقة، يقطع كل المقربة).

يقول صالح عابد (ابو الاديب)، بان عبد القادر الحسيني، قد تبني فكرة تعليم الكبار ومحو الامية في المدرسة عام ١٩٣٥، عندما كان رئيسا لفريق المساحة في القرية. وكان يدفع اجور اتعاب المعلمين الاضافي من جيبه الخاص. وقد لاقت هذه الفكرة اقبالا كبيرا بين كبار السن، الذين كان تعليمهم يبدأ بعد المغرب، وقد كانت الغرف الصفية تضاء بلكسات الكاز.

ولم يهتم اهل القرية بداية بمتابعة تعليم ابنائهم من الرعيل الاول في مدينة اللد بسبب حاجتهم الماسة اليهم في الاعمال الزراعية، ولاعتقاد العديد منهم بان التعليم العالي مقتصر على الافندية من اهل المدن. ولم يذهب الى مدينة اللد من الدفعة الاولى بعد الرابع الابتدائي عام ١٩٢٥ سوى اسماعيل سليمان قطيفان، الذي يقول ابنه بهجت، بانه كان يقطع المسافة الطويلة يوميا في الذهاب والاياب على دراجته الهوائية، وهو لابس البدلة الرسمية والطربوش الاحمر، ولكنه لم يلبث في السنة الثانية ان اجبرته والدته على ترك المدرسة. ولكن وفي وقت لاحق، بدأ المتتورون من اهل القرية، بارسال ابنائهم لمتابعة دراساتهم في اللد، مثل سليمان

امنه، الذي قام بتعليم ابنه مصطفى سليمان حتى حصل على شهادة البكالوريوس من الجامعة الامريكية في بيروت قبل الرحيل ، وفي زمن كان الوعي فية موثقاً باغلال التخلف والبدائية. وبالرغم من التهامس الذي كان يدور حوله من قبل البعض بدافع الغيرة والحسد بخروجه على التقاليد والجهل، الا ان اهل القرية صاروا يضربون به المثل كمتعلم، متقف، مدرك لما يدور حوله من ظروف سياسية ومؤامرات دولية مبيته يعز على الناس فهمهما . وقد اصبح هذا مديرا لمدرسة الهاشمية الثانوية في مدينة البيرة بعد الرحيل ، وحتى اخر الخمسينيات ثم سافر الى الكويت ليعمل مع شركة ال K.O.C . كذلك اخوه احمد الذي قاتل في احداث فلسطين قبيل الرحيل، واصيب بجروح، والذي لا يزال حتى الآن يتربع على قمة الاعلام في بعض الاذاعات العربية والاجنبية . ولا يفوتنا ايضا ذكر رواد العلم الاوائل من ابناء القرية ، امثال ، احمد عبد الرحمن طه الذي قضى عمره في الكويت ، و ابراهيم احمد سليمان قطيفان الذي اصبح مديراً للتربية والتعليم في لواء رام الله، وسعيد حسن صالح الذي عمل معلماً في الكويت، وتوفي في الولايات المتحدة في اواخر ١٩٩٧ . لقد كان هؤلاء اول من حمل راية العلم في القرية، قبل واثناء عام ١٩٤٨، ولكن وبعد ان فقد اهالي بيت نبالا اراضيهم التي كانت شغلهم الشاغل قبل النكبة ، فقد تحولت اهتماماتهم الكبيرة نحو التعليم ، حتى اصبح من النادر عدم الحصول على الشهادات العلمية بين افراد عائلاتهم من الذكور والاناث ، وغدت الثانوية العامة عندهم من البديهيات المقرونة بشهادة الميلاد ، واصبحت نسبة الجامعيين بينهم لابس بها، وقد برز منهم الاطباء الاكفاء والجراحون الكبار المشهورون مثل موسى صالح مدير مستشفى جبل الزيتون في الزرقاء وكذلك المهندسون والمعلمون ومحاسبو البنوك وحاملو شهادات الدكتوراة مثل محمد العرابي ،ومحمد شحادة عليان ، وعبد اللطيف مطيع . وقد عمل بعضهم في الوظائف العامة والخاصة وقد امتاز هؤلاء المتعلمون بالروح العملية التي لا تمنع



حامل الشهادة الجامعية من سواقة قلاباتهم وجرافاتهم وادارة مشاريعهم الخاصة كالكسارات . واكبر دلالة على تعلق اهل القرية بالتعليم في الشتات ، مقاله المرحوم محمد علي صالح : صحيح انني فقدت ارضي في بيت نبالا بعد الهجرة ولكن الله قد عوضني عنها بخمس بيارات خيرة ، ويقصد بذلك ابناءه الخمسة الجامعيين بينهم ثلاثة مهندسين . ولا يفوتنا هنا ذكر ، ما حققته المرأة النبالية في حقل التعليم والتعلم ، بعد نكبة عام ١٩٤٨ بعد ان حرمت فرصها سنين طويلة خلال العهود الماضية . فقد بدأ البعض من اهل القرية يرسلون بناتهم الى المدارس مع بداية الخمسينيات على نطاق ضيق ومع بداية الستينيات اصبح العدد يزداد بدافع التقليد والاحتكاك مع اهل القرى الاخرى الذين جمعهم الشتات . ولكن التعليم اصبح مع بداية السبعينيات الزامياً ، ولا توجد بنت صغيرة او كبيرة من اهل القرية اليوم الا وتعرف طريقها الى المدرسة ، واكثر من هذا فقد اصبحت الشهادة العلمية هذه الايام عند بنت القرية من الضروريات الاساسية التي تؤهلها للزواج . وقد تخرج من بين النباليات الطبيبات والمهندسات والمحاسبات والممرضات والمعلمات ومديرات المدارس . وكانت اول جامعية من بنات القرية هيجر اسماعيل كايد حسين ، التي حصلت على بكالوريوس اللغة العربية من الجامعة الاردنية في ١٩٧١/٧/١ ، مبعوثة على حساب وزارة التربية والتعليم عام ١٩٦٧ ، وعملت بعد تخرجها معلمة في مدرسة الزرقاء الثانوية للبنات ثلاث سنوات ثم في مدرسة الاميرة عالية الثانوية في جبل اللويبة تسع سنوات ، ومديرة لمدرسة طلحة في ناعور عشر سنوات . وبذا كانت اول امرأة تكسر تقاليد اهل القرية في الحرج من توغل البنات في التعليم العالي ، كما كسرت تقاليد الجامعة الاردنية السائدة التي كانت تعيب على الامهات الجلوس على مقاعد الدراسة حيث وضعت مولودها الاول وهي طالبة في السنة الثانية .

اقتصرت النشاط الثقافي في القرية ابان الحكم العثماني على النواحي الدينية، وخاصة ما يتعلق بالاولياء وتقواهم وقدرتهم النفاذة، وتعاليم الطهارة والنجاسة، والموضوعات الاخلاقية، كالصدق والامانة ومخافة الله والعطف على المساكين والصدقات. اما من النواحي السياسية، فقد كانت لا تتعدى الحديث عن اسطنبول والباب العالي، وحروب تركيا وخاصة حروب اليمن التي يسمونها (الرديف)، والتي كان يساق اليها ابناء القرية بالقوة، دون ان يعرفوا ابعادها. وكان الرديف يعني بالنسبة لهم، الموت المحقق، فهو يشبه الغول الذي يأتي على شباب القرية ليبتلعهم. وكان يعود من كتبت له الحياة بقصص كثيرة عن ويلات الحرب، والامراض بين الجنود، وقطعان القرود الهائمة في جبال اليمن.

اما من الناحية الفنية، فقد اتسع افق خيالهم، وسادت في اوساطهم الروايات الاسطورية والخرافية وجرأة واقدام بعض الاشقياء من اهل القرية. فشاعت بينهم قصص ابو زيد الهلالي، والوزير سالم، والزيناتي خليفة، اضافة الى خرايف الغيلان التي كانت تسيطر على عقول اطفالهم، وتترسخ في وجدانهم، وتظل ملازمة لهم في كبرهم، وتبقى عندهم في موضع بين الحقيقة والخيال، يتوارثها الابناء عن الاجداد حتى يومنا هذا، ومنها، الغولة ام عينين مشقحات، التي كانت تظهر في الخرابات وعند ابار المياه على شكل عجوز شمطاء، بشعرها وانيابها المفروقة اللامعة، واطرافها الطويلة الحادة، وصوتها الملعلع بين الوهاد وهي تهيم على وجهها في السفوح بين جذوع اشجار الزيتون الغليظة، وتسطو في الليل على حظائر الماشية لتبلع منها عشرين خروفاً عند كل وجبة. كذلك ام الخراخش والدنادش، التي كانت تخاتل الرجال والنساء وهي تتعقب اثرهم في الحارات



والازقة المعتمة اذا ما خرجوا من بيوتهم في الظلام. واما القليل والقتيلة، فكانا يظهران للرعاة المتأخرين لتعشية ابقارهم في البرية بالقرب من الصخور، وعند ابواب الابار البعيدة عن القرية، وهم يصرخون بعبارات الظلم التي يتردد صداها بين قبة الفضاء وظلمة جدران المغاور. كذلك العمورة، التي كانت تزمجر للناس عن بعد وتروعهم دون ان تؤذيهم. واما القرينة، فقد كانت تدخل الى النفوس وتتزوج من اصحابها، وتسبب لهم الصرع والجنون وتتيخهم احيانا في الطرقات والاماكن العامة. وهناك بعض انواع الجن، التي كانت تمطر الرعاة في الحقول بالحجارة دون ان تصيبهم بأذى. وقد ابدع في هذا النوع من الروايات الشعبية المرحوم عبدالله التلي. هذا على سعيد الاساطير والخراريف، اما على سعيد التسلية والترفيه، فقد كان يزور البلد من حين لآخر صندوق العجب، الذي يحمله صاحبه على ظهره المنحني الى الامام ويبيديه مقعد طويل من الخشب معد لجلوس الاولاد والبنات، بل والرجال والنساء احيانا. وكان بهذا الصندوق اربعة مراصد من الامام ينظر منها المتفرجون الى افق فسيح في الداخل، يصل في ارجائه ابو زيد الهلالي فوق حصانة، شاهراً سيفه على اعدائه بشواربه الطويلة المدببة الاطراف، ونظرة عينيه الحادتين النفاذتين، ومن خلفه فاطمة المغربية بارعة الجمال. وكان يتخلل الفرجة شرح مفصل من صاحب الصندوق على شكل غناء شعبي منظوم، والذي مطلعته :

انظر لي وانظر تمام، انظر على ابو زيد، ابو زيد الهلالي، ماسك في ايده الحسام.  
وكان صاحب الصندوق يتقاضى من المتفرجين ما تجود به النفس من تعريفه او رغيفاً من الخبز او بيضة او حفنة من القمح والذرة والسَّمسم.

كما كانت تزور القرية كل صيف فرقة الغجر التي تمشى بناتها على الحبال تحت اشراف الغجري محمد سعيد الذي كان يجيد النقر على الطبل، وكان هؤلاء

يحطون رحالهم في احد اطراف البلد، مثل قطاع الجندي او احدى النوادرتين الشامية او السطح، ويهرع الناس للتفرج على عروضهم البهلوانية وقوام النوريات الرشيقات بزيهن المزركش، وخدودهن السمراء المحمرة. وقد عشق احدهن رجل من القرية، ولحق بفرقتهم الى حيفا، وتزوجها وعاد بها الى بيت نبالا، لكنها لم تلبث ان هربت من عريسها والتحقت بفرقتها من جديد.

كما كان يتردد على القرية بين الحين والآخر بائعو الاقمشة من سوريا ولبنان، والمعروفون عند اهل البلد باسم البراجوية، وقد كان هؤلاء ينامون في دواوين القرية، ويقضون معظم لياليهم في سرد الاحاديث امام جلسائهم عما صادفهم في القرى والمدن المختلفة. وكان يتخلل تلك السهرات العتابا والميجنا وزريف الطول التي يتقنها عادة هؤلاء الباعة. هذا عدا عن الضيوف العاديين القادمين من المدن والقرى ويحطون ضيوفاً على دواوين البلد، وقد كان بينهم الفصحاء والشعراء والزجالون الشعبيون والمهرجون. وقد عرف عدد من شبان القرية طريقهم الى المسارح في يافا التي كانت تحييها في الغالب فرق مصرية، والمعروفة في اوساط اهل البلد باسم المرشح وجمعها مراسح، والتي يقع معظمها في محيط مقهى العجمي في يافا.

وكان شائعاً بين اصحاب الكرامات من الشيوخ عادة الفتح في المندل للبحث عن كنوز الذهب ولاستشراف الغيب، وذلك بوضع نقطة من زيت الزيتون على سطح ظفر ابهام احد الاطفال، ويبدأون بالقراءة على رأسه وهو محقق في نقطة الزيت التي يرى من خلالها ملك الجن وجيوشه الجرارة وهي تحرس المخازن التي تعج بالذهب تحت الارض، ويوصف لهم الطفل ما يراه، ويحدد مكانه ثم يباشرون بالحفر دون ان يعثروا على شيء، وقد شهد محيط اعمدة راس ابو يعقوب الاثري



الكثير من اعمال الحفر الفاشلة. وكان يمارس هذه الطقوس الشيخ محي الدين بمساعدة اعوانه من اصحاب الكرامات.

اما على صعيد الصحف والمنشورات، فقد عرف اهالي بيت نبالا عدداً من الصحف التي كانت تصدر في فلسطين، اما عن طريقة شرائها من المدن، او وصولها بواسطة عمال الكمب. وكان ثمن الجريدة انذاك تعريفة او قرش، ومن هذه الصحف صحيفة الجامعة الاسلامية التي يشرف عليها الشيخ سليمان ابو عمر الفاروقي، وصحيفة فلسطين التي يحررها داود العيسى، اضافة الى صحيفة الدفاع وبعض المجلات. اما الراديو، فقد دخل القرية لأول مرة من قبل الانجليز مع اندلاع الحرب العالمية الثانية سنة ١٩٣٩م حيث وضعوه في باديء الامر في المضافة ليتمكن رجال القرية من سماعه. وقاموا بتمديد سلك هوائي ليبلغ طوله حوالي ٣٠ متراً ربطوا طرفه في ودعات من الخزف المثبتة على رأس عمود مغروس في الارض، يشبه اعمدة الكهرباء الحديثة، يثير العجب في النفوس من هذا الانجاز العظيم. وكان فرسان البوليس يربطون خيولهم الى هذا العمود عندما كانوا يحلون في المضافة لمتابعة قضية وقعت احداثها في القرية. وكان المسؤول عن الراديو في المضافة المختار الحاج محمود حسين صالح، وكان هذا المذياع موجهاً فقط على اذاعة الشرق الادنى، لسان حال بريطانيا بهدف بث دعايتها بين العرب، وكان يذيع نشرات الاخبار فيها راجي صهيون وابراهيم السمان. وكان مقر هذه الاذاعة في رام الله التي لا تزال ابراجها العالية شاهدة وصالحة للبث حتى يومنا هذا، والمعروف بين اهل فلسطين باسم عمود رام الله، وترى منارته بوضوح ليلاً من جبال السلط وناحور في الضفة الشرقية.

ويقول صالح عابد بأن بعض الناس من اهل القرية قاموا باقتناء اجهزة خاصة بهم بعد سنة من وصول الراديو الاول للبلد. وصاروا يسمعون منها صوت المانيا المعادية للانجليز بصوت يونس البحري القادم من اذاعة برلين، والذي كان يحلف بالطلاق احياناً بأن قوات الالمان ستدحر جيوش الحلفاء في موقع ما قبل حلول ظلام ذلك اليوم. وكان اهل القرية عند الاخبار المتضاربة يميلون مع رياح الحرب كيفما اتجهت. وكان من بين من اقتنوا اجهزة راديو من اهل القرية كل من علي طالب الحيت، وصالح عابد، وحسين خليل عيده، والحاج محمود سليمان قطيفان. وكان ثمن المذياع في ذلك الوقت ٦٩ جنيهاً فلسطينياً اضافة الى جنيته واحد رسوم رخصة. وكان المذياع يعمل على بطارية سائلة يتم شحنها في مدينة اللد عند نفادها، الى ان قام سيف الدين بتركيب دينمو على بابور طحين دار قطيفان حيث يعمل فيه ميكانيست، وصار اهل القرية يشحنون البطاريات عليه. وقد انتشر الراديو بعدها في مقاهي القرية مثل قهوة القيسي باب الكمب، وقهوة عيسى الحاج على المطامير، وقهوة ابو حسن الناطور اليافاوي المستأجرة من الحاج محمود حسين صالح، وقهوة محمد ياسين والد خصيب الواقعتين باب الكمب ايضاً.



## الصحة :

لم يكن مستوى الوعي الصحي والنظافة في القرية عالياً، نتيجة الظروف العامة السائدة في الريف الفلسطيني، واختلاط اماكن ابار الجمع بالمزابل وغيرها، حتى ان محاولة اقامة مراحيض فوق حفر امتصاصية، بعد دخول الانتداب البريطاني، لم تلق قبولاً في البداية من سكان القرية.

ونتيجة لتدني الوعي الصحي توطنت في القرية امراض كثيرة منها مرض العيون الناجم عن الاوساخ وحرارة الجو والغبار وتكاثر الحشرات الناقلة للعدوى، وقد خسر الكثيرون منهم احدى عيونهم نتيجة لانواع الرمذ المختلفة لتي لم يعرفوا نوعها. ولما كانت الاصابة خفيفة في بدايتها، الى حد العمص فقط، فقد كان اهل البلد يقومون بتكحيل العين، او يقطرونها من محلول (راس الاخت) وهي عبارة عن حجر صغير لونه قرميدي يشتري من الدكان وينحت مع قليل من الماء على قطعة فخار خشنة من بقايا جرة مكسورة. كما كانوا يقطرون عيونهم من مادة البريق التي يشترونها من الفرمشية (الصيدليه) ويذيبونها في الماء، كما كانوا يغسلون العيون المصابة عند الصباح بالشاي المر. اما اذا كانت الاصابة متوسطة، فيأخذون المريض الى عيادة الدكتور الجبجي في الرملة، او عيادات الاطباء اليهود في يافا الذين كانوا يمسحون الحرارة من تحت الجفون ويتقاضون خمسة قروش على كل كشفية. ولكن اذا كان المرض على درجة عالية من الخطورة، فانهم يأخذون المريض الى الاسبيطارة (مستشفى) العجمي في يافا.

اما مرض الحصبة، فقد اودى بحياة نسبة عالية من الاطفال، وذلك لان محدودية الوعي الموجودة عند اهل القرية بشكل عام والامهات بشكل خاص،

جعلتهم يعتقدون بان الطفل المصاب بالحصبة قد يموت اذا اغتسل بالماء، لذا لم يلامس الماء جسده حوالي الشهر او اربعين يوماً احياناً. بل واكثر من ذلك فان الام كانت تغمر ابنها المحموم تحت اغطية من الصوف كي يعرق، مما كان يرفع من درجة حرارته ويؤدي الى موته نتيجة لهذا الاعتقاد الجاهل، وقد خسرت الكثير من الامهات اطفالهن بهذه الطريقة. ومن الامراض الاخرى التي كانت شائعة في القرية مرض الملاريا الذي كان ينقله البعوض بين الناس عن طريق الدم. وقد كانت بيت نبالا مرتعاً لهذه الحشرات لوجود الابار الكثيرة المليئة بمياه الزبالة الصفراء ذات الابواب المكشوفة او غير محكمة الغطاء، هذا عدا عن قاعات الدور وما حولها، الملوثة بروث البقر وبولها، واقراص الجلة الملطوخة على جدران الطوابين، وكثرة المزابل المحيطة بالقرية والمتناثر حولها البراز الادمي. وقد اعتاد اهل القرية ان يعالجوا انفسهم من الملاريا بالاستحمام بالماء المغلي مع اوراق شجر الكينا. ويذكر بعض كبار السن بان وباء الكوليرا اجتاح في اواخر العهد العثماني عام ١٩٠٠ القرية وقضى على عائلات بل وحاترات بأكلمها، بحيث قدر انه "انجز على" ثلث السكان تقريباً. كما اصيب بعض الناس في تلك الفترة بداء الكلب (السعار) عن طريق عقر الكلاب او الحيوانات المسعورة، وقد كانوا يعزلون المصاب منفرداً داخل احد البيوت ويرمون له الطعام ويبرزون امام عينيه القماش الاحمر الفاقع لاعتقادهم خطأ بان هذا اللون يشفيه. كما كان لمرض السل نصيب وافر في القرية، وقد اصاب احدى العائلات المعروفة وقضى على معظم افرادها. كذلك كان التفوئيد معروفاً بين الناس، ولم تخل القرية على الاطلاق من المصابين بهذا المرض طيلة الوقت بسبب كثرة الفئران والجرادين التي كانت تعيث فساداً داخل بيوت العقد الكبيرة المعتمدة، وترتع على انواع الحبوب في الخوابي وفي قطع التبن والخرابات المحيطة بالطوابين، وتشارك الناس في قوتهم دون عناء.



لجأ اهل القرية في علاج بعض الامراض الى الطب الشعبي المتوارث عن الاباء والاجداد، خاصة في علاج الامراض الخفيفة. وقد كانت تفتهم بهذا النوع من الطب مطلقة احياناً، مثل علاج الحبة التي تطلع في سقف حلق الاطفال التي كان يتم فركها بزهرة السيجارة بواسطة الاصبع، كذلك علاج الحبة التي كانت تطلع تحت اللسان بكيها برأس سيخ حديد محمي بالنار. وتمليس بنات الاذنين في اعلى الرقبة بالاصابع المدهونة بالزيت مع ذكر الحسن والحسين رافع بنات الذنين ثم فقؤهما داخل الحلق باصبعي السبابة الوسطى. وقد برع في تمليس بنات الاذنين الضريرة عيشة شنارة. كذلك استعملوا طريقة الكي بالنار في جميع انحاء الجسم بالحديد المحمي او القديح. كانت نبتة القديح تنمو في الحقول وعلى حيطان البيوت القديمة. وكان طول اغصانها المتعددة يصل الى ٢٠ سم، تجفف وتترك باليد حتى تصبح مثل القطن، ثم توضع على مكان الالم وتحرق بالنار وتترك مشتعلة بالرغم من معاناة المريض المتلوي من شدة الام الحرق، حتى تصبح رماداً، ثم ينفخ على الرماد وتوضع محله نقطة زيت وتغطي بورقة توت او ورقة دخان. واحياناً كان يوضع في الحفرة التي احدثها الكي، حبة حمص حتى يتفحح المكان ويخرج منه الغش. كما اشتهر بعض الاطباء الشعبيين في القرية وعلى رأسهم حلاق القرية جمعه رضوان، بفصد الدامل وتشطيب الاذن والجبهة ورأس الانف لاجراج الدم الفاسد من الجسم. وقد كان هؤلاء الاطباء يتقاضون اجوراً رمزية مقابل معالجتهم للمرضى. ومن اهم الدايات في القرية امينة عيادة، التي اشتهرت باعطاء "الكعبة" بعد الولادة مباشرة وذلك بوضع كعب قدمها على رحم المرأة ودفع ما خرج مع الطفل من جدران الرحم نحو الداخل لاعادته الى طبيعته.

وكثيراً ما كان الناس يعالجون اطفالهم بانفسهم، كتلقيم جروح الرأس بحفنة من القهوة لوقف النزيف، واذا كانت الجروح في بعض الاطراف يوضع عليها

الكاز او البول الادمي لتعقيم الجرح. كما وضع زرق العصافير على لبة الاذن التي كانت تصاب بالالتهاب بعد خرقها بالابرة لتعليق مشابك الحلق فيها والمسماة (تخزيق الذنين). وكانت الاماكن الملتهبة في الجسم تدهن بالدهون الطافية على وجه الطنجرة او بزيت الخروع او الزيت البلدي. كما كانوا يستعملون اوراق شجر السموة بعد ان تغلي بالسمن البلدي، وتترك حتى تنخفض درجة حرارتها ثم يدهن بها مكان الالم والجروح والاورام والحريق. والسموة شجرة ترتفع حوالي متر ونصف، خضراء الساق والاغصان، ولون ورقها اخضر غامق قريب من لون ورق الليمون. وكانت بعض شجيراتنا تنبت الى جانب شجر الخروع في باحة مسجد السلطان عبد القادر وهو جامع القرية. كذلك كانت النساء تعالج الاطفال الصغار المصابين بالاسهال، بوضع الرقاقة علي بطن الطفل في مكان الضربة ثم لف بطن الطفل بقطعة من قماش الصوف، والرقاقة عبارة عن طحين معجون بالبيض. اما الاسنان، فكانوا ينظفونها بفركها بذرات الملح، ويتمضمضون بمحلوله اذا كانت موجوعة. كما كانت بعض حالات المغص المعوي تعالج بشرب ماء الميرمية المغلية، ولفحة الهوا تعالج بكاسات الهوا ودهن مكانها بالزيت البلدي. كما عولج الاطفال المصابون بالالتهابات (السماط) في ثنايا افخاذهم برش السمقة بدلاً من بودرة اليوم. والسمقة تراب احمر ناعم يتم تنقيته بواسطة منخل الطحين. وكبقية اهالي فلسطين فقد استعمل اهالي بيت نبالا الاعشاب لعلاج بعض الامراض مثل القرينية والبابونج والميرمية والخلة والطيون.

ولضحالة الوعي والتنقيف عند اهل القرية، فقد كانوا ينسبون جميع الامراض النفسية والعقلية والعصبية الى سكون الجن في اجسام المصابين بهذه الامراض، والتي يتم اخراجها علي يد بعض الشيوخ من اصحاب الكرامات، اما عن طريق النداءات والرطانه المبهمة، او بضرب المريض بالعصا او الحذاء.



ومن حقي انا مؤلف هذا الكتاب ان ادلي بشهادتي وانقل للقارىء صورة دقيقة لما حدث لي قبل ثلاثة وخمسين عاماً. ففي عام ١٩٤٥ كان عمري خمس سنوات، وكنت احمل في يدي بوصة طويلة اتابع بها خطوات امي في تنقلاتها داخل البيت وفي قاع الدار، والح عليها غاضباً لتعطيني قرشاً. ولكنها كانت تعرب عن ضجرها من الحاحي، ربما لضيق ذات اليد، فتهملني مرة وتطرمني احياناً، فاهرب امامها باكياً مبتعداً عنها قليلاً. ولما دخلت الطابون تبعتها ماداً رأس البوصة نحوها لوخرها، فصاحت في وجهي، فأرتعدت حواسي وشعرت على الفور بتشنج في خدي الايسر، وميلان نحوه في فمي، وعندما تفرست امي في وجهي غرقت في دوامة من الندم المشوب بالهلع. وتولت جدتي رعايتي واخذت من اثري منديلاً فيه خمسة قروش، وذهبت بي الى دار الشيخ يوسف حسن امين المجاورة لمقام السلطان عبد القادر، وروت له ما حدث لي. فطلب منها رؤيتي، وعندما حضرت، اقعدني امامه على حصير، ورحت اتأمل خطوط جبهته بخوف وترقب. كان مربع الوجه، محاطاً بلحية طويلة بيضاء على شكل هالة، اما ظواهر شفثيه فكانتا تتبضان كعضلة القلب. وراح يتأمل في وجهي الكسير، وتمثلت لي خلف عينيه قوه خارقة تطارد الجن في ارجاء طفولتي الفسيحة، فانداحت على خدي قطرات من دموع الصبر التي تنتظر الخلاص، ومال بجذعه نحو اليمين، وتناول بيده من جانب الحصيرة فردة حذاء مثني الكعب (مشاية فقراوية)، وراح يضربني بها على خدي الملووح ليرده الى وضعه الصحيح، ويتمم بكلام لم اعرف معناه حتى هذه اللحظة. الا ان حالي بقي على ما هو عليه بعد اسبوع، الى ان طرح والدي الموضوع على رجل التقى به مصادفه في مدينة اللد، نصحه بتدليك وجهي بالزيت الحار على مدى اسبوعين مع الامتناع عن اكل الموالح والاقتصار على تناول الاطعمة الحلوة كالعسل والدبس والحلاوة مع عدم تعرضي للتيارات الهوائية طيلة مدة العلاج. ونتيجة لهذه الوصفة شفيت تماماً.

كان اهل القرية وخاصة النساء، يعولون اهمية كبرى على الرقية وهي قراءة القرآن على المريض، كذلك النذر. فاذا برىء المريض تذهب النساء الى بعض المقامات في القرية مثل مغارة سيدنا عبد القادر ومغارة ست النسب، ومقام سيدنا علي مالکينا في الخربة الشامية، وتضيئها بسراج الزيت شكراً وتقرباً لله، مع اظهار روح الامتتان. كما كانت بعض النساء يعقدن اهمية كبرى على تعليق الحجب في رقاب الاطفال او يكتفين بدسها في وسادة المريض او في الاغراض الاخرى. واذا ما تأخر الحمل عند بعض النساء فانهن يلجأن احياناً الى المشعوذين والدجالين في يافا والرملة وطبرية. ومن اشهرهم الشيخ العجيلي في مدينة الرملة، الذي كان يقوم بتمديد النساء على بطونهن بشكل مجموعات داخل بيت ويدوس على ظهورهن وهو يصرخ بصوت عالٍ يستجير ببعض الاولياء من اجل ان تحمل تلك النساء التائبات، كما كان يقوم بتمليس المبايض على جانبي بطن المرأة.

ونتيجة لكثرة الوفيات بين الاطفال في القرية، فقد سيطر على اهلها وهم الحسد وضربة العين التي تميت الاطفال. وكرد فعل على ذلك، فقد اعتاد الناس على اطلاق الالقاب (النقيبيات) على اولادهم التي تظل مقرونة باسمائهم طيلة حياتهم، وهي ذات معانٍ ثقيلة الوقع على الاسماع، ومثيرة للضحك احياناً. وكان هذا اللقب موازياً لاسم الشخص، ويكاد لا يوجد رجل او امرأة في بيت نبالا دون لقب خاص، يتندر به اليوم اهل القرية في الشتات. وقد غدت النقيبية بمثابة الاسم الحركي المميز لاصحابه اكثر من اسمائهم، ليس بين ابناء القرية فحسب بل ولدى ابناء القرى القريبة منها. والنقيبية بالعادة لقب منفر او مضحك يهدف ابعاد الشر عن الولد حتى يعيش. وغالباً ما تؤخذ هذه الالقاب من اسماء اعضاء بعض الحيوانات او اسماء الوحوش والدواجن والطيور والحشرات والنباتات. وقد يدل اللقب على



السمنة الزائدة او النحافة الشديدة، عدا عن الالقاب العديدة ذات الدلالات العجيبة التي تثير الضحك وتعجز عن تفسيرها القواميس. ان كل واحد من اهل القرية من الجيل القديم يعرف لقبه جيداً، ويغضب بعض اولاده واحفاده اذا ما نسب هذا اللقب لوالدهم او جددهم في هذه الايام، بل ويحاولون قدر الامكان طمس معالمه والتخلص منه. علماً بأن هذه الالقاب قد اصبحت معلماً وتراثاً فكاهاياً يجسد بمجمله خصوصية نادرة لبيت نبالا، كما ان هذه الالقاب كانت معروفة تماماً في اوساط القرى المجاورة، وهي بمثابة العلامة التجارية التي اشتهرت اسم بيت نبالا في وسط فلسطين.

قامت حكومة الانتداب البريطاني بفتح مركز صحي في القرية عام ١٩٤٠ في دار خليل كايد حسين تحت اشراف الدكتور درويش الزحلان من اللد الذي كان يستقبل مرضاه ثلاثة ايام في الاسبوع كما تم تعيين ممرض مقيم من الرملة والمعروف لاهل القرية باسم ابو ثابت. وقد تعاقب على هذا المركز بعض الاطباء اليهود، وقد امتنع اخرهم عن العمل في القرية عند بداية الاضطرابات بين العرب واليهود وخاصة بعد مقتل جميل الطريفي في الكمب.

المدن والقرى الفاضلة لا وجود لها الا في الخيال، اما في الواقع، فلا بد من وجود السلبيات والايجابيات في كل تجمع سكاني. وقرية بيت نبالا مثل غيرها من القرى، تتلاطم في صدور ابنائها وبناتها مسحات الخير والطيبة جنباً الى جنب مع النوازع الضارة التي فطر عليها الانسان منذ الازل. الناظر والمتأمل في سلوكيات ابناء القرية عبر الاجيال، يجد في النهاية بأن لهذا المجتمع الصغير وجهين، الاول مشرق، والثاني شقي. اما الوجه المشرق، فكان يتمثل في بساطة الناس، وحبهم لبعضهم لبعض، فكانوا يمارسون حياة اجتماعية تسودها روح التعاون والتكاتف، وليس ادل على ذلك شاهداً اكثر من بناء المضافة في العهد العثماني، التي اصبحت رمزاً لجهود ابناء البلد المشترك، كما هي رمز لكرم الضيافة والشورى بين اهلها. فكانت تجمع رجال القرية عند كل صغيرة وكبيرة، خاصة وان همومهم كانت واحدة في هذا العهد من حيث المغالاة في جباية الضرائب والاعشار والتجنيد الاجباري لشباب القرية، والزج بهم في حروب تركيا المستمرة. وقد كانت العلاقة بين الحمائل في تلك الفترة لا تتعدى قرابة ابناء العمومة، والشاهد على ذلك التفاف اهل القرية جميعاً حول الشيخ صافي مصطفى محمد ياسين مبارك، الذي كانت كلمته مسموعة ويدير شؤونهم في العهد العثماني. ثم جاء من بعده ابنه احمد صافي، ثم خلفه اخوه خالد صافي، الذي انتقل الى رحمته تعالى عام ١٩١٦ قبل ان تضع الحرب العالمية الاولى اوزارها بسنة واحدة، فكانت القرية في تلك الفترة تظهر وكأنها اسرة واحدة بعيدة عن الانقسام بالرغم من وجود بعض المخاتير القلائل الذين كانت صلاحياتهم محدودة وتتحصر في ترجمة حال ابن القرية للمعاملات الرسمية التي كانت تطلبها الدولة العثمانية من الافراد.



لكن، ومع بداية عهد الانتداب البريطاني على فلسطين، عمل الانجليز على توضيح خطوط خارطة الحمائل في القرية، اسوة بالقرى الاخرى، وزادت في عدد المخاتير، ورفعت من سقف صلاحياتهم لخلق اتجاهات واهواء جديدة فيما بينهم، تتعارض في المستقبل بعضها مع بعض لتخدم اغراض تعلق الناس بسلطة الحكومة من خلال تهافت بعض المخاتير على الازعان والولاء المطلق لحكومة الانتداب. وقد امتازت هذه الفترة في فلسطين بكثرة عدد المخاتير في القرى، التي يمكن ان نسميها فترة عهد المخاتير. ورد في جريدة الدفاع تاريخ ١٩٣٧/٣/٧ ان المخاتير محمود الحاج حسين ومصطفى طه قد فازا عن عائلتيهما في انتخابات مخاتير بيت نبالا، اما عائلة النخلة فقد اختلفت على مرشحها مما اجل الانتخاب والبت في الامر. والجدير بالذكر ان الجريدة اشارت الى ان هذه الانتخابات تمت باشراف قائمقام الرملة وضابط بوليس مدينة اللد وقوة من رجال البوليس. اخذت قسما وجه القرية في عهد تعدد المخاتير تميل الى الشقاء بالرغم من تباشير تحسن الوضع الاقتصادي، فبدأت الحمائل في القرية بل وحتى الافخاذ تتحوصل على نفسها، وتتعزل في دواوين خاصة بها حتى بلغت حوالي ثلاثة عشر ديوانا، واصبحت المضافة تستخدم فقط للاغراض الرسمية التي تحكم العلاقة بين السلطة واهل القرية خاصة عند اخماد الطوشات التي صارت تتشب بين الحمائل والعائلات لاتفه الاسباب. ولم يذكر المتقدمون في السن انهم سمعوا من ابنائهم الذين ولدوا وماتوا ابان الحكم العثماني، عن خلافات عشائرية بين اهل البلاد، بغض النظر عن حرب القيس واليمن التي كانت تحمل الطابع السياسي البحت. ومن هنا، فقد بدأت المشاكل تطل برأسها في القرية مع بداية تنافس المخاتير على رأس الحمائل، الا ان هذه المشاكل، بالرغم من انها كانت كبيرة في ظاهرها، وتأخذ شكل الطوش العامة، الا انها كانت في جوهرها صغيرة، اقرب الى الزوبعة في فنجان. والشاهد على ذلك هو عدم سقوط القتلى في هذه الطوش باستثناء حالات نادرة

كمقتل رشيد حسن عثمان بالخطأ على يد اقاربه من حمولة دار زيد، ومقتل عبد الرحمن ابو يقين بتاريخ ١٧/١١/١٩٣٥ على يد طالب احمد صافي ومحمود راغب صافي ومحمد سليم صافي بعد خلاف على ارضه كما ورد في جريدة فلسطين بتاريخ ١/٢/١٩٣٦. وبالرغم من نشوب الطوش العديدة بين الحمائل ابان حكم الانتداب الا ان اهل القرية كانوا رحماء بينهم. وتقول امنة العيشاوي: لم يستخدم البارود اطلاقاً في معاركهم انما كانوا يرمج بعضهم بعضاً بالحجارة من على اسطح بيوتهم المتصلة بعضها مع بعض، وعندما ينزل فريق منهم عن هذه الاسطح، فانه يعتبر نفسه الطرف المغلوب وفي اليوم التالي ينزل الجرحى الى مدينة اللد او يافا، ويقطبون جراحهم ويضمضونها، ثم يعودون ويجلسون ويشربون القهوة ويضحكون بعضهم مع بعض، وكان شيئاً لم يكن. ومن الامثلة على الطوش الكبرى نذكر طوشة دار صافي ودار زيد عام ١٩٣٠ اثر خلاف بين مصطفى الحيت وعثمان ابودية، وطوشة دار النخلة ودار صافي عام ١٩٣٣ بسبب رعي غنم دار العبدية على غرس دار راشد شتات في خربة البيضا.

ولكن، وفي عام ١٩٣٧ اتخذت الخلافات شكلاً اخر يختلف عن الاول، حيث تفسخت حمائل البلد الاربعة وانقسمت على نفسها، وتحولت الى احزاب وتحالفات بين الافخاذ المختلفة، وصارت الطوشة تقع بين افخاذ الحمولة نفسها بمساندة افخاذ من حمولة اخرى لها تربطها بها علاقة صداقة او رابطة نسب ومصاهرة، حتى وصل الحد بالبعض ان يضرب الحجارة على اولاد عمومته في صف الطرف المعادي. وشاعت البلبلية بين افراد الحمولة الواحدة وحتى الاقارب، تطبيقاً للمثل القائل: (طعه وقايمة). وقد سميت تلك السنة. بسنة الفساد، والتي على اثرها اقامت حكومة الانتداب مفرزة من الفرسان الدائمة في المضافة، وكان على رأسها شخص اسمه ابو حكمت واخر اسمه يعقوب زيادة وهو من بيرزيت.



وكان هؤلاء الفرسان يطاردون الاشخاص المتقاتلين داخل القرية وخارجها، ويقال بانه صادف وان لجأ شخص الى مغارة في طرف البلد فوجد بداخلها شخصاً من طرف معاد لفريقه وجلس الاثنان يتعاتبان ويأسفان على ما وصلت اليه اوضاع القرية من فساد. وقد رحلت مفرزة الفرسان عن القرية في منتصف عام ١٩٣٨ بعد زوال الاسباب التي جاءت بها الى القرية.

وبالرغم من كل السلبيات التي كانت تطفو على سطح الحياة الاصلية لاهل القرية، الا انهم ظلوا محافظين على عاداتهم الانسانية التقليدية التي فطروا عليها. فكانت حالة الوفاة تجمع كل ابناء القرية على القبور، وبعدها تتناول حمولة المتوفى طعامها بالتناوب عند الحمائل الثلاث الاخرى دون استثناء، وانه لشرف عظيم حصول الحمولة على الدور الاول في العزومة. وكانت تتوقف الافراح مدة تزيد عن اربعين يوماً شعوراً مع اهل الفقيد. اما حفلة الزواج، فكانت تجمع ابناء الحمولة والاصدقاء والاصهار من الحمائل الاخرى، وكذا الحال مع عقد البيت ووقت الحصاد، حيث تكثر الفزعات (العونة). ولم يحدث في تاريخ البلد ان انساناً فقيراً قد مات جوعاً بالرغم من حروب تركيا المتواصلة، مروراً بالحرب العالمية الاولى والاضرابات والاحداث التي عصفت بفلسطين بين وبعد الحربين، وذلك لان المقتدر من اهل القرية كان يساعد الفقير. ومن المعروف لدى اهالي وسط فلسطين ان اهالي بيت نبالا بالذات غيورون جداً على ابناء بلدهم، فهم اشداء على غيرهم لكنهم رحماء بينهم، وكان الواحد منهم اذا ما وقع في مأزق في مدينة اللد، فانه ينظر حواليه ليستطلع وجود بعض من اهل بلده لكي يتصرف حسب الموقف المتوفر لمساندته قبل ان يتورط في مجابهة قد تكون خاسرة.

لقد كانت بيت نبالا مفتوحة للضيوف الوافدين من شتى مناطق فلسطين  
والاردن وسوريا ولبنان، بحثاً عن عمل أو سعياً وراء تجارة، وقد عرف عنهم  
حسن الضيافة واکرام الغريب واحتضان المطاريد ومغاوير الثوار ومدهم بالطعام  
والعتاد في مخابئهم بين شعاب القرية ووهادها.

ولكن الايام تدور وتدور، ومع دواليبها يعيد التاريخ نفسه، فقد تجمع اهل  
القرية من جديد في شتاتهم حول خلايا جديدة، طالما تعطشوا لوجودها، ليحافظوا  
من خلالها على تواصلهم الانساني الذي يعتبر وعاء لتقاليدهم وعاداتهم التي ورثوها  
عن ابائهم واجدادهم : الا

وهي جمعية الزيتون النبالي في عمان وجمعية بيت نبالا الخيرية في رام الله، التي  
يقوم على تصريف شؤونهما في عمان ورام الله نخبة من ابناء القرية، ممن  
يتمتعون بعزم الشباب وحكمة الشيوخ.



## الزواج :

كان الزواج يمثل ذروة السعادة التي يتمناها كل شاب في القرية من أي فتاة يراها الوالدان مناسبة لولدهما. وكان التنافس بين العائلات في العديد من الأحيان على اختيار العروس يؤدي الى الطوش وهجران القرية والدخالة على وجهاء قرية مجاورة او لاحدى الحمائل للتوسط في تقريب وجهات النظر بين العائلات المتنازعة، التي كانت تجد الحل في الغالب على حساب رفع مهر العروس الفائقة الجمال في ذروة المضاربة والمنافسة حتى يتعدى خمسمائة جنيه فلسطيني، متجاوزاً بذلك الحد التقليدي لمهور الفتيات المتعارف عليه الذي كان سقفه لا يتعدى في كثير من الأحيان ثمانين جنيهاً، مما كان يجبر اهل العريس على بيع قطعة من الارض، او سقوطهم في شرك الديوان التي تقض مضجع السعادة بعد الزواج.

اما الفتاة، فكانت تضع نفسها في قمقم من الخجل، وتترك مصير زواجها للقضاء والقدر تحت رحمة والدها الذي يوافق او لا يوافق دون علم منها. لكن رغبتها المكبوتة في الزواج كانت تظهر رغم خجلها باشكال مختلفة، اما عن طريق الغناء بين رفيقاتها اللواتي يحفظن اسرارها اثناء جمع البقول او الحطب، او باختلاس النظر من طرف خفي نحو الشاب الذي يشاع عنه بانها معطية له منذ ولادتها، او مجاملتها الزائدة لامه والتقرب منها باظهار المودة الخرساء التي تخفي تحتها الرغبة الاكيدة، هذا اذا كانت الفتاة مدركة لما يدور حولها، اما اذا كانت جاهلة فانها تستسلم تاركة مصيرها للمجهول .

لقد كان العرس احلى مناسبة في بيت نبالا، واكثرها بهجة في النفوس، ولم تختلف عادات الزواج في القرية كثيراً عنها في الريف الفلسطيني. وقد كانت

تبدأ خيوطه اما عن طريق الامهات ، او بالطلب المباشر من الاباء خاصة بين  
الاقارب والاصدقاء، او بالطلبة غير المعلنة عن طريق واسطة لجس النبض اذا  
كانت البنت من حمولة اخرى. فاذا كانت محجوزة لاحد اقاربها، يأتي جواب  
الواسطة سلباً، واذا كانت خالية، وتمت موافقة اولية من ولي الامر، يأتي الجواب  
بالتقدم بطلبها رسمياً من اهلها. هنا يذهب والد العريس وحده او مع احد اقاربه الى  
دار العروس لطلب يدها من ابيها او ولي امرها، حيث يكون الجواب الاولي  
بامهالهم عدة ايام للوقوف على رأي الاقارب من باب المشورة ومسكة خاطر.  
وبعدها يأتي الرد لولي امر العريس بالموافقة، وعندها تبدأ مرحلة اخرى وهي  
مرحلة الخطبة التي تتولاها جاهة مختارة تتكلم باسم العريس، والتي تنتهي في  
العادة بشرب القهوة وقراءة الفاتحة واطلاق الزغاريد من قبل ام العريس وقربائه،  
ثم يعقبها الرقص والغناء والتلويح بالمناديل والشاشات. وبعد يومين او ثلاثة،  
يذهب العريس برفقة امه وابعه واخواته الى دار العروس وبحوزتهم (خشة الدار)  
على طبق من القش الملون تحمله امه على رأسها، وهي خليط من الفستق  
والقضامة والحامض حلو والحلقوم التي يطلق عليها اهل القرية اسم (نقل). وفي  
كثير من الاحيان كانت العروس عند خشة الدار تهرب الى بيت الجيران خجلاً من  
مقابلة العريس.

وعندما ينوي العريس على الزواج، فانهم يكتبون عقد الزواج (الاملاك)  
وذلك قبل شراء الكسوة بيوم او يومين، وكانت الفتاة توكل والدها لتوثيق عقد  
زواجها في اللد واثناء كتابته يقبض والد العروس المهر المتفق عليه مع التأكيد على  
الشروط الاخرى شفويًا امام الشهود. وبعدها ينزل اهل العروس والعريس الى  
مدينة اللد لشراء الكسوة من تجار القماش امثال رمضان او دار الهنيدي او دار  
عبده. وكان اهل العروسين ينزلون احياناً في دار التاجر المراد التعامل معه،



ويتغدون عنده، وذلك من باب الدعاية البدائية لجلب الزبائن. وتقول امنة احمد العيشاوي باننا كنا نشترى الطعام المعد للطبخ من مالنا الخاص، وما على التاجر الا ان يفتح لنا داره ويقدم لنا الاواني فقط. ولكن قبل الرحيل بقليل صار التجار يأتون الى القرية بقماشهم وبضاعتهم ليقطعوا الكسوة في دار العروس ليجنبوهم مشقة وعناء السفر الى اللد.

كانت كسوة العروس تتكون في العادة من اربع الى خمسة مقاطع واربعة سراويل توبيت وكورت، وثوب حيارى، ومخمل، وقرمسوط، وخضاري، وملاكة، وهدم، واربع شلحات، وشاشين، وعصبة غراوية، اضافة الى الحرير اللازم لتطريز الثياب وشراشيب الشاشات والمناديل، ومكحلة العين وقلائد الخرز. اما حذاء العروس، فكان يستثنى في العادة من الكسوة، اذ كانت تولد وتزوج وتموت وهي حافية القدمين، لكنها كانت تلبس حذاء عريسا وهي تزف على ظهر الفرس ليلة الدخلة فقط. وكانت قيمة الكسوة هذه لا تتعدى عشرة جنيهاً، وكانت تصر في عقدة كبيرة من القماش لتحملها احدى النساء على رأسها. اما بالنسبة للحلي والمصاغ، فكانت العروس تشتري اساور الفضة وزناقا وحلق الذهب، وجميع هذا على حساب اهل العريس، اما والدها فكان يقدم لها نقوطاً من ليرات الذهب بقيمة عشرة جنيهاً تضيفها الى زناقتها، ويسمى هذا النقوط، صداق الرقبة. اما العريس، فكان يفصل دماية العرس، والساقو الطويل، وسروالين، وثوبين قصار، ويشترى حطة وعقال وحذاء، كما كان لزاماً على اهل العريس ان يدفعوا لاهل العروس مع الكسوة قيمة هدم العم وهدم الخال. وعند العصر، يعود اهل العروسين من اللد، حاملين معهم الكسوة، حيث يستقبلهم اهل القرية على طريق اللد في ارض الوسطة او الهدفة بالغناء والرقص والسحجة، ويظلون هكذا حتى يصلوا في عودتهم باب دار العروس، ثم يتفرقون الى بيوتهم.

وفي اليوم الثاني يرسل القماش الى الخياطات في البلد، لدرزه وتطريزه بالحرير الذي يستغرق حوالي عشرة ايام. وطيلة الليالي الثلاث التي تسبق الدخلة، يقيمون الافراح والليالي الملاح، حيث ينصبون بعد المغرب حلل الشاي او الحليب الكبيرة على مواقد حجرية في وسط الساحات العامة، واحياناً على النوادر تحت انوار مصابيح الكاز، ويقيمون السحجة والدبكة التي تتخللها الاغاني الشعبية المتنوعة الاغراض مثل الشجاعة وكرم الضيافة، والمحبة والاخلاص والوفاء والوصف والغزل، والتي يبدأ مطلعها في العادة بذكر النبي صلى الله عليه وسلم. وقد اعتادت حمولة دار زيد ان تقيم افراحها على ساحة المطامير، ودار صافي في الساحة التي تحيط بدار الزغلول والشراقة في ساحة المقييل ودار النخلة في الساحات الكثيرة القريبة من بيوتهم. وهذا لا يمنع ان تقيم اية عائلة او حمولة افراحها في أي ساحة من ساحات القرية فهي ساحات عامة وملك الجميع ولكنهم اعتادوا هكذا، ومما هو جدير بالذكر ان معظم الاعراس بل جميعها كانت تقام في فصل الصيف او في الاشهر غير الماطرة على الاقل. وتسمى الليلة التي تسبق يوم الدخلة، ليلة الحناء، حيث تذهب قريبات العريس بعد المغرب الى بيت العروس، تحمل احدهن على رأسها طبقاً من القش يحتوي على كمية كبيرة من الحناء، ويسرن في الطريق يحملن المشاعل والاولاد يتقافزون من حولهن وهن يرددن الاغاني الجميلة حتى يصلن الى دار العروس. حيث تقوم احدهن باجلاسها على شيء مرتفع مثل المخدة او تتكة فارغة او كرسي ان وجد، وتقوم بتحنية رجليها من القدمين حتى الركبتين، ويديها من الكتفين حتى المرفقين، اضافة الى تنقيط بعض المواقع في جسدها، ثم تقوم معظم الحاضرات من الطرفين بتحنية اياديهن بمعية العروس، حتى الاولاد ينالون نصيبهم، اذ يقوم بعضهم بتحنية يد واحدة احياناً مما كان يعرضهم لسخرية



معلم المدرسة في اليوم التالي عندما يتعرض للعقاب بالضرب على يديه اثر  
تقصيره في احد دروسه ، حيث يقول له المعلم افتح يدك المحنية لاضررك عليها .

بعد تحنية العروس ، تعود قريبات العريس الى بيوتهن ، وتظل معها  
رفيقاتها من اهل الحارة حتى يجف الحناء وتغسله عن اطرافها، مخلفاً بذلك وراءه  
اللون الاحمر الجميل الذي يثير في نفوس الصبايا الرغبة والتمني لدخول عالم  
الزواج المجهول ، ويستمر الغناء والرقص في بيت العروس ويتخلل ذلك اوبريت  
"حراثة الحقول" ، حيث تقوم احدى الصبايا بدور الحراث، واثنين بدور البقرتين،  
واستعمال عصا بدلاً من عود الحراث واخرى بدلاً عن النير . ويبدأ الحراث يصيح  
عتاباً وميجناً، اضافة الى الاغاني الزراعية الاخرى مثل (ياحراث البقر ما اطول  
معانيك) . في اليوم الثاني يبدأ التحضير للزفة ، حيث يقوم والد العريس بشراء قفتين  
من الارز ويفلفونها ويديرونها على حصيرة مفروشة امام المدعوين للاكل، ويقوم  
الاطفال احياناً بوضع الارز في حجور ثيابهم ليأكلوه. وبعدها تبدأ الزفة وذلك  
بركوب العريس على ظهر الفرس والنساء ترقص وتغني من حوله، اما الرجال  
فيسيرون خلف الزفة في موكب واحد عبر احد شارعي القرية الرئيسي باتجاه  
الغرب، حتى يصلوا ارض الوسطة، قبل ضمها داخل الكمب، وهناك يبدأ سباق  
فرسان اهل القرية على ظهور الخيل، وكان من اشهر هؤلاء الفرسان : خميس  
مطر وصافي طه ومحمد عساف وعبد القادر الملقب بالتركي وغيرهم. بعد ذلك  
يعود موكب الزفة الى دار العريس. ثم بعد المغرب تبدأ زفة العروس بعد ان تكون  
قد حصلت على النقود من اقاربها وقريباتها الذي يتراوح بين الشلن وجنيه  
فلسطيني. وقد كانت قطعة النقود الورقية تشبك على صدرها بدبايس، وكان اولي  
الناس بمساعدتها لركوب الفرس هما العم والخال اللذان حصلوا على الهدمين من  
الكسوة، ثم يجلس رأسها بشاش يغطي جميع جسمها، وتلبس حذاء العريس.

وتمسك بالسيف وتركزه امامها على كربوس الفرس، وسط الغناء على طول المسافة بين بيتها وبيت عريسها فقط. وبعد ان تدخل البيت وتلبخ قطعة الخميرة على الباب يأتي دور الجلوه، حيث تحمل في يديها الشمعدانات وترقص امام عريسها يمينا وشمالا بحضور النساء، ثم ينتهي العرس بمغادرة الجميع الى بيوتهم. وفي اليوم الثاني او الثالث لزواجها تذهب الى بير البلد او تسرح الى السهول مثل بقية النساء. وهنا، لابد من توضيح مفهوم هدم العم والخال، المتمثل في اعطاء كل من عم العروس وخالها مبلغاً من المال، من قبل عريسها، متفقاً عليه، يكون عادة بقدر قيمة كسوتيهما، وذلك لان عمها وخالها سيحملان في المستقبل اعباء زيارتها في الاعياد وتقديم الهدايا لها.



## ختان الاولاد (الظهور) :

اعتبر الختان في بيت نبالا من اهم الاحداث في حياة الولد والوالدين على السواء. ويتم هذا الحدث طبق برنامج معد يشبه برنامج الزواج من حيث الاهمية. فهو من الايام التي لا تنسى. ويتم تحديد يوم الظهور بالاتفاق بين والد الطفل وبين المطهر الذي كان يأتي الى القرية عادة من مدينة اللد او الرملة. وكان من اشهر المطهرين شخص من اللد اسمه رمضان. وبناء على هذا تقوم الام بالاعلان لجاراتها وقريباتها ودعوتهن الى هذه المناسبة السعيدة قبل اسبوع على الاقل، كما يقوم الاب بدعوة اقاربه واصدقائه لحضور حفل الظهور والزفة وتناول طعام الغداء في اليوم المحدد لهذه الغاية. وبعدها تبدأ الاسرة في التحضير وشراء الارز والذبائح والقهوة والدخان والتبناك. وعندما يأتي ذلك اليوم وعند الظهر، يأتي المدعوون والمدعوات اللواتي يدخلن الدار بالتهليل والزغاريد، ثم يتجمعن ويقمن بالغناء والرقص، كما تقوم بعضهن بمساعدة ام الولد في طبخ اللحم والارز، واخرى في قطب ما تبرعن به من قطع نقدية او معدنية من النصاص والرباع على صدر الولد لتزينيه قبل الزفة. وبعدها يرفع الولد على ظهر الفرس وهو يرتدي الدماية والحطة والعقال، ومن الجدير بالذكر ان عملية الظهور كانت تحدث في العادة لمن يتعدى الخامسة من عمره او اكثر، وفي كثير من الاحيان كانت تتم لشباب بالغين، وقد تزيد اعمارهم عن الخامسة عشرة، واحياناً العشرين. وكانت الزفة تطوف احياء في القرية يسير في مقدمتها الرجال. اما النساء، فيرقصن حول الفرس التي يباريها على الجانبين والد الطفل وخاله او عمه، خوفاً من سقوطه عن ظهره. وبعد الانتهاء من الزفة تعود الجموع الى دار الفرح حيث يتناولون طعام الغداء، ثم يبدأ المطهر في تجهيز ادواته تمهيداً للعملية التي يسبقها سؤال يوجه الى الولد : من من الحاضرين تريد ان تترهب ؟ فيرد الولد : خالي فلان او عمي

فلان. ويعني هذا ان من وقع اختيار الولد عليه يكون مكلفاً بدفع اكبر قيمة من النقود الذي قد يصل في بعض الاحيان الى جنهين او ثلاثة، كما ان من قبل هذا الترهيب يكون ملزماً بعمل غداء او عشاء لاهل الولد بعد عدة ايام من الطهور. ثم يبدأ التتقيط الذي يترأوح بين شلن ونصف جنيه وجنيه وذلك حسب مقدار الصداقة او المعزة وبعد عملية الختان تستمر النساء بالغناء حيث يقلن :

يا دموعوه الغالية سقطت على كمة      طهره يا مطهر وناوله لامه

يا دموعوه الغالية سقطت على بشته      طهره يا مطهر وناوله لاخته

قالت عدوة امك يا حسرتي على حالي      من طهرك يا (محمد) على رواق الشامي

قالت عدوة امك يا حسرتي يا غلبي      من طهرك يا (محمد) على رواق القبلي



## اغاني السحجة واغاني النساء في العرس :

تبدأ احتفالات العرس في بيت نبالا قبل ثلاثة او اربعة ايام على الاقل من ليلة الدخلة، بمشاركة معظم اهل القرية، حيث تذهب النساء الى بيت العريس كل ليلة من هذه الليالي وهن رافعات المشاعل ويزغردن في الطريق، ثم يبدأ في الغناء والطبل والزمر حال وصولهن. اما الرجال، فيجتمعون في ساحات القرية الرئيسية اذا كان اهل العريس يسكنون داخل البلد، او في احدى النوادرتين، اذا كانت بيوتهم على الاطراف، وكانوا ينيرون ساحة العرس بلكسات الكاز وينصبون حلل الشاي والحليب على مواقد حجرية على طرف المكان. وكان يتخلل تلك السهرات الدبكات المرافقة لغناء زريف الطول ودلعونة وجفرا وياهاالربع، او يصيحون العتابا والميجانا التي يتقنها عادة الحداءون القادمون من اهل الجبل. الا ان سامر السحجة، كان له النصيب الاوفر من تلك السهرات، والذي يؤديه عادة الشباب والكهول معاً، حيث يقف المشاركون على شكل صفين متقابلين، يردون على بعض، ويكرر الصف الثاني ما يقوله الصف الاول طيلة مدة السحجة التي تبدأ بالصلاة على النبي :

عالنبي الهادي

زمان عادي

محلاه ويا زينه

رنت فناجينه

يا من جابك

اللي عرفتنا بك

الاقدام ما جينا

اراضيكم برجلينا

اول كلامي بصلي

والفرح فيكم من

وشرب القهوة

من البكرج اللي انتصب

يا مرحبابك يا من ذلك

يا مرحبا بالطريق

لولا المحبة علي

ولا دعسنا

يا اللي تروح داره  
ليسمعك جاره  
بالمنديل غطاني  
لا شفته ولا راني

سلم علي حبيبي  
سلم عليه بالوما  
نايم على حده  
والحلم كذاب

وفي اثناء زفة العريس، فان النساء يرقصن حول الفرس ويقلن :

عريسنا يا ناس، مين قال عنه اسمر  
ابيض من الجبن، واحلى من السكر  
عريسنا يا ناس، مين قال عنه شين  
ابيض من الجبن، واحلى من كحل العين  
صلوا ع ناييكم يلي ع الحيطان  
صلوا ع ناييكم ع زفة العرسان

كما ترقص الختيارات والصبايا امامه وهو مصمود على جانب العروس، ويقلن :  
كيف كيف يا (محمد) مالك زعلان  
و(مريم) على حدك طلق الريحان  
كيف كيف يا (محمد) مالك مغبون  
و(مريم) على حدك طلق الليمون

اما اغاني الشباب في الدبكة ، فهي متشابهة تقريبا في قرى فلسطين خصوصا  
زريف الطول التي مطلعها :

رايح على الغربية بلادك احسن لك  
وتعاشر الزينات وتنساني انا  
والعنق شبرين وهيك الله خلق

يا زريف الطول وقف تقولك  
خايف يا المحبوب تروح وتنملك  
يا زريف الطول من الحارة مرق



كما تقوم الصبايا في بيت العريس بالدبكة وأيديهن متشابكة ويقلن :

جفرا وياها الربع بتصيح يا عمامي

ما بوخذ ابنكم لو تطحنوا عظامي

وان كان الجيزة غصب في شرع الاسلامي

لارمي حالي في البحر لسماك المية

كما تقول النساء عندما يأتين لآخذ العروس من بيت والدها :

حين النباليات بثياب الحبر

ورجالهن قدامهن زي الوزر

حين النباليات هيلة بهيلة

زي الغزلان الواردة على العين

واحنا النباليات ما فينا دنس

ونطيح الخيال عن ظهر الفرس

ونطيح الخيال ونركب مطرحة

واللي يعاديننا بالسيف نظرحة

## اللباس الشعبي :

كان اللباس الشعبي بين اهالي بيت نبالا يختلف باختلاف السن والجنس ، ولايختلف بمجمله عن لباس اهالي القرى المجاورة الا بمميزات بسيطة ابدعت فيها ايادي النساء ، وتوطن هذا الابداع حتى اصبح عادة، وقد تأثر هذا اللباس احياناً بالاعتقادات السياسية النابعة من مجاهل وتبعية القيس اليمن .

فقد كانت النساء المتزوجات وكبيرات السن يضعن على رؤوسهن الوقاة، وهي عبارة عن قطعة قماش حمراء سميكة نوعاً ما تسمى (الدندتشي)، حيث تقوم النساء بتطريزها بغرز الحرير المتراسة باللوان التجانيس المختلفة وخاصة الاحمر . وكانت النساء تشتري لهذا الغرض شلل الحرير البلدي الاصلي بالوزن ، كانت الوقاة تحتاج من ربع الى نصف وقية من الحرير، وكان ثمن الوقية الواحدة جنيهاً فلسطينياً، كما كانت اجرة خياطة الوقاة وتطريزها جنيهاً ايضاً. وتصبح قطعة الدندتشي عند الانتهاء من تطريزها سميكة ومقواه ترسل بعدها الى الحاجة فاطمة عبد اللطيف مرفقة بكلفتها من قطع العملة المختلفة لتتقبها على السندان وتقطبها حسب الاصول. وكان يشك على طرفها الامامي المحيط باعلى الوجه مائة قطعة متراسة من رباغ الفضة، وتسمى هذه الصفة او الشبكة، وكان ثمن القطعة الواحدة من هذه الارباغ الفضية عشرة قروش. اما منتصف الوقاة فكان يغطي بعدة صفوف متوازية من قطع العملة المعدنية تسمى النصاص، مفردها نص، وهي ارخص من الارباغ حيث كان ثمن النص الواحد يساوي قرشين ونصف، وتشكل هذه النصاص بمجموعها ما يسمى (الطفطاف). كما كان يقطب على الوقاة خلف الرأس خمس الى عشر قطع كبيرة من العملة الفرنسية تسمى الفرانسيات، وكان ثمن الفرانسية الواحدة نصف جنيه فلسطيني. وكان يلقط بقرنتي الوقاة من الخلف



شريحتين من الصفوف طول الواحدة حوالي متر تسمى اللفايف، التي كانت تلف حول جديلتي شعر المرأة من الخلف، ثم تلفان حول بعضهما عدة لفات فتشكلان فوق الرقبة عنقوراً يشبه ذيل البطة. وكان احد ابناء القرية الذي كان يرعى العجال ينسج هذه اللفايف، كما كان ينسج ايضا البنود (الشطانات) التي تعلق في مقدمة الوقاة على جانبي الصفة مباشرة وتلف مع اللفايف عند لبس الوقاة وذلك لمنعها من الشقبة (الشنكة) نحو الخلف. وكان على جانبي الوقاه علاقتان معدنيتان صغيرتان يعلق فيها طرفا الزناق وهو عقد من الفضة منظوم باثنتي عشرة ليرة ذهبية يلتف تحت الذقن، وينتهي في اسفله بقطعة كبيرة من الذهب تسمى الخمسية او الفطيرة يساوي ثمنها خمسة جنيهات فلسطينية . وبهذا كله كان وزن الوقاة يزيد عن ثلاثة كيلو غرامات .

اما الفتيات الصغيرات، فكن يلبسن على رؤوسهن وقاه خفيفة موشاة بعدد اقل من قطع العملة التي توضع على الوقاه، وتسمى هذه الشطوة. كما كانت النساء والصبايا يتزين ايام الافراح القذلة، وهي قطعة من الذهب تقطب على عرقية صغيرة مطرزة من القماش وتربط حول الرأس بحيث تكون قطعة الذهب على الجبين. كما كانت بعض النساء تعصب رأسها حول الوقاة بالعصبة الغراوية او تتشدد بها على وسط جسمها، وتسمى هذه العصبة (مقرون). وكانت الفتيات الصغيرات يغطين رؤوسهن بالشاش الابيض المحبوك على الداير بالحريز، كما يقمن بتفقيع (بتزيين) قرنه المتدللية حول الجسم بالحريز الملون ايضا. اما الختيارات، فكن يلبسن على رؤوسهن الشنابر السمر المونسة أطرافها بالشراشيب الحنونة.

كانت المرأة النبالية تلبس الثوب الفلاحي الابيض ، ويسمى قماشه قبل  
حياكته بالمقطع، وقد اشتهرت في ذلك الوقت عدة ماركات من هذا القماش ، منها  
مقطع الشام والطرابلسي، والمقطع الانجليزي. وكان الثوب الواحد يحتاج الى اثني  
عشر ذراعاً، وثمان الذراع الواحد قرش فقط، وكان الثوب يخاط اما باليد او الماكنة  
بخمسة قروش، ثم يطرز عليه بعد تفصيله طبب الحرير الاحمر التي يصل عددها  
احياناً الى ثلاثين طبة، وكان ثمن الطبة الواحدة قرشاً واجرة تطريزها قرشاً ايضاً.  
وتتألف الاجزاء المطرزة من هذا الثوب في العادة من القبة والبنايك والسيوف على  
الجانبين والاكمام ، اضافة الى داير اطراف الثوب السفلى . اما الختيارات فكن  
يلبسن الثياب البيضاء السادة الخالية من الحرير التي لا تخلو من اثار الزعوط.  
وكان ثوب الختيارات له اكمام واسعة عريضة تسمى الردانات التي كانت تعقد  
نهايتها الامامية مع بعض ويلقى بها خلف الرقبة لتكشف زنديها الى ما فوق  
المرفقين لتكون مستعدة لخض اللبن في الشكوة، ومد يدها بداخلها لاجراج الزبدة  
دون ان تتسخ اكمامها . وقد تشددت الختيارات في الوسط بالقشامر الحمراء المقلمة  
باللون الاصفر والمساه مزاريب الذهب.

لقد كانت نساء القرية وفتياتها الصغيرات يتسترن بالسراويل حتى القدمين  
بدون استثناء، وكان قماشها في الغالب من قماش التوبيت الاسود والمسمى (قزمير  
توبيت ) ، وكان يتم تطريز ارجله حتى الرقبتيين بطبتيين او ثلاثة من الحرير  
بواسطة اليد او الطارة على الماكنة. وكان قماشه غالي الثمن حيث بلغ ثمن الذراع  
الواحد خمسة قروش، وكانت الاسر الفقيرة تستعوض عنه بسر او ويل قماش الكورت  
رخيصة الثمن.



كانت نساء القرية على الدوام حافيات الاقدام ، الا العروس التي كانت تتعل حذاء زوجها اثناء زفتها على ظهر الفرس. وكانت المرأة اذا ما لبست الحذاء تتعرض للغمز واللمز، وقد سبب هذا الحفاء المستديم تشققاً في كعبي المرأة وجفاف مبرح في اظافرهما. الا ان بعض النساء كن ينتعلن الوطى عندما يسرحن الى السهول ايام الحراث او الحصيذة وقلاعة السمسم وقطاعة الذرة. وكان هذا الوطى يشبه البوط العادي ولونه احمر، ويتم شراؤه من سوق اللد بعشرة قروش.

اما العروس، فكانت تلبس ليلة الدخلة اثواباً عدة غير مطرزة بالحريز، ومنها ثوب الحيارى، وهو ابيض اللون مموس (مموه) بالخطوط العريضة الخضراء والصفراء والحمراء من نفس القماش. او ثوب الخضاري، واسمه يدل على لونه، ولكنه ملون بخطوط وحزوز القماش المختلفة. او ثوب الملكة، وهو احمر اللون مبقج (مرقع) بقطع من القماش المشرشبة الناعمة ذات الالوان الجميلة. كما كانت العروس تلبس ليلة الدخلة نوعاً اخر من الثياب يسمى الهدم، وهو من الحريز الخالص ومقلم بخطوط رفيعة مثل الدمايات، ولكن بالوان صفراء وحمراء، وقد عادل هذا الثوب ما يسمى بالبدلة البيضاء لدى عروس هذه الايام. ولا ننسى بان العروس كانت تزين صدرها ليلة الجلوة بالبراذخ، وهو عبارة عن وشاح على شكل خطين متقاطعين من شريط القماش ومشنشل بقطع الفضة.

لقد كانت العروس تلبس تحت الهدم ليلة الدخلة شلحة من القماش السادة غير محبوك الفتحات سواء عند الرقبة او فتحات الاكمام او الدابر الاسفل، حتى يمكن لخيطان نسيجه ان تتسل من اطرافه بسهولة، وذلك تيمناً لبشارة العروس بان تكون كثيرة النسل بعد زواجها. اما زينة ايدي العروس واصابعها، فكانت تتحصر في الاساور والخواتم الفضية دون الذهب باستثناء الزناق والقذلة.

وقد تدخلت عادات القيس واليمن في لبس العروس حين خروجها من بيت  
ذويها ليلة الدخلة، فكان القيس يجللون عروسهم على ظهر الفرس بالقماش الاحمر،  
اما اليمن فكانوا يجللونها بالقماش الابيض، مما كان يسبب الخلاف احيانا بين  
الحمائل. وعلى سبيل المثال : فقد وقع سوء تفاهم بين حمولة الشراقة وحمولة دار  
صافي عندما تلاقت مواكب عروستيهما البديلات على مزبلة دار الشاعر شمال  
القرية، حيث حاول الشراقة استبدال الجلال الابيض لنعمة عثمان ابو ديه من دار  
صافي بالجلال الاحمر، كما حاول دار صافي استبدال الجلال الاحمر لعائشة فتوح  
من حمولة الشراقة بالجلال الابيض، وقد تعالت صيحات الطرفين في الفضاء  
وحلت الكربة بعد الفرحة وكاد ان يحمي الوطيس لولا عناية الله، واكتفى الطرفان  
بتعطيل العروسين عن الدخلة في تلك الليلة هادمين بذلك لذة ساعات من العمر، الا  
ان وجوه الخير من اهل البلد تدخلت بينهما في اليوم الثاني، واحلوا الوئام بينهما  
بدل الخصام، ودخلت العروسان بسلام، وطمس التواصل على مباديء القيس  
واليمن.

اما لباس الذكور، فكان يختلف حسب الاعمار، فالاولاد يلبسون الثوب  
الطويل المسمى (الشقة)، ويضعون على رؤوسهم طواقي الصوف او وبر الجمال  
او الطواقي البيضاء الموشاه بالحرير الناعم التي كان يأتي بها الحجاج من الحجاز.  
وكان الشباب والكهول يلبسون الدمايات البيضاء المقلمة بالالون السوداء او الزرقاء،  
الا ان الوجهاء والميسورين والمتشبيين، كانوا يلبسون اطقم الجوخ والصوف  
ودمايات وحطات الروزة والعقلة الفاخرة والساقو الطويل التي كانوا يفصلونها في  
اللاد عند اولاد عبده، كما كانوا يتشددون بشمالات الطرايش الحريرية المقلمة،  
وكان بعضهم يلبس الطرايش الحمراء القصيرة الملفوفة بقماش الغبانية والمسماة



بمجملا الكفية (التشفية). كما لبسوا في ارجلهم الاحذية الانيقة ذات اللون البرتقالي او الاسود التي كانوا يفصلونها عند برو في اللد ايضاً، والتي كانوا يطلقون عليها احياناً اسم المشاية، ونذكر من هؤلاء الرجال على سبيل المثال لا الحصر: مصطفى حسن الحاج حسين صالح، وعلي رباح، واحمد البرقة، والحاج محمود سليمان قطيفان، وسليمان امنة، وحسين خليل عيده، وعطا موسى سليمان، والحاج محمود حسين صالح، ومصطفى طه خالد، ومطيع عبد القادر وغيرهم. كما كان المتقدمون في السن يلبسون الثوب الابيض او الداكن لسهولة استعماله عند الوضوء او قضاء الحاجة.

اما ملابس العمل وخاصة اعمال الفلاحة، فكانت بسيطة لا تتعدى الدماية المقلمة والثوب القصير على اللحم والسروال الابيض والحطة او الكفية الملفوفة بقطعة قماش بيضاء مغبرة. ولهذه الكفيات الكثير من الطرائف المتداولة في مجالس ابناء القرية في غربتهم، فمنها ما عششت فيها الفئران بعد ان هجرها صاحبها في البيت لمدة من الزمن. ومنها ما لسعت صاحبها بالنار اثناء الحراثة، لان بعض الحراثين كان يضع فيها عشبة القديح الجافة والزنادة الفولاذية، التي يقدحون بها على حجر الصوان لاطلاق الشرارة في العشبة لاشعال السجارة. ولما كان هؤلاء البعض يطفئ العشبة بين اصابعه ويحفظها في الكفية من اجل استعمالها مرة اخرى دون التأكد من اطفائها كلية، كانت تتأجج في كفيته وهي على رأسه دون علمه، وينبعث منها دخان كثيف يشبه دخان الجرار الزراعي. كما كان بعضهم ينسى عشبة القديح مشتعلة في جيوب ملابسهم التي كان يخلعها عند بداية العمل ويتركها على رأس المارس، وعندما يعود اليها بعد ساعة لاشعال سيجارة اخرى يجدها وقد استحال الى كومة من الرماد، وبعدها يحتار في كيفية العودة الى القرية بملابسه الداخلية بعد العصر، لكن بصيرته ترشده في النهاية الى الانتظار وتأجيل العودة

الى ما بعد الغروب تجنباً لتساؤل العيون. وكان ابناء القرية يلبسون في اقدامهم  
اثناء العمل الوطى الاحمر او شواربيخ الكاوتشوك التي كان يصنعها احد ابناء قرية  
الحديثة المجاورة.



## قضاء وقت الفراغ :

كان كبار السن من اهل القرية يقضون اوقات فراغهم في الدواوين التي بلغ عددها قبل الرحيل ١٣ ديواناً، وكانوا يطلقون على الديوان اسم (بيت الزلام)، واذ ما عدنا قليلاً الى الوراء، فاننا نجد ان مضافة البلد قد قامت في السابق بجهود الجميع، وكانت تضم بين جدرانها في الاصباح والاصايل والاماسي معظم رجال القرية من جميع الحمائل. ولكن عندما عمقت حكومة الانتداب البريطاني الخطوط بين الحمائل في فلسطين بشكل عام، وفي بيت نبالا بشكل خاص، فقد اصبح لكل حمولة ديوانها الخاص بها، بل واكثر من هذا، فقد قامت بعض الافخاذ بالتفوق حول نفسها وذلك بانشاء دواوين خاصة بها، خصوصاً في فترة تفسخ الحمائل وتحالف بعض افخاذها مع افخاذ الحمائل الاخرى. وكان مريدو هذه الدواوين يتحلقون حول النراجيل يتسلون مع الضيوف من غير القرية، او يتداولون الاحاديث في الامور العامة والقبل والقال. كما كان بعضهم يقضي وقت فراغه في النهار جالسا على مقاعد حجرية في ظل جدران البيوت او امام دكاكين الحلاقين والبقالات واللحامين او مقهى عيسى احمد الحاج على المطامير لسماع محطة الشرق الادنى، او يونس البحري من اذاعة برلين. كما كانوا يلعبون السيجة تحت اشجار الزيتون في اطراف البلد، كما ارتاد المتصوفون زاوية الحاج كايد حسين لاحياء الذكر في بعض الاماسي.

اما الصبية، فكانوا يلعبون الكورة على النوادة، وهي عبارة عن علبة صغيرة فارغة تضرب بالعصا، وتشبه الى حد بعيد لعبة هوكي الاعشاب. ومن العاب الاولاد السبع حجار، والمقرعة بالكبريت وهي تشبه حاكم جلاد، ولعبة اولك يا ابو اسكندراني يا ابو عيون الغزلاني، وهي بمثابة القفز من فوق ظهر احد

الاولاد وهو واقف محني الظهر ولعبة الظلمه والمعروفة باسم الغماية، كما كان بعضهم يمارس صيد العصافير بالفخ اثناء النهار، وقد بحثوا عن الدود اللازم للفخ داخل عيدان الذرة ووضعها في علب الزعوط المملوءة بالطحين.

اما البنات، فكن يلعبن البزم المعروف باسم الاكس، والشبر والشبارة والجمال والجمال، والتحلق حول الجدات لسماع الخرايف عن الشاطر حسن والغولة واحديدون، ويمارسن لعبة طار الفراش او حدارجي بدارجي من كل عين دارجة. ولعبة الكال، وهي عبارة عن خمس حصوات صغيرة مكعبة الشكل.

اما النساء والصبايا، فكن يقضين اوقات فراغهن النادرة بنسج اطباق القش والمطاحن والسلال وتطريز الثياب بالحريز، ونسج طواقي الصوف ووبر الجمال، والجلوس في الطوابين على شكل مجموعات في ايام الشتاء يتبادلن الاحاديث والنوادر المضحكة.



## المناسبات الدينية:

كانت الحجة عند نساء ورجال بيت نبالا منذ القدم امنية ما بعدها امنية، خاصة كبار السن منهم، فكانت رحلة الحج على ظهور الجمال حتى عهد قريب رحلة شاقة قاسية محفوفة بالمصاعب والمخاطر، وكثيراً ما كان يتعرض الحجاج لمخاطر النهب والقتل والموت جوعاً او عطشاً في تلك الرحلة الطويلة عبر الصحراء الى مكة والمدينة المنورة. وكان الراغبون في اداء فريضة الحج يتهيأون لرحلتهم في وقت مبكر، ويسافرون قبل الموعد المقرر للحج بشهر عديدة وذلك بسبب ضعف وسائل المواصلات وصعوبة الطريق ووحشتها، ومن ناحية اخرى، فان طبيعة الرحلة الى بيت الله الحرام حافلة بالرغبة الملحة والشوق الملتهب لزيارة البيت ومثوى الرسول الكريم محمد صلى الله عليه وسلم.

ومع دخول القطارات الى البلاد العربية، اصبح حجاج بيت نبالا يذهبون الى الرملة ليركبوا من هناك الى بورسعيد في مصر، ومنها يركبون البحر الاحمر الى جدة، ثم على ظهور الجمال الى مكة المكرمة. كانت المدة التي يقضيها الشخص في اداء فريضة الحج تستغرق من ثلاثة الى اربعة اشهر. وكانت مراسم الحج تبدأ في القرية باعلان الشخص بطريقته الخاصة عن نيته في اداء هذه الفريضة المقدسة التي لا ينالها من الناس الا كل مسعد، والتي ستضفي على صاحبها لقباً دينياً واجتماعياً مهيباً بعد عودته سالماً غانماً. فيبدأ الوداع قبل ان يشد الرحال باسبوعين تقريباً. وكان المدعوون يفدون الى بيت صاحب النية ليتحدثوا عن الموقف الجليل خاصة الوقوف امام قبر النبي محمد صلى الله عليه وسلم، وكان يتم شحنه بالمذخور الروحي خاصة من اولئك الذين سبقوه الى الحج من اهل

القرية، حيث يرشدونه الى ما يجب عمله في تلك الرحلة، ويعرضون عليه النقود  
او المساعدات المالية.

وكان لابد لكل تلك الاحاسيس الانسانية ازاء الرحلة المقدسة الطويلة ان  
تبرز في اغاني اهل القرية بهذه المناسبة التي تعبر عن شوق العاجزين عن الذهاب  
الى مكة، وتمنياتهم للذين واتاهم الحظ بزيارة الكعبة بالخير والسلامة.

وعند اقتراب موعد شد الرحال، ترتفع اصوات النساء في ليالي التحانين  
التي تقام فيها السهرات الاحتفالية، وتغني اغاني الوداع للحجاج، وتمتاز هذه  
الاغاني بطابع الشوق الذي يشيع في ثنياه، والذي يعبر عنه بالصوت الممطوط  
الحنون مثل :

لاني حديد ولا بولاد بتفلكم  
بصوم لله ويكفاني النظر منكم

يا زايرين النبي خذوني بمحاملكم  
واذا كان زادي وزوادي يتفلكم

كان حجاج بيت نبلا يغيبون عن قريتهم ثلاثة اشهر على الاقل ذهاباً واياباً،  
ينتظرهم خلالها الاقارب والاصدقاء على احر من الجمر، وفي حالة عودتهم عن  
طريق يافا /الرملة، كان الاشخاص المقربون من الحاج يقومون بالتوجه الى ميناء  
يافا او غزة، ويمكنون هناك منتظرين الحاج المحمل بالهدايا التي احضرها معه  
لاهله واحفاده، وليرد المعروف خاصة لأولئك الذين نقطوه، وعندما يصل القرية  
تبدأ النساء بالزغaid، فيشيع الخبر بين الناس، ويبدأ المهنتون يهلون عليه مسلمين  
معانقين، وتتهال عليه عشرات الاسئلة والاستفسارات، ويبدأ بالحديث عن رحلته  
مراراً كلما وصل الى بيته مهنيء جديد، وخاصة الحجات من النساء اللواتي يلهبن



شوق النسوة المهنئات بالحديث عن الركوب في الهودج على ظهر الجمل بين مكة والمدينة ، وما يتخلل ذلك من الاغاني الدينية الحنونة المشوبة باللهفة الى قبر الرسول الكريم.

كان الحاج يحضر معه عادة البساط الحجازي لفرشه تحت المهنتين بدلاً من الحصيرة البالية، وزنبيل التمر لاطعامهم، وماء زمزم والمسابح والمصليات والمكاحل وطاسة الرجفة. اما الاطفال، فكان يحضر لهم في خرجه العقود والحقق والمناديل والاساور للبنات، اما للاولاد، فكان نصيبهم الحطات الموشاه بالالوان والزخارف والعقلة المربعة المقصبة والعباءات الصغيرة ذات الالوان الزاهية، والطواقي البيضاء الموشاه بعروق مطرزة على الماكنة. وكان هؤلاء الاطفال يدورون في الحارات متفاخرين امام اقرانهم من اطفال القرية لاطهار تميزهم عليهم بما احضره جدهم او والدهم.

وجدير بالذكر، انه مع قدوم الحاج من الديار الحجازية المقدسة، كانت تذبح له الذبائح تكريماً لمكانته عند الله، وكان الحاضرون يتناولون الطعام بمعيته، كما كانت بعض العائلات تكرمه بدعوته الى العشاء او الغداء في بيوتهم.

وكان الحج يضفي على الشخص وزناً اجتماعياً، فيلقب اولاً "بالحاج" حيث يحاول الحاج الترفع عن سفاسف الامور ويطلق اللحية احياناً ويزيد من تعبده، ويكثر من الدعاء والاستغفار، ويأخذ مكانه الاجتماعي في الدنيا كعاقل من عقلاء البلدة ويكسب رضا الله في الاخرة.

اما بالنسبة لرمضان، فيبدأ في استقبال هذا الشهر الفضيل بتحضير المواد الترموينية اللازمة للصيام، كالسمنة البلدية، والارز والسكر والشاي والقهوة،

والفاصوليا الناشفة وقمر الدين وقصات الحلاوة، ومرتبانات العسل التي يتم شراء معظمها من اللد قبل بدء الشهر بأسبوع. قبل رمضان بيوم وبعد صلاة المغرب يصعد المؤذن ويكبر، ليعلن عن قدوم رمضان. وكان يقوم بمهمة التسحير على الطبل مقابل فطرة رمضان، وما تجود به النفس، الشيخ مسعود حمد (العسس) وذلك بالسعي في شوارع القرية وازقتها وهو يلبس الدماية، ويلف رأسه بالشاش، وكان ضريراً، إلا انه يعرف طريقه بضوء الذاكرة الخفي، يتبعه أحياناً الأولاد الصغار وهم مبتهجون وكان المسحراتي وزوجته الضريرة القادمة من قرية دير طريف، يسكنان في الجزء الجنوبي من البلد بين بيوت المصاروة.

يعتبر انتهاك حرمة شهر رمضان في عرف أهل القرية نقيصة أخلاقية، حتى ولو جاء في موسم الحصاد خلال الشهور الفائتة، وكان مقام السلطان عبد القادر وزاوية الحاج كايد حسين والجامع العمري تشهد نشاطاً كبيراً في ليالي الشهر الفضيل لإقامة صلاة التراويح وقراءة القرآن، والتسبيح والاستغفار حتى السحور. وتصل العبادة ذروتها قبيل حلول العيد. وفي صبيحة يوم العيد يجتمع المصلون في مقام السلطان عبد القادر لإداء الصلاة، ثم يخرجون جميعاً إلى مقبرة القرية ويرددون على ساكنيها ادعيات الترحم والمغفرة خلف الشيخ يوسف أمين، حيث تجلس النساء خلف قبور الأعمام، ويرتل عند شواهدهم القرآن الشيخ خالد أمين الضرير لقاء ما تجود به النفس من قروش أو مطبق وزلاية ومخمرة وكبب، يعود الرجال بعدها إلى بيوتهم، ويمرون في الطرقات بالأطفال بملابسهم الجديدة، ويمدون عليهم العيدية التي تتراوح بين التعريفة والقرش، بعد ذلك يهرعون لزيارة الأرحام وهم يحملون أكياس النقل (المخلوطة) في أيديهم.



اما في عيد الاضحى، فيحملون لارحامهم فخذة او يد خروف من الضحية التي لا تخلو منها دار، كما يمد على رحمه العيدية التي تتراوح بين الشلن والعشرة قروش، ونادراً نصف جنيه، بعد ان تقوم وليته بتقويل يده وتقول له : من العائدين.

بعد ذلك، يقوم الرجال بزيارة بيوت العزاء للفاقدين، المسماة (البرزة) وهي التي تشمل الاموات الذين توفاهم الله خلال العام المنصرم بعد العيد الاخير. لقد سادت في قرية بيت نبالا ايضا عادة تسمى (عويشيرة)، وهي ليلة العاشر من شوال، وهي اعتقاد بأن ملاكاً في هذه الليلة، يسعسح ويفتش القدور حول افضل اكلة وطبخة، فكان الناس يتسابقون في طبخ الافضل والاحسن. وعلى هذا الاساس، كان من الواجب على كل بيت ان يطبخ اللحم في تلك الليلة لتأكل منها الملائكة وتسعد بها.

## زيارة المقامات:

اعتاد اهالي فلسطين بمن فيهم اهالي بيت نبالا زيارة المقامات المشهورة في البلاد، مثل مقام النبي صالح في اللد، والنبي رويين جنوب يافا، والنبي موسى قرب اريحا، وغيرها من المقامات العديدة.

وهناك تفسير تاريخي يوضح اعتبارات الحس الجماعي بالرغبة في تجديد الحياة ودعمها من خلال هذه الاحتفالات، ونلمح هذا الجانب من خلال استقراء الاحتفالات الجماهيرية التقليدية بالمزارات وعند اضرحة الاولياء التي كانت تقام لها مواسم دينية شعبية حاشدة. ونذكر انه عندما احيا صلاح الدين الايوبي الاحتفالات بهذه المواسم، فانه كان يقصد من وراء ذلك الى تجميع الناس في المناطق الجبلية والساحل لتحقيق وجود تحشيدات عربية اسلامية في ذلك الوقت من العام الذي كان يتدفق فيه على فلسطين الاوروبيون لاغراض الحج وما شابه ذلك. وكان هدفه من وراء تلك الاحتفالات حول اضرحة الاولياء والانبياء، حشد تلك الطاقة البشرية كأمر احترازي خشية ممن يبيت نوايا عدوانية. وقد رأينا كيف ان هذه الاغراض كانت تتجدد بصورة واضحة مع قدوم الغزو الصهيوني، وانتقلت الاحتفالات بمواسم دينية تحت مضامين معاصرة، حيث ان الاحتفالات نفسها ومعناها الحرفي ترمز الى رغبة الانسان في تأكيد القيم الايجابية، واعلان فرحه بتلك القيم، وعلى العكس، فهي ايضاً احتجاج واطهار للحزن في حالة المناسبات التي يخسر فيها الانسان جولة مع الحياة، كتهديد الاوكار بالغزو.

وقد اعتاد اهالي بيت نبالا على زيارة مقام النبي صالح في الرملة في يوم الجمعة الاخير من شهر نيسان من كل عام، وقبل ذلك باسبوع كانوا يزورون مقام



النبي كفل الذي يقع بين طيرة دندن ودير طريف، ويشاركون هناك اهالي المنطقة في حلقات الدبكة على انغام الاراغيل والشبابات، ويشترون بعض حاجات الزينة ولهو الاطفال البسيطة. كما كان بعضهم يزور مقامي النبي روبين والنبي موسى. ولكن الزيارة الكبرى لاهل القرية، كانت لمقام النبي صالح، لما تحظى به هذه الزيارة من حب كبير في نفوس الاطفال. وبالرغم من ان موعد هذه الزيارة، في اواخر شهر نيسان، كان يتزامن مع موسم حصاد القمح والشعير، الا ان ثلاثة ارباع القرية كانوا يفضلون الزيارة على الحصاد، وكانوا يشدون الرحال قبل بزوع شمس الجمعة، اما مشياً على الاقدام، او ركوباً على الحمير والجمال، او في عربات الخشب التي تجرها الخيول. وعند وصولهم هناك يربطون دوابهم في الكروم المجاورة. وتقول امينة احمد العيشاوي: "بأنه وين ما ضربت عينك في الكروم، بتقول ان عدد الدواب المربوطة في عروق الشجر اكثر من النبي آدمين."

وعند المقام يلتقي اهل بيت نبالا مع اهل القرى والمدن المجاورة، حيث تعقد حلقات التعارف والاكل الجماعي والغناء والمديح والدبكات الشعبية التي تغمر النفوس بالبهجة. وفي غمرة تلك الجماهرة العظيمة، يقوم الناس وخاصة الاطفال بشراء الطبلات والزامير وقلائد الخرز والخواتم والاساور والنقل والحلاوة المنفوشة وحلاوة القدوم والسماك المقلي والكباب وشراب الخروب والسوس والطابات والفرافير الورقية والخشبية.

وقبيل العصر تهل طلائع الفرق الدينية قادمة من المدن الرئيسية في المنطقة كالرملة واللد تتقدمها البيارق وقرع الطبول والضرب على المصنجات، المسماة في الاوساط الشعبية (العدة والاعلام). وعند وصولها تشرئب الاعناق وتتدحرج الدموع وتتلاطم القلوب في الصدور، وتعلو النفوس وتهبط في سعير من العواطف

الجياشة الممزوجة بالبهجة والايمان. ويتفرج الناس على ابداعات بعض الشيوخ  
الخارقة وهم يضربون اجسادهم بالشيش والسيوف. وقد كانت فرقة الشيخ امين  
وهو من بيت نبالا تشارك احيانا في هذه المواسم والمهرجات.

وعند المساء، وقبل ان تؤذن الشمس بالمغيب، تتفرق الجموع، ويعود كل  
الى قريته بعد ان شحن نفسه بالثقة والتجديد، وينام الاطفال وهم يحلمون وارواحهم  
تطوف في هالة العمر.



## المرأة :

كانت مكانة المرأة في بيت نبالا متدنية جداً اذا ما قيست بمكانة الرجل، وذلك لان مهمتها الاساسية محصورة في متعة الرجل والانجاب، والقيام بالاعمال الشاقة، عدا عن ضرب حياتها بتعدد الزوجات.

كان غالبية اهل القرية يزوجون بناتهم للشباب او الكهول في سن مبكرة قد تصل في بعض الاحيان ١٢ سنة، دون اخذ رأيها. وكان يحكم واقع هذا الزواج، اما صداقة العائلات، او الوضع الاقتصادي، او رغبة الاب في مبادلة ابنته بعروس كان مخططاً ان يتزوجها او يزوجها لابنه. ومن المألوف جداً ان يتحدث رجال القرية من كبار السن، ان امهاتهم قد تزوجن من ابائهم في الماضي دون ان تأتيها العادة الشهرية بسنة او سنتين، او حتى قبل ان تعرف معنى الزيجة. وكانت عادة الحب بين الشاب والفتاة قبل الزواج غير معروفة، لانها كانت تعني الطامة الكبرى على رأس الفتاة، والتي قد تؤدي بحياتها احياناً. ولكن هذا لم يكن يمنع الشاب من رؤيتها يومياً وهي تحمل عسلية الماء فوق رأسها على طريق بير البلد، او وهي تعمل مع اهلها في الحقول، او وهي تجمع روث البقر خلف العجال لتعمل امها منه اقراص الجلة. وكان الشاب اذا ما سمع من اهله بأنهم يريدون ان يخطبوا له بنت فلان من الناس، فانه كان ينهال ضرباً على دابته على مرأى من تلك الفتاة اذا ما رآها تحصد مع اهلها ليلفت انتباهها في الطريق ليريهما قوته وجبروته، او يقوم بالدق على الشبابة او الارغول اثناء الرعي، او بالغناء ورقص الدبكة، خصوصاً اذا ما كان يزين فمه سن الذهب. كما كان يتشيب بالحطة والعقال لتراه في الطريق، او يقوم بعرض خدماته على اهلها في اوقاتهم العصبية.

لقد كان الزواج في الماضي قبل ان يتحسن الوضع الاقتصادي للفلاح النبالي يتم في الغالب بطريق البدل، فاما ان يبادل الاخ باخته، او الاب بابنته ليحضر ضرة الى امها. ولكن عندما كثرت العملة في ايدي اهل القرية نتيجة للعمل في الكمب، او مردود الكسارات، اصبح الزواج يتم في الغالب عن طريق دفع المهر، الذي كانت تتراوح قيمته قبل الرحيل من ٧٠ - ٨٠ جنيهاً فلسطينياً، التي كان يقبضها والدها مهراً لابنته بعد ان يقطع من هذا المبلغ ثمن صندوقها وفرشتها ولحافها ومخدتها وملابس عرسها.

لقد فرضت الظروف احياناً على بعض الرجال ان يجمعوا في بيوتهم اكثر من زوجة، وذلك من اجل العمل في الزراعة، او حياً في مبادلة العرائس، او زواج الاخ من ارملة اخيه الذي قضى نحبه في حروب الاتراك المتعددة. وقد تأصل حب تعدد الزوجات بين رجال القرية حتى اصبح عادة راسخة، وبالرغم من زيادة عدد الاناث الطبيعي على عدد الذكور الا انه لم تبق انثى واحدة في القرية دون زواج، بل وكانت تحدث زيجات من نساء من القرى المجاورة خاصة في سنوات القحط حيث تم دفع مهور بعضهن مسحة قمح او ذرة فقط، والمسحة هي خمسة ارطال او ١٥ كغم.

اما عادة الطلاق، فكانت شبه معدومة بل ومحرمة عند اهل القرية، وبالرغم من الخلافات الزوجية التي تقع، والتي كانت تحسم في الغالب بخضوع المرأة لزوجها او لاسرته. وتقول غالبية النساء الكبيرات في السن، بانهن كن محكومات للزوج والحمى والحماة، وقد كان مباحاً لاحد افراد العائلة من الرجال ان يقوم بتأنيب وتأديب نساء الاسرة، كما كان بعض الأزواج يتفرجون على عراك نسائهم في باحة الحوش او الحارة كما يتفرج انسان هذا العصر على مبارزة الديكة،



وكان الرجل اذا ما تدخل لفض النزاع بين زوجاته، فانه يضرب الظالمة والمظلومة على حد سواء. ولا يزال كبار السن يتفاخرون حتى ايامنا هذه بأن الواحد منهم كان يفرض سلطته وهيئته على نساء الحمولة، ويأسف البعض منهم على هذا العصر الذي لم يعد له سلطان على بنات اقاربه، او حتى على بناته خصوصاً بعد زواجهن.

لم يكن للمرأة في بيت نبالا نصيباً من الارث الذي انزله الله في الشرع الاسلامي، وقد توطنت هذه العادة في القرية حتى اصبحت في مرتبة العيب في اوساط النساء انفسهن، اذا ما طالبت احداهن بنصيبها من ارث ابيها بعد زواجها، لانها قد توصف بأنها باعت اهلها واطعمتهم الى اهل زوجها، خاصة وان المرأة النبالية كانت معروفة بشدة تعلقها بأهلها بعد زواجها، في اسرة اخرى. وكانت المسبة التي تصيب اخاها الميت او ابها او امها تؤلمها كثيراً، وتستميت في مواجهة من قذفها بتلك المسبة، مثل (يحرق اللي مات وخصك) او (حم مات وخصك). وكان ينظر للمرأة من الناحية الاجتماعية عند الزواج، بانها انتقلت من كومة في اسرتها الى كومة اخرى في اسرة زوجها، حيث تمارس جميع الاعمال الشاقة المنوطة بنساء القرية خاصة الاعمال الزراعية. ولا تعرف زوجها الا عند المنام فقط.

اما في مجال العمل، فكانت الفتاة النبالية تفتح عينيها على شقاء والدتها في العمل المنزلي والاعمال الشاقة الاخرى، فترث هذا الشقاء عنها سواء في بيت والدها او في بيت زوجها، فكانت في ايام الصيف تحمل سرير وليدها على رأسها في الاسبوع الاول لوضعها، وتقطع به مسافات طويلة مشياً حافية القدمين عبر السهول، فوق صماطات رمال الطرقات الملتهبة بفعل حرارة الشمس، لتلحق

بالحصادين من افراد الاسرة، تحمل بين يديها الماء والطعام لهم بعد ان تكون قد اتمت عملها المنزلي في الصباح من عجين وخبيز وتزبيل الطابون، وتتنظيف قاع البيت من روث البقر وجمعه في السل وحمله على رأسها لتلقي بمحتوياته على مزبلة العائلة في اطراف القرية، واحضار الماء من بئر البلد او من بيارات اهالي قرية دير طريف اذا شحت مياه هذا البئر. كما كانت تقوم بعمل اقراص الجلّة وصناعة الطوايين وكوانين النار والموقد والخوابي ومقاعد الاباريق ومداود البقر من طين الحور المجبول بالقصول، وجمع الحطب والنتش وطراشة البيت واعادة ترميمه وغربله القمح والعدس وجرش بعض الحبوب على الطاحونة (الرحى)، والعناية بالمقايي، واطعام المواشي، وجني الثمار وخاصة التين والصبر، ونظافة الاولاد وغسيل الملابس من مياه ابار الجمع القديمة الموجودة في الحقول، حيث كانت تأخذ اولادها وملابسهم المتسخة وتسير بهم نحو الابار الى مسافات بعيدة، وتنشل الماء من البئر، ثم تجمع الحطب وتسخن الماء وتحمم اطفالها وتغسل ملابسهم بالصابون الذي كان معروفاً لاهل القرية منذ القدم بسبب توفر الزيت الذي يدخل في صناعته، كما كانت تشارك في جمع الزيتون في موسم الجداد لفترة طويلة، وتعتني باطفالها، وتأخذ المريض منهم الى اللد او الرملة لمعالجته عند الاطباء مشياً على الاقدام او على ظهر دابة.

وكانت المرأة في فصل الربيع تقوم بجمع البقول البرية الصالحة للطبخ من النوادر والحقول المحيطة بالقرية مثل الخبيزة والبقيليه ورجل العصفورة والهندبة والعكوب ولسان الثور واللوف والزعمطون. كما كانت تسرح قبل بزوغ الفجر الى اراضي قبيه ورننيس وبدرس لاحضار الحشيش داخل اكياس كبيرة لاطعام البقر، لان عمر الحشيش في تلال هذه القرى اطول عمراً من سهول بيت نبالا بسبب ارتفاعها اكثر عن سطح البحر. وقد كان نواطير هذه القرى يمنعون النساء في



كثير من الاحيان من الحش من اراضيهم، ولكن النساء النباليات كن يقدمن لهم الرشوات المتواضعة مثل الدخان، وقد كان بعضهم يحجز اساور المرأة الفضية كرهن حتى تأتية في اليوم الثاني بقليل من الدخان الذي اشتهرت القرية بزراعتة في حواكيرها.

لقد كانت المرأة النبالية تخص نفسها بوقت قصير من يومها لتخلع وقاتها الثقيلة عن رأسها في قاع الدار لتمشط شعرها الذي تهدل على وجهها من كثرة الاحمال عليه، لتعيد لف جدائلها وترتيبها من جديد، ثم لا يفوتها بعد ذلك ان تقوم بتكحيل عينيها. وكانت عيون النساء والعجائز لا تخلو من الكحل اثناء النهار، وقد تندر بعض رجال القرى المجاورة بعجائز بيت نبالا اللواتي كن يتمددن في الازقة الضيقة في ظل الجدران اثناء فصل الصيف، ويرحن في غفوات تعقب شم الزعوط، واذا ما قال عابر سبيل : دستورك يا خالة، خليني امر. تجيبه : افشق عني يا بني، فانت مثل اولادي.

اما عند الولادة، فكانت المرأة النبالية لا تعرف المستشفيات اطلاقاً، بل كانت تقوم بقبالتها الداية، واذا ماتت المرأة نتيجة خلل في عملية الولادة، يقولون : انها ماتت على الجورة. وكان لا ينظر الى المرأة على ان عليها ان تستريح قبل المولد بشهر او اسابيع، بل عليها العمل حتى يفاجئها الم المخاض وارهاصات الولادة، وكان على المرأة بعد ذلك ان تتدبر امرها مع المولود وحدها، وليس للرجل شأن في ذلك سوى الفرحة خاصة اذا كان المولود ذكراً. وكانت الام وبعد ايام قليلة من ولادتها تحمل مولودها الى الحقول لتأخذ مكانها في الاعمال الشاقة مع بقية افراد الاسرة، وتعود له بعد كل حين لترضعه من حليبها الملتهب وضرعها المعروق، فيصيبه الاسهال الذي كان يودي بحياته في كثير من الاحيان.

كان هذا هو وضع المرأة في بيت نبالا، عمل وعمل دون توقف على مدار اليوم كله، بل وعلى مدار العام كله، ذلك الروتين القاتل، والمجهود الجبار بالصيف والشتاء، فانك تجد العطاء والعمل بصمت، وانجاز المهمات، وكل ذلك يتم بدقة متناهية. وابناء القرية اليوم يعضون على اناملهم على تلك الايام وخبز الطابون والمنسف والمسخن واللحم المشوي في ساس الطابون والمطبق والزلابية والهيطلية والبحتية، التي استبدلت هذه الايام بالبيتزا والكيك التي يتناولها اطفال القرية في متاهات الضياع والغربة تحت حراب القلق على ارض الشتات.



## الفصل الخامس

### الرحيل

مكتبة جامعة بيرزيت

## الفصل الخامس

### الرحيل

احتلال بيت نبالا :

x على اثر القتال الذي نشب بين العرب واليهود في فلسطين، فقد عقدت اول هدنة بين الطرفين، تبدأ في الساعة الثامنة (بالتوقيت المحلي) من صباح يوم الجمعة الموافق ١١/٦/١٩٤٨، ولمدة اربعة اسابيع. وقد كانت النية تقوم عند الدول العربية على عدم تجديدها عند انقضاء المدة، وهو موقف كان يعني العودة الى القتال، وعاد الطرفان مرة اخرى يحتكمان الى السلاح، مع فارق مهم جداً، وهو اتخاذ العرب خطة الدفاع، واتخاذ اليهود خطة الهجوم، وقد كانت تقع اختراقات لهذه الهدنة بين الطرفين هنا وهناك، ومن ضمنها الطائرة اليهودية التي القت قنابلها على قرنة الارانب شمال القرية، على مرأى من سكانها صباح يوم السبت الموافق ٣/٧/١٩٤٨، أي قبل انتهاء مدة الهدنة بستة ايام، والتي من المفروض ان تنتهي في الساعة الثامنة من صباح يوم الجمعة ٩/٧/١٩٤٨. وكان اهل القرية خلال ايام الهدنة يعيشون في حالة من اليقظة القصوى والترقب القاتل، وهم يجترون مع المهاجرين اليها من القرى المحتلة قصص الفظائع التي ارتكبتها اليهود بحقهم.

لقد كانت بيت نبالا واللد والرملة اثناء فترة الهدنة الاولى تقع ضمن ثغرة مفتوحة عسكرياً امام اليهود، تمتد على مسافة ١٥ ميلاً بين ميمنة الجيش الاردني في اللطرون، وميسرة الجيش العراقي في مجدل يابا وكفر قاسم، ولم يكن يدافع



عن تلك الثغرة سوى المناضلين العرب والمسلحين من اهل البلاد. وكانت القيادة الاردنية تملك بعض الدلائل، على ان اليهود سيهاجمون تلك الثغرة عند انتهاء الهدنة، ويظهر ان الوقوف في وجه العدو اذا هاجمها كانت تراود اذهان المسؤولين في تلك القيادة. ففي اثناء الهدنة، استدعى قائد الفرقة التابعة لها الكتيبة الاولى المرابطة في اللطرون، كلاً من وكيل القوة، علي الحيارى والملازم الاول صالح الشرع، وكلفهما باعداد الترتيبات لتأليف الكتيبة الخامسة لكي تحل محل الكتيبة الاولى التي وقع عليها الاختيار لان تكون احتياطاً وسريعة الحركة لسد الثغرات. وكان مما قاله لهما اذا ما استؤنف القتال، فان الكتيبة الاولى ستقوم باحتلال مستعمرتي ريشون ورحبوت من اجل حماية اللد والرملة، لان المصريين لم يتقدموا شمالاً بما فيه الكفاية (١)، وقد كان المصريون اثناء ذلك في عرطوف. وعندما بدأ القتال، كانت الكتيبة الاولى تشكل الاحتياط الوحيد للجيش الاردني باجمعه، وقررت القيادة نشر تلك الكتيبة في سلسلة التلال الوعرة الى الشرق من اللد والرملة، وصدر الامر لها قبل استئناف القتال ان تتحرك الى اراضي قرية دورة القرع على طريق رام الله - نابلس، للوقوف هناك استعداداً للطوارئ، ولكنها بعد ان بقيت هناك ثلاثة ايام، تلقت امراً اخر بالتحرك الى موقع الجفتك في الجانب الغربي من وادي الاردن لسد المنافذ امام قوة يهودية تنوي التقدم من بيسان باتجاه الجنوب، ولقد دار جدل حول تلك الحركة: هل كانت تقوم على اسباب حقيقية، ام على ذرائع زائفة، وهل كان لها ما يبررها؟؟ (٢). لقد اثارت حركة الكتيبة الاولى الى الجفتك في تلك الفترة الحرجة استغراباً شديداً، بل تحول الاستغراب عند البعض الى حملة اتهامات، بعد ان تبين عدم صحة المعلومات التي تحركت الكتيبة بسببها (٣). وهنا لا بد من القول ان قيادة الكتيبة كانت منذ ٣٠ ايار بيد وكيل القائد روبرت ملفل ومساعدته وكيل القائد كارتر. وعندما انتهت الهدنة، استؤنف القتال صباح يوم ٩ تموز، وكانت اول بادرة من بوادر تحركات العدو،

ان كتيبتين مدرعتين من قواته قامتتا بالهجوم على بيت نبالا ودير طريف والكمب، مما اضطر المدافعين عنهما الى الانسحاب، وعندها بادرت قيادة الفرقة الى اصدار الاوامر الى الكتيبة الاولى للعمل على مواجهة تقدم العدو، وسرعان ما تحركت القوة التالية نحو القرينتين بقيادة مساعدي الكتيبة.

- سرية المدرعات بقيادة الملازم حمد عبدالله ابو دخينة.
- سرية المشاة الثالثة بقيادة الملازم عبد الله فلاح
- بطارية مدافع الهاون الثقيلة بقيادة الرئيس احمد ارسلان. x

فوصلت بيت نبالا في الساعة الثالثة بعد ظهر يوم الجمعة الموافق ١٩٤٨/٧/٩. والواقع انه لم تتحرك الى بيت نبالا سوى سرية المدرعات وسرية المشاة فقط، وفي اثناء الليل، اخذت هذه القوة مواقعها قبالة مواقع العدو الى الشرق من القرينتين، وفي الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي (السبت ١٠ تموز) قامت سرية المشاة بالهجوم مع مساعدة مدافع المدرعات، وتوافرت للهجوم عناصر المباغثة والسرعة والاقدام، فتم الاستيلاء على القرينتين والكمب، واضطر العدو الى الانسحاب بعد ان تكبد جملة خسائر، ولكن في اثناء الهجوم توغلت بعض المدرعات في خطوط العدو وسقطت احداها في حفرة، وتعذر سحبها لشدة كثافة نار العدو، فبقيت في موضعها (وهذه هي المدرعة التي ذكر موشيه دايان ان كتيبته اغتتمتها). وفي هذه المعركة قتل الشهيد مصطفى موسى الرطانة.

كان الموقع الذي استعادته القوة الاردنية ذا اهمية استراتيجية، فهو يقع على مسافة اربعة كيلومترات فقط الى الشرق من اللد، ولا يبعد سوى عشرة كيلومترات عن مجدل يابا، حيث يتمركز العراقيون، كما يمر منه تقاطع طرق حيوي. قضت القوة الاردنية ذلك اليوم في مواقعها الجديدة، بينما اخذ اهل القرينتين يعودون الى



منازلهم ليس بقصد الاستقرار وانما لاخذ ما يستطيعون حمله من تموين وفراش من بيوتهم التي غادروها. وفي ظهر اليوم التالي (الاحد ١١ تموز) وصل الى الموقع رجل على ظهر جواد وهو يحمل معه انباء دخول اليهود الى مدينة اللد. عندئذ اصدر كارتر امراً للملازم ابو دخينة بأن يتحرك باتجاه المدينة لاستكشاف الوضع، وحذره من المخاطرة والتوغل في خطوط العدو. كان الوقت عصراً، فمضى ابو دخينة مع ثلاث مدرعات باتجاه الغرب، ولكن ذلك الرجل الثابت الجنان، القوي المراس، لم يشأ ان يتقيد حرفياً بتعليمات مساعد قائد الكتيبة، بل شق طريقة من جانب مستعمرة بن شيمون، وعندما وصل الى اطراف اللد، بادر الى الاشتباك مع قوات العدو، ثم دخل الى الجانب الغربي من المدينة وهو يشاغل العدو ببسالة فائقة واندفاع، حتى تمكن من تشتيت عدة وحدات اسرائيلية. الا ان حمد لم يلبث ان لاحظ مصفحات العدو وسياراته المسلحة وهي تتحرك لقطع طريق العودة عليه، فعمد الى الانسحاب بعد ان استيقن ان العدو يتمركز هناك بقوات كبيرة. وهكذا شق طريقه عائداً الى مركز وحدته في بيت نبالا.

بعد ان تمت للعدو السيطرة على اللد والرملة مساء يوم الاحد ١١ تموز، اخذت قواته تتجه نحو الشرق باتجاه التلال المرتفعة للاستيلاء على مزيد من المواقع. وكان في طبيعة اهداف العدو احتلال قرى دير طريف وبيت نبالا. وعلى هذا، ففي صباح يوم الاثنين ١٢ تموز، قامت قوة تتألف من كتيبة مشاة تدعمها سرية مدرعات (مجنزرة مكشوفة عليها رشاشات)، بالهجوم على المواقع الاردنية. ونشبت معركة حامية بين الطرفين. وصمدت القوة الاردنية، واضطر العدو الى التراجع بعد ان تم تدمير ثلاث من مدرعاته واغتنام اخرى بالاضافة الى مدفع عيار ١٧ رطلاً واربعة رشاشات.

على ان المعلومات التي توافرت لدى قائد القوة الاردنية، جعلته يعتقد ان العدو لن يلبث ان يعود للهجوم بقوة اكبر، بعد ان تمت له السيطرة على اللد والرملة، وان القوة الاردنية الصغيرة، ستتعرض لاطار جسيمة اذا بقيت في مواقعها - المنخفضة نسبياً - خصوصاً ان بقية سرايا الكتيبة كانت قد تحركت بعيداً الى غور الجفتك في وادي الاردن. لهذه الاسباب قرر ان تخلي القوة مكانها وتراجع الى التلال المرتفعة غربي قرية دير قديس، على مسافة كيلومترين الى الشرق تقريباً. ومع غروب شمس ذلك اليوم تمت عملية الانسحاب.

وفي صباح اليوم التالي تقدم العدو نحو بيت نبالا ودير طريف فاكتشف انهما خاليتان، فعاد التمرکز فيهما، ولكنه لم يتقدم لمهاجمة القوة الاردنية في مواقعها الجديدة.



x قبل رحيل اهالي بيت نبالا عن بلدتهم بعدة اشهر كانت اعداد كبيرة من النازحين من اهالي العباسية وكفرعانة وسلمة والخيرية وغيرها من القرى قد وصلت بيت نبالا هاربين من قراهم حيث نزلوا ضيوفاً على اهل البلدة، وكان هؤلاء يحملون معهم اخبار الارهاب والترويع الصهيوني من قتل ودمار وذبح بالسلاح الابيض وبقر بطون الحوامل واطلاق الرصاص على الشباب العزل من السلاح بالجملة. وفي صباح يوم السبت ١٩٤٨/٧/٣ قامت طائرة اسرائيلية من مخلفات الجيش البريطاني باسقاط قنبلتين (كيزانين)، على قرنة الارانب بالقرب من جبل النقارة الذي يقع شمال القرية، وخلفت الرعب في نفوس اهلهما، وقد شاهدها بأم عيني، وهي تلمع في سماء القرية على ارتفاع منخفض تحت اشعة شمس صباح يوم السبت الموافق ١٩٤٨/٧/٣، وهو اول يوم من شهر رمضان في ذلك العام. وقد اشار اليها المرحوم خليل كايد حسين، في قصيدته الزجلية، التي كتبها في نفس الشهر تحت زيتون قرية بدرس، والتي مطلعها :

اجتنا طيارة بجناح	يوم السبت، من الصباح
ضربتنا الضرب الاليم	والكل منا مرتاح
شفناهم بأعلى الجبال	اجانا صايح من شمال
ردوا علينا بتجهيم	قلنا : ايش الخبر يا رجال ؟

وبدأ النازحون الضيوف على القرية بالرحيل عنها باعتبار انه لا تربطهم بها سوى الملاذ الامن الذي داهمه الخطر، فكان ذلك سبباً رئيسياً من اسباب زعزعة اهل القرية الذين بدأوا يستعدون للرحيل اسوة بالضيوف النازحين، حيث بدأ التحضير

بالشد على عربات الخشب التي تجرها الخيول وتحميل الاغراض الضرورية جداً لهم قاصدين قرية بدرس القريبة منهم على امل ان يزول الخطر ويعودوا الى بيوتهم في القريب العاجل على غرار ما كان يجري سابقاً عندما يأتي الغزاة الى فلسطين، وحيث ما زال في الذاكرة الرحيل الى مدينة اللد عندما هزمت الجيوش العثمانية امام الانجليز في اواخر الحرب العالمية الاولى عام ١٩١٧\* وقد حاول بعض الوجهاء الواعين من القرية ثني الناس عن عزمهم في الرحيل امثال المختار سليمان مصطفى سليمان الذي قام بالطواف بين الناس يدعوهم للثبات في بيوتهم، وقد تدخل شخصياً في تشغيل بعض المرافق الحيوية في القرية فقام بتدوير بابور الطحين وفتح الفرن لمزاولة اعماله، ولكن الرعب والجهل كانا اقوى من ارادته، فغادر الناس القرية مشياً على الاقدام او على ظهور الدواب وعربات الخشب ونسيارات المعدودة التي تعود لجمعة كاملة واحمد علي فرحة ومحمود ابو حسينه، حيث استقر بعضهم في اراضي القرية من الجهة الشرقية على بعد ٣ كم ووصل بعضهم الى قرية بدرس وقبية وشقبة. وسكنوا تحت اشجار الزيتون ينامون ويأكلون ما يخبزونه على الصاج. وقد ابى بعض الناس مغادرة القرية مثل الحاج يوسف خليل مخلوف الذي لم يخرج منها الا بعد اسبوع. وفي يوم السبت ١٠/٧/١٩٤٨، سقطت قرية دير طريف القريبة، وعلى اثر ذلك قام اليهود باحتلال التلال الشمالية المشرفة على بيت نبالا، وخاصة جبل النقارة، وصاروا يقومون من هناك باعمال القنص ضد المسلحين العرب المتواجدين في القرية. وفي نفس اليوم، عبرت قرية بدرس ارتال من مصفحات الكتيبة الاولى التابعة للجيس العربي، وخرجت من القرية باتجاه الغرب، على مشهد من اهالي بيت نبالا والنازحين من القرى المجاورة، الجاثمين على جنبات الطرق، وقد استقبلت هذه الكتيبة من قبل الامهات والعجائز بالتهليل والزغاريد المنطلقة من الالسن الجافة، والقلوب الكسيرة، المتلهفة للحق وللنصر، وتمركزت هذه القوة في عروض زبن من ارض القرية، الذي يقع شرق راس



الاقارع بحوالي كم واحد. وعلى التو أخذ بعض الضباط بالاستفسار من اهالي القرية المتواجدين تحت اشجار الزيتون في ارض الحبايل، ملك سليمان امانة، عن مكان تمركز اليهود في جبل النقارة، بصفتهم من اهل البلد، ويعرفون طبيعتها جيداً، وقد تبرع كل من احمد ذيب عبد الكريم العبد، ومحمود شنين، وعلي الشايب بمرافقة حوالي ٣٠ جندياً مشاة بكامل اسلحتهم وذخائرهم، وانضم اليهم بعض المسلحين العرب المتواجدين في القرية من ابناء القرى المجاورة، وعند الساعة الرابعة من صباح يوم الاحد ١٩٤٨/٧/١١، تسلل الجميع بمحاذاة القرية من الجهة الشمالية، حتى وصلوا تعميرة ابو بكر المزروعة بالتين والزيتون في اسفل جبل النقارة من الجهة الجنوبية الشرقية، وقد تواروا عن اعين اليهود تحت باطن الجبل الكثيف بالاشجار. وكان معهم "برنات" عدد ٢، وقام قائد السرية بتقسيمهم الى مجموعتين، المجموعة الاولى، للرماية، والمجموعة الثانية لتعبئة الذخيرة، ثم تسللوا بعدها الى ظهر جبل النقارة من الجهة الشرقية، وباغتوا اليهود المستحكمين وراء الصخور وداخل المغر من الخلف، وفي الوقت الذي بدأت فيه المصفحات الاردنية باطلاق القذائف على كل دبابة يهودية تطل برأسها من رأس سحيلة دير طريف، واثرت هذه المعركة انسحاب اليهود نحو الغرب باتجاه الهلمة، مخلفين وراءهم بعض الاسلحة التي غنمها العرب. وقد استشهد في المعركة المرحوم مصطفى موسى الرطانة في موقع الكسارات (الطرنشة)، الذي ما ان رفع بندقيته ليطلق النار على احد اليهود، حتى فاجاه اخر بطلقة اخترقت رأسه عبر تجويف عينيه. وفي مساء ذلك اليوم سقطت مدينة اللد بيد اليهود.

في يوم الاثنين ١٩٤٨/٧/١٢، تراجعت القوة الاردنية نحو طريق بدرس الى الشرق من القرية، مما ادى الى سقوطها استراتيجياً مرة اخرى، بالرغم من بقاء المسحليين من ابناء البلاد فيها. وقد ساعدت الهدنة الموقعة بين الطرفين

الاردني واليهودي في ١٥/٧/١٩٤٨ اليهود في تثبيت اقدمهم في المنطقة، واصبحت القرية بمعظمها من ضمن الاراضي المحتلة، كما اعتبرت اجزاء كبيرة من اراضيها الشرقية من ضمن منطقة الحرام بين العرب واليهود، حتى ان حسن غانم زوجة الحاج كايد حسين، كانت تدخل هذه المنطقة لعدة سنوات في مواسم قطاف الزيتون لجني الثمار من ارض زوجها المحرمة والمحاذية لاراضي قرية بدرس.

طغى اليأس بعد الهدنة على بقية الامل في نفوس اهل القرية بالعودة، واخذت كل اسرة تفكر في ايجاد مستقر لها في احدى القرى القريبة، وتوزع معظمهم في قرى بدرس وشقبة وقبية ورنطيس ونعلين ودير عمار وبيت اللو وام صفا وبير زيت وكوبر وابو اشخيدم وبرهام وجلجليا وكفر عين وقرارة.

بالرغم مما تقدم ذكره، فلا بد من الاشارة، الى ان دور اهالي بيت نبالا النضالي في مقارعة اليهود، حيث اعتبر اهاليها رمزاً من رموز المساعدة في القاطع الاوسط من المنطقة الوسطى التي اشرف عليها الشيخ حسن سلامة، كما شارك شبابها وشيبيها في اغلب النجدات والمعارك التي دارت في المنطقة، وخاصة معارك وادي الصرار وسلمة والهلمة وراس العين والعباسية، كما عرف عنهم التزامهم الوطني، ودورهم القيادي في حماية ارضهم وديارهم. ومن بين المعارك التي وجدت لها انعكاسا في الصحف الهجوم الذي حدث على قافلة يهودية قرب بيت نبالا بتاريخ ١٦/١٢/١٩٤٧ سقط على اثره عدد من القتلى اليهود خريجي مدارس عالية وكليات صناعية وهندسية كما اشارت صحيفة فلسطين بتاريخ ١٧/١٢/١٩٤٧. ويروي ايضاً احد ابناء القرية، الذي عمل مع حسن سلامة،



وهو هاشم محمد خدّاش، المعروف باسم هاشم السيد، الذي كان يعتبر من عتاولة المتسللين بعد الرحيل حتى عام ١٩٦٢ عن جوانب اخرى من دور بيت نبالا حيث قال : مع نهاية الحرب العالمية الثانية، جاءت طائرة المانية تقل الشيخ حسن سلامة برفقة ضابط الماني، وانزلت الاثنتين بالباراشوت في منطقة اريحا، كسرت على اثرها ساق حسن سلامة، وحمله الضابط الالمانى على ظهره الى اطراف قرية دير دبوان، واقعده في مغارة، ثم اوعز حسن سلامة للالمانى ان يذهب الى البيرة وحمله ورقة الى مختارها. وقد صادف الضابط الالمانى في طريقه راعى غنم، وتبادل معه الملابس، وكان الالمانى يتكلم العربية جيداً، لانه كان من سكان الهلما (ويلهما) في فلسطين سابقاً، وعندما علم مختار البيرة عن مكان وجود حسن سلامة، اخذ معه دابه، واحضره معه الى داره في البيرة، وبعدها واصل الالمانى مسيرته الى قرية قولية بلدة حسن سلامة، واخبر والده عن وجوده في البيرة وبحوزته كمية من الذهب، حيث كانت المانيا تشرف على تدريب بعض الفلسطينيين في اراضيها لمساعدتهم ضد الانجليز واليهود. وعندما علم والد حسن سلامة بالخبر، حضر فوراً الى عند حسين خليل عيدة في بيت نبالا، واخبره بالحال، فقام حسين خليل على الفور باحضار حسن سلامة الى بيت نبالا ومنها بدأ بالدعوة لجمع وتنظيم الثوار من اهل البلاد المجاورة مثل السعيد حمودة من دير طريف، والحاج محمود درويش من العباسية، علاوة على اهل القرية. بعد ذلك قام بشراء السلاح عن طريق بدو السبع الذين كانوا يقومون بتهريبه عن طريق مصر من مخلفات معركة العلمين في ليبيا. وقد وزع على القرية حوالي ١٠٠ بندقية، بواقع ٢٥ جنيهاً لكل بندقية وذلك دعماً للثورة، علماً بأن البندقية الواحدة كانت تساوي في ذلك الوقت ١١٠ جنيهاً.

ويضيف هاشم السيد، نقلاً على لسان حسن سلامة : ان رفيقه الالمانى كان قد اطلق النار على زوجته واولاده قبل مغادرته المانيا حين سقوطها بيد الحلفاء خوفاً من اغتصاب الحلفاء للنساء الالمانيات.

لقد التف الكثيرون من رجال القرية حول قيادة حسن سلامة، فيهم كبار السن نذكر منهم، حسين خليل عيده، والسعيد حسن عثمان الذي اصيب بجروح بالغة في احدى المعارك، وكان هذا يملك بندقية يفتخر بها كثيراً امام اهل القرية، وكثيراً ما كان يجلس على كرسي في قهوة عيسى احمد الحاج على ساحة المطامير، ويضع بندقيته امامه على كرسي اخر، يتابع اخبار المناوشات بين العرب واليهود، وكثيراً ما كان ينيب عنه لنجدة القرى المحاصرة خدامه سالم القبوي باعطائه بندقيته، وعندما تكررت انابته لسالم عدة مرات، قال له احد المازحين من اهل القرية : الظاهر انك يا حاج سعيد ستحارب حتى اخر قطرة في دم سالم.

ان دولة اليهود ما كانت لتصبح ممكنة لو لم يرحل عن الارض اصحابها الفلسطينيون، ولو بقي الناس متشبثين بجذورهم، غير هيايين من المجازر التي وقعت هنا وهناك لتحولت الحرب في البلاد الى ما يشبه الحرب الاهلية بين شعبين متداخلين بعضهما مع بعض، ولمنعت هذه الحرب الاهلية اعداداً كبيرة من اليهود من القدوم الى فلسطين، بل وربما كانت سبباً في مغادرة الكثير منهم ارض فلسطين ممن ليس لهم القدرة على العيش في جحيم المعارك اليومية. الا ان تفرغ الارض من اصحابها الاصليين، جعلت الحركة الصهيونية تغتتم فرصتها لتجسيد دولة اليهود على الارض الفلسطينية، بعد ان اعطاهم قرار تقسيم فلسطين في ١٩٤٧/١١/٢٩ الحق باقامة دولتهم، مما اتاح لهم الفرصة لبناء مجتمع متكامل في جوانبه العسكرية والمالية والاقتصادية والاجتماعية.



على اثر اعلان الهدنة بين العرب واليهود، وانسحاب السرية الاردنية من البلدة شرقاً نحو قرية بدرس، لم يبق في القرية الا بعض الناس الذين ابت عليهم نفوسهم مغادرتها، مثل الحاج يوسف خليل عيدة، وموسى الرطانة الذي لم يستطع الابتعاد عن قبر ابنه مصطفى الذي كان يجلس عند رأسه ساعات طويلة في باحة مسجد السلطان عبد القادر، كما بقي في القرية بعض المسنين والعجزة ممن لم يستطع ذووهم حملهم معهم يوم الرحيل على امل العودة اليهم حال زوال الخطر، اضافة الى بعض المسلحين الذين كانوا يجوبون البيوت والحارات بعد ان همدت عزيمتهم اثر تراجع الجيش الاردني وعقد الهدنة، فتحول اهتمامهم الى حمل ما يستطيعون حمله من اثاث واغراض الى عائلاتهم في ديار الغربية لعلها تخفف من معاناتهم. وبعد حوالي اسبوع من الرحيل نزل اليهود من جبل النقارة والتلال المحيطة بالقرية فدخلوا شوارعها على شكل دوريات لتمشيظها، لكن الناس المتواجدين فيها كانوا يختبئون داخل البيوت المتلاصقة والتي يصعب تفتيشها من قبل جيش يدخلها لأول مرة تحسباً من مفاجآت متوقعة وبسبب طبيعة بناء بيوتها القديمة وتقسيماتها من الداخل التي تحتوي عادة في الداخل على زرائب الدواب تحت المصاطب وقاع البيت وقطع التبن والتي تفصل بين هذه الاقسام خوابي القمح ومقاعد الاباريق والجرار، هذا عدا عن وجود الظلمة داخل البيوت اثناء النهار لعدم وجود نوافذ واسعة في جدرانها. وكان هؤلاء يسمعون في مخابئهم رطانة اليهود وهم يجوبون شوارع القرية خارج البيوت. ولكن وفي النهاية تسللت هذه البقية والتحقت بعائلاتها في قرى بدرس وقبية وشبتين ونعلين ورننيس وشقبة.

بعد حوالي اسبوعين فقد اهل القرية الذين اتخذوا من كروم الزيتون التابعة للقرى انفة الذكر مستقراً لهم تحت العراء الامل في العودة الى بيت نبالا بعد ان تركوا وراءهم كل ما يملكون. ووجدوا امامهم حياة قاسية بعد ان اقلت الحرب بظلالها على مجمل الحال في فلسطين. وادركوا انه من غير الممكن بقاؤهم وعيالهم عالة على القرى التي يعبرونها، حيث لا عمل هناك، ولا شيء يملكونه ينفع او يصلح للبيع للانتفاع بثمنه لتأمين ادنى مستوى من القوت اليومي لهم ولعائلاتهم. فجميع هذه العوامل شكلت حافزاً قوياً واضطرابياً لبعض الرجال كي يتسللوا الى قريرتهم لاحضار اغراضهم وفراشهم وبعض من مؤونتهم التي كانت مخزونة في بيوتهم كالقمح والزيت والذرة. فكان اول من فتح باب التسلل الى القرية قدورة محمود الحاج والزرعى، وبعد ذلك تبعهم ناس كثيرون، حتى ان اهل القرى المجاورة التي عبروها انخرطوا في هذا العمل الخطير على حياتهم، وقد قام بعضهم بالتسلل عدة مرات وذلك باستخدام الدواب للاحمال الثقيلة.

ويتول السيد محمد ذيب عبد الكريم العبد : لقد قمت بالتسلل سبع مرات، ولكن في المرة الاخيرة تم القبض علينا بالقرب من معمل شيد مصطفى طه الذي يقع على بعد كيلومتر واحد شرق القرية، وكنا حوالي ٩٠ رجلا وثلاث نساء، منهن اثنتان من قرية السافرية وواحدة من بيت نبالا، حيث كمن لنا اليهود عند منعطف في الوادي الشامي من الجهة الشرقية، وصاروا يلقون القبض علينا واحداً واحداً بعد مباحثتنا عند المنعطف المخفي، ويجلسوننا في مكان واحد تحت الحراسة. وبعد ان انتهوا من اسرنا اخذونا الى مغارة في دير طريف تسمى مغارة الزفسية، وقاموا بتفشيطننا من ساعات اليد والمصاري وكل ما نملك من اشياء، ثم اخذونا الى كعب بيت نبالا وحشرونا في عنبر السلاح سبعة ايام كانوا يقدمون لنا البطاطا المدودة كطعام، وكنا نشرب من مياة البرك العادمة التي كان الانجليز في الكعب



يصنعون فيها القرميد، وكان طعمها قلوياً مشبعاً بالجير والتي ان وضعت على جلد الثور فان شعره يتساقط من شدة قلويتها. وبعد ذلك اخذونا الى كمب البنات الذي يطلق عليه اسم كمب الاميركان والقريب من مطار اللد، وهناك بدأوا التحقيق معنا، ثم اخذونا الى قرية اجليل شمال يافا وصفونا على شكل طابور وبدأوا في تدوين اوصاف كل واحد واخذوا مقاس طولنا ثم اعطوا كل واحد، منا نمرة، وبعدها انزلونا الى المعتقل في نفس اجليل حيث التقينا هناك مع الكثير من المعتقلين من اهالي البلاد الاخرى، وبعدها ارسلوا قسماً منا الى سجن صرفند وعتليت وتلة فنسكي القريبة من قرية ساكية حيث بقينا في الاسر لمدة تسعة اشهر.

ولكن التسلل لم ينقطع طيلة ١٤ عاماً حتى ١٩٦٢ من قبل البعض مثل الزرعي وهاشم السيد والمرحوم صبحي يوسف علي صالح الذي قتله اليهود في ارض المدورة اثناء التسلل عام ١٩٥٠، وغيرهم من ابناء البلاد الاخرى، واصبحت قاعدتهم الرئيسية التي ينطلقون منها قرية قبية الحدودية التي قام اليهود بالعدوان عليها وقتل الكثير من اهلهامع هدم معظم منازلها فوق رؤوس اصحابها وذلك في محاولة للحد من نشاط المتسللين.

اما مسألة تعامل الجيش الاردني مع المتسللين، فكثيراً ما كانوا يفرضون عليهم الإقامة الجبرية واثبات الوجود في المخافر، وكثيراً من الاحيان كان الامر موكولاً الى الجندي الذي ينفذ عملية القاء القبض ويخضع تصرفه حينئذ الى مزاجية ذلك الجندي او الضابط، فاحياناً كان يتم تجريد المتسللين من كل ما يحملونه واحياناً يحاكمون ويغرمون او يحبسون، ومرات كان يشعر الجندي مع معاناة هؤلاء المتسللين فيتركهم يذهبون الى حال سبيلهم. وقد قامت الحكومة في

الخمسينيات بالهاء بعض هؤلاء المتسللين بأن عينتهم في سلك البوليس السري في الضفة الشرقية لابعادهم عن اعمال التسلل.

ويقول احد المتسللين وهو هاشم السيد بأن حسين خليل يوسف مخلوف قد حضر الى بيتي في دير عمار سنة ١٩٦٢ وكان معاه اربع بنادق وذخائر واعطاني اياها وقال لي : من الان فصاعداً لا نريد التسلل من اجل احضار المواشي والاعراض ولكن يجب عليك وعلى جماعتك ان تقوموا بنسف المرافق الحيوية داخل الارض المحتلة مثل مضخات المياه ومحولات الكهرباء والجسور واسلاك الاتصالات، وهذا يعني ان نوظف التسلل للنضال وليس للمنفعة الخاصة. ومن هنا فقد اخذ عمل التسلل طابعاً نضالياً جديداً، واستمر هكذا ليس معنا فقط بل مع الكثيرين عبر القرى الحدودية على طول الحدود التي على اثرها قام اليهود بالهجوم على قرية حوسان وقرية السموع في قضاء الخليل.

بعد سنتين من الهجرة، وما عقبه من ضيق ذات اليد، بدأ اهالي القرية يوطنون وجودهم في الشتات على شكلين من الاستقرار الدائم، الاول، كان في القرى والمدن، مثل عمان ورام الله وبيير زيت، والثاني في المخيمات، مثل دير عمار والجلزون والمحطة والوحدات، تم تبع ذلك استقرار البعض في الزرقاء.

وخلال خمسة العقود الماضية، التي اعقبت احتلال فلسطين عام ١٩٤٨، طرأ تغير جذري على الاقامة الدائمة لمعظم اسر اهل القرية، من حيث هجرهم للمخيمات وانتشارهم في اماكن اخرى اكثر قدرة على توفير الخدمات الاساسية، مثل جبال عمان الشرقية، كالهاشمي والقويسمة وجبل التاج ووادي المربط والاشرفية واسكان ماركا ومشاريع التطوير الحضري وابو عليا وخريبة السوق



وناعور ومرج الحمام وصويلح، وسكن القليل منهم ايضاً في مناطق عمان الغربية، امثال ابناء الحاج عبد الحفيظ طالب الحيث، و ابراهيم محمد سلامة، وحسن حكمت واديب صالح عابد، وابناء محمد علي صالح. كذلك الحال في الزرقاء، فقد تملك معظمهم قطع الاراضي، واقاموا عليها ابنية خاصة لهم. هذا في الضفة الشرقية، اما في الضفة الغربية، فلا يزال قسم كبير منهم يسكن مخيمي دير عمار والجلزون، اضافة الى نسبة كبيرة يقيمون في بيرزيت ورام الله.

وجدير بالذكر ان المساكن الحالية التي يقيم فيها اهل القرية في شتاتهم، هي من املاكهم الخاصة، ومن النادر جداً من يقيم منهم في بيوت مستأجرة.

## تدمير القرية :

لم ينشغل اليهود خلال حربهم مع العرب بتدمير القرى والاحياء العربية في المدن وكان همهم الاول هو تهجير اكبر عدد من الفلسطينيين ثم تثبيت اقدامهم على الخطوط التي وصلوا اليها، وذلك بحفر الخنادق واقامة التحصينات اللازمة لضمان عدم زحزحتهم عن هذه الخطوط. بل كان عليهم القيام بعمليات اخرى تتطلبها الخارطة العسكرية وذلك بالتحضير لعمليات عسكرية اخرى.

وكانت بداية الطرح لهدم قرى متروكة، او محتلة، وفي احياء عربية في المدن المختلطة بشكل رسمي، في ٨/٥/١٩٤٨، حيث دار النقاش في احدى جلسات القيادة الصهيونية في ذلك التاريخ، حول حاجتهم الى قانون خاص بالمدن والقرى المحتلة، فمن سيكون الحاكم، وما هي سلطته ومصادرها؟ ماذا يفعلون بالاسرى؟ ايتواجد في تلك المنطقة المحتلة "المحررة" جيش ام شرطة؟ ما هي القرى الواجب تدميرها؟ حيث رأي البعض، انه يجب استيطان ١٠٠ قرية، بينما رأي اخرون انه يجب تحديد القرى التي لا يسمح بالعودة اليها باي حال من الاحوال، واقتراح تأمين قطاع معين على الحدود مثلاً ١٠ كم يحظر عودة "العدو" اليه، ومن ثم يجب هدم القرى في هذا القطاع، وهناك قرى يجب الحفاظ عليها وترتيب تنمية مشتركة: يهودية / عربية فيها. (٤)

تزامن هذا الخلاف حول طبيعة القانون الواجب تنفيذه في القرى، وعدم حسمه في حينه، اذ تم ادراج تدمير القرى العربية على جدول اعمال الحكومة فيما بعد، في جلسات عقدت بتاريخ ١٦ و ٢٠ و ٢٣ و ٢٧ و ٣٠ حزيران ١٩٤٨، مع الوضع العسكري ومع توقيت انهاء الانتداب، واعلان قيام الدولة العبرية. وقد



انصبت الجهود الاسرائيلية اولا على القضايا الحساسة، احتلال القرى والمدن اولا ثم محاولة الاستفادة منها لتوطين اليهود الجدد ولو بالمراحل الاولى مما دفع بالبعض لطرح فكرة ترميم بعض هذه القرى لايواء اليهود (٥). وبعد ان شعرت الدولة الجديدة بالاستقرار واطمأنت الى عجز دول الجوار العربية، سارعت الى عملية هدم جماعية وسريعة للقرى العربية المهجورة، لتحول والى الابد دون عودة اصحابها اليها ومن ثم دون تنفيذ قرار ١٩٤٤ الصادر عن الامم المتحدة والمطالب بعودتهم. يقول هاشم السيد بأن عمليات الهدم لبيوت القرية ومعالمها قد بدأت وانتهت عام ١٩٥٢، وكنا نتابعها اثناء عملية التسلل بنظرات حزينة لا يقل عن الحزن الذي يخلفه مقتل الامام عيني وليدها. فكانت الجرافات تهدم والشاحنات تنقل دوامر الحديد التي تدعم السقوف، وحجارة البناء القاسية لتذهب بها بعيداً لجهات غير معلومة ولم تترك القرية الا بعد ان تم تسوية كل قائم عليها مع سطح الارض، في محاولة لقطع خيوط الامل التي تشاغل احلام الاجيال اللاحقة من ابنائها واصبحت خربة نائمة في جوف ليل التاريخ المظلم كجاراتها من الخرب الاخرى، مثل بيت قوفا، والخربة الشامية، ورأس ابو يعقوب، ودسرة، وبعنة. الا ان ذكراها العطرة ظلت ترتفع في سمائها بين النجوم السرمدية، كالمنطاد المربوط بحبل من الذكريات في جذوع نباتات الصبر واشجار الزيتون الضاربة جذورها في عمق ترابها، المجبول بدم الاجداد، وعتاولة التاريخ، وقادة الفتوحات الاسلامية.

بعد عدوان ١٩٦٧ زار كثيرون من ابناء القرية مسقط رأسهم بدافع فطري لحب وطنهم. قال المرحوم محمد سليمان داود الذي زار القرية في صيف ١٩٩٣ لقد جئت القرية من الجهة الجنوبية وصولاً الى باب الكمب فترجلت من السيارة واندفعت بلهفة الى حديقة المدرسة الغربية بين اشجار الكينيا والسرو ثم اتجهت الى الساحة الرئيسية التي كانت تتوسط الغرف الصفية، وقد ذهلت عندما وجدت ان تلك

الغرف قد ازيلت من مكانها، ولم يبق منها سوى الغرف الشرقية من القسم الثاني للبناء الذي كان يمتد من الشرق الى الغرب وتستعمل هذه الغرف كمكتب ادارة لمستتبت زراعي يحتل ارض المدرسة جميعها. وجلت بنظري في ارجاء الحديقة الشرقية، فبدت لي ملىئة بالاشغال على شكل صفوف منتظمة. كانت ارض الساحة التي اقف عليها معبدة بالاسفلت في شكل مربع، فامتلاً قلبي بالضيم والحسرة، وراح يلاطم جدران صدري الذي عج بالعواطف، وتدفقت من عيني دمعان لم تغادرهما، وبدأ كل ما حولي من اشياء مقعراً ومحدياً، فدعوت ارادتي ان تمدني بالرعاية، لاوطن نفسي على الواقع الذي وجدت فيه، وفي اللحظة التي كنت استعيد فيها قدرات حواسي ترامي الى اسماعي صوت اجش، صادر عن رجل يخرج من احدى الغرف، ينهرني بالابتعاد عن المكان، فغادرته حفاظاً على كرامتي، وسهام التحدي تتطلق من عيني نحوه لتحد من غروره. وعبرت بين اشجار الزيتون المهملة نحو الشمال الشرقي باتجاه القرية، وعلى مسافة قصيرة طالعتني شجرة سدر كبيرة تقف على حافة وادي كريكعة، ترخي فروعها فوق المجرى ثم صعدت الى المقبرة مروراً بارض الحميرية وقرأت الفاتحة على ارواح الاجداد وجلت فيها قليلاً. كانت معظم القبور مهدمة متداعية، تتوارى بين الهشيم الشاحب، تغطي جنباتها بعض الطحالب الجافة. ووقفت على ركام السلطان عبد القادر المندثر، ونظرت الى منحدر نحو الجنوب، فوجدت ركب الصبر القرية واقفة تتحدى نوائب الدهر بأشواكها، فترحمت على ساكني القبور، واتجهت نحو الشرق، عبر مسرب حل محل الشارع الرئيس المندمل تحت الركام، والذي كان يخترق القرية من الغرب الى الشرق. كانت ارض القرية من حولي متشابهاً، فقد طمستها كومات الشيد وبقايا الحجارة الصغيرة المتوارية بين الاعشاب الجافة، وتوقفت عند بقعة منخفضة بين الركام، وتأملت فيه قليلاً. فعرفت بضوء الذاكرة الخفي انه موقع البد الذي كان خلف المضافة، بالقرب من دار طالب الحيت،



وتمكنت من تحديد موقعي، والقيت نظرة بعيدة نحو الجنوب فبان لي نواذرة  
السطح كما هي، محافظة على مسطحها المحاط بأشجار الزيتون. وواصلت  
مسيرتي نحو الشرق، لابلحث عن مكان بيت والدي ووصلت الى بقعة من الارض  
توسمت فيها مقصدي، ورحت اتحزر هنا وهناك، وخمنت مكانه من باب المكابرة  
، ووقفت على اطلاله بخشوع العابد، وعرفت ان القرى والمدن مثل الاحياء تحيي  
وتموت بأصحابها. وخطرت على بالي ست النسب، وغادرت المكان نحوها، ولما  
وجدت نفسي على مرتفع من الارض، درت حولي دورة بطيئة تسمح بالتأمل،  
استطعت خلالها من تحديد محيط القرية، بامارات ركب الصبر واشجار الزيتون  
التي تطوقها كالسوار في المعصم، وواصلت سيرتي، وحددت موقع مغارة ست  
النسب بامارة شجرة تين تثبت على بابها، تشبه الحاجب الذي يقف على باب  
السلطان. فدسترت عليها وتزودت من ايمانها، والقيت نظرة من عند بابها الى  
النواذرة الشامية، فلم استطع التعرف على حدودها، فقد تم ضمها الى البرك،  
التي كانت متشابكة بأشجار الزيتون، وتحولت على يد الغرباء الى كروم من العنب  
المعلق على عرش، يشرف عليها يهود من اليمن. ولم تزل التلال المحيطة بالقرية  
مغطاة بأشجار الزيتون الكثيفة الهرمة، وكانت معالمها واضحة للعيان. ووقفت وقفة  
تأمل، فوجدت ان خارطة القرية التي احملها في رأسي اوضح بكثير منها على  
الارض، ولن يستطيع احد تحديد مكان بيته بالضبط، الا اذا استعان بفتحات ابار  
المياه المهجورة، التي تتطاير منها الحمائم البرية الزرقاء، او ببعض اشجار  
السدر الكبيرة الباقية الصامدة صمود ركب الصبر. وقبيل العصر، لفحتني الحسرة،  
وغادرت اطلال قريتي وكتلات الضيم تملؤ صدري.

وبالرغم من مرور قرابة نصف القرن على رحيل اهل القرية عن بيوتهم  
واراضيهم، الا ان حبهم الفطري الجامح، لمربع قريتهم، لا زال يسيطر على

أكبر مساحة من وجدانهم. وان حديثهم اللا ارادي، الذي يدور في مجالسهم عند التلاقي في المناسبات، لا يخلو ابداً من ذكرياتهم، ونسيج علاقاتهم الحميمة. هذا الحديث، الذي يقبض بشدة على عقول اطفالهم وشبابهم، ويرسم في احلامهم الفسيحة معالم الفردوس المفقود. ولا زال القسم الاكبر منهم يحتفظ حتى اليوم، بقسائم الطابو في خزائهم، وكأنهم يعيشون على الامل في اغتراب قصير الامد. ورب امل يتحقق، ما دام القلب يعشق.

واحياء لذكرى القرية، فقد اطلقت امانة عمان الكبرى منذ ما يزيد على عشرة اعوام اسم بيت نبالا على احد الشوارع في الشميساني، الذي يبدأ من الزاوية الشرقية الشمالية من ضاحية الحسين، حيث اسمها مكتوب على لافتة معدنية مثبتة على اسوار بعض البيوت هناك. كما ويتفرع من هذا الشارع ممرات ودخلات صغيرة نحو البيوت الجانبية كتب على بدايتها عبارة "ممر بيت نبالا".



## اهل القرية اليوم :

يتميز اهل بيت نبالا بقوة الروابط الاجتماعية الحميمة فيما بينهم، التي لا زالت حتى اليوم على مستوى رفع الكلفة، واذا ما توفي واحد من احدى حمائل القرية، فان الجميع يهبون لاداء الواجب، وكأنه نداء النفير، هذا الواجب الذي يعتبره الواحد منهم على انه فرض عليه.

ان مرور نصف قرن على تشتت اهل البلد عن ديارهم، كفيل بتقطيع عرى التواصل فيما بينهم. الا ان الغربة قد ضاعفت من تلاحم الناس وتعاطفهم. وكان مثلهم اشبه ما يكون بخلية نحل طردت من جرنها والتفت حول غصن شجرة على شكل عنقود، بانتظار تشكيل وبناء خلايا جديدة. وكان الغصن الاول جمعية الزيتون النبالي، التي قام بتأسيسها نخبة واعية من خيرة شباب القرية في ١٦/٤/١٩٩٠، واتخذت مقراً لها في جبل الهاشمي الشمالي في عمان، في بناء مستأجر، وكان المهندس ابراهيم حكمت شقديح اول رئيس لها، وقفز بها قفزات نوعية عظيمة خلال سنتين بمساعدة اهل القرية. وقد تمكن بنشاطه من تأسيس فرقة براعم الزيتون للفن الشعبي، التي تعبر عن تراث القرية، كما قامت الجمعية بتأسيس وتفعيل عدة نشاطات اجتماعية وثقافية. وحمل الراية من بعده، السيد احمد عبد النبي الشنطي في شهر تموز ١٩٩٢، الذي سار على خطى سلفه بتفان منقطع النظير على حساب وقت اسرته، وقد استطاع باريحيته وطيبته ان يقنع اهل القرية بشراء قطعة ارض تقدر بحوالي ٦٠٠ متر مربع، وبقيمة خمسة عشر الف دينار، في موقع متوسط من شارع اليرموك (وادي الرمم)، في منطقة متوسطة من سكنى معظم اهل البلد. وقد تسابق اهل القرية بالتبرع لاقامة بناء دائم للجمعية على تلك القطعة، وضرب اهل القرية المثل الاعلى في السخاء. كل حسب طاقته، وقد تبرع

الحاج عبد الحفيظ طالب الحيت وحده لهذا الفرض بتسعة الاف دينار، كما تبرع خمسة وعشرون اخرون بمبلغ خمسمائة دينار عن كل شخص، كما قام الخيرون منهم بتسوية الارض الصخرية المائلة وازالة الطمم، وتقديم الحصمة للمشروع مجاناً. ويتألف المشروع المزمع اقامته من عدة طوابق، مساحة كل طابق ٣٠٢ متر مربع. ويدير شؤون الجمعية في هذا الوقت رئيسها الحالي الاستاذ بهجت اسماعيل سليمان قطيفان، الذي استطاع بجده ان يقيم الطابق الثاني، ويعمل الان على تشطيبه ليكون قاعة اجتماعات لاهل البلد.

وقد وصل كرم بعض اهل القرية ذروته عندما تبرع محمد سليمان داود بمبلغ الف دينار للجمعية امام اهل البلد، وهو قيمة ما قبضه من احدى شركات التأمين عن ولده المرحوم مأمون ١٧ عاماً الذي توفي بحادث سيارة، هذا عدا عن عمل الياته وجرافاته وتقديمه الحصمة مجاناً كباقي اصحاب الكسارات الكرماء من اهل القرية، وقد طلب تخصيص مصلى داخل الجمعية يحمل اسم ولده المأمون.

يبلغ عدد الاعضاء المنتسبين لجمعية الزيتون النبالي حتى الان ١٥٥٠ عضواً، وتمارس في مقرها المؤقت نشاطات عديدة، منها عيادة صحية ودار للزكاة واخرى لكفالة اليتيم، كما توجد فيها اقسام لتدريب الخياطة التريكو والتجميل وتنسيق الزهور والحفر على الزجاج والمرايا، كما قامت بعمل عدة بازارات خيرية عرضت فيها جميع انواع المطرزات والاشغال اليدوية التي تعبر عن التراث الشعبي الوطني بشكل عام والقرية بشكل خاص. كما تقدم للمواطنين اسبوعياً يوماً طبياً خيرياً مجاناً، وتساعد الطلبة في الحصول على منح دراسية واعفاءات جزئية من رسوم الجامعات وكليات المجتمع لبعض الطلبة من المجتمع المحلي، وبذلك اصبحت هذه الجمعية رمزاً لوحدة اهل القرية، وامتحاناً ناجحاً لمدى قوة تماسكهم



وترابطهم وتكيفهم مع اصعب الظروف. كما تمكن اهل القرية المقيمون في مدينة الزرقاء من تأسيس ديوان اهالي بيت نبالا عام ١٩٩٠، ومقره قرب قصر شبيب، اضافة الى عضويتهم في الجمعية، حيث يجمعهم في المناسبات المختلفة.

اما الغصن الثاني فقد كان جمعية بيت نبالا الخيرية في رام الله التي تم تأسيسها عام ١٩٩٦ حيث تم في ذلك العام انتخاب مجلس من ٣٥ عضواً يكون بمثابة الهيئة الموجهة للهيئة الادارية. ويرأس المجلس السيد مصطفى خدش. اما الهيئة الادارية فمكونة من ٩ اشخاص ويرأس هذه الهيئة حالياً السيد عبدالله سلامة. تولي الجمعية اهمية خاصة لشؤون اهل بيت نبالا المتمركزين بالاساس في محافظة رام الله، وتمارس العديد من النشاطات ذات الطابع الاجتماعي والثقافي والتعليمي، من حيث الاشراف على النشاطات الثقافية والفنية الخاصة بأهل البلدة، والاهتمام بالتعليم، ورعاية وتكريم الطلبة والمعلمين، وكذلك رعاية شؤون العائلات النبالية المستورة.

وقد تبنت الجمعية مشروعاً كبيراً وهو احياء ذكرى مرور خمسين عاماً على الرحيل من القرية وذلك ما بين ١١-١٢/٧/١٩٩٨. وقد تم احياء المناسبة في مدينة رام الله بالبداً بمسيرة طافت الشارع الرئيسي للمدينة شارك فيها العشرات من اهل القرية، ثم اقيمت في غرفة تجارة رام الله وعلى مدى يومين العديد من النشاطات الثقافية من دراسات عن الحياة التعليمية والاقتصادية والاجتماعية في القرية والوضع العام للاجئين، كما تم عرض افلام عن القرية وافتتاح معرض تراث خاص بالحياة في بيت نبالا، عرضت فيه مقتنيات اهل القرية الاثرية الفنية من لباس وادوات منزلية وزراعية، وكما عرضت العديد من الوثائق التاريخية.

مقدمة الفصل الأول

١٩٦٥

# الهوامش والمصادر



## هوامش الفصل الاول

- ١- Hadawi, sami, Village Statistics 1945, P.L.O, Research Center - P.66 Beirut 1970
- ٢- الموسوعة الفلسطينية - القسم العام، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، عام ١٩٨٤، ص ٤٦٦.
- ٣- النمر، عباس، قرية بيت نبالا، جريدة القدس تاريخ ١٩/٤/١٩٩٥، ص ١٢.
- ٤- Picard, L.Y & Golani U : Israel - Geological Map Northern Sheet Scale 1:250,000. Survey of Israel - 1992.
- ٥- الموسوعة الفلسطينية - القسم الثاني - الدراسات الخاصة. المجلد الاول عياد، عبد القادر الدراسات الجغرافية، هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت ١٩٩٠، ص ٣٣، ٣٥.
- ٦- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام مرجع سابق ص ص ٥٩٥، ٥٩٦.
- ٧- موسوعة المدن الفلسطينية، الخطيب، حامد. مدينة الرملة. دائرة الثقافة. م.ت.ف، دمشق، ١٩٩٠، ص ٣٣٦.
- ٨- Statistical Abstract of Israel, No 19. Centre Bureau of Statistics. Jerusalem. 1968. P.P. 6-9
- ٩- هداوي، سامي. مرجع سابق بالانجليزية ص ١١٤.
- ١٠- موسوعة المدن الفلسطينية. مرجع سابق، ص ٣٣٨.
- ١١- الموسوعة الفلسطينية، القسم العام، مرجع سابق. الجزء الاول ص ١٤.

## هوامش الفصل الثاني

- ١- النمر، عباس، مرجع سابق.

٢-Howard M. Sachar : The Emergence of the Middle East. 1914 - 1924. Allen Lane - The Penguin Press, London, 1969, P. 240.

٣- صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها ١٩١٤-١٩٢٠. جمعية الدراسات العربية، القدس ١٩٨٢، ص. ١٤٨

٤- النمر، عباس، مرجع سابق

٥- الغوري، اميل : ١٥ ايار ١٩٤٨ "دراسة سياسية عملية مركزة عن الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين : دار النشر العربي، بيروت ١٩٥٩، ص. ٧٣.

### هوامش الفصل الثالث

١- الحزماوي، محمد ماجد صلاح الدين. ملكية الاراضي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨ مؤسسة الاسوار - عكا، ١٩٩٨. ص ٢٧.

٢- الحزماوي، مرجع سابق ص ٩

٣- الحزماوي، مرجع سابق ص ٢٧

٤- Wolf - Dieter Hutteroth, Kamal Abdul Fatah. Historical Geography of Palestine, Transjordan and South Syria in the late 16<sup>th</sup> Century. Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen - 1977. P. 153

٥- هداوي - مرجع سابق ص ٦٦

٦- هداوي مرجع سابق ص ١١٤

٧- النمر، عباس، مرجع سابق

٨- هداوي مرجع سابق، ص ١١٤



## هوامش الفصل الرابع

- ١- Wolf - Dieter Hutteroth, Kamal Abdul Fatah. OP. Cit. P. 153
- ٢- Report and General Abstracts of the Census of 1922. Palestine. Greek Convent press. Jerusalem 1923. P.22
- ٣- Mills, E. Editor Census of Palestine 1931. Population of Villages and Towns and Administrative Areas. Jerusalem 1932. P. 18
- ٤- Hadawi, Sami, Village Statistics 1945. Op. cit. P. 66
- ٥- النمر، عباس، مرجع سابق
- ٦- المنجد في الاعلام، دار المشرق. الطبعة السابعة. بيروت ١٩٧٣ ص ٢٣٢.
- ٧- احصاء نفوس فلسطين بسنة ١٩٣١. مرجع سابق ص ١٨.
- ٨- هداوي، سامي، احصائيات القرى، مرجع سابق ص ١٦٤.
- ٩- الموسوعة الفلسطينية القسم العام. مرجع سابق ص ٤٦٦.
- ١٠- النمر، عباس، مرجع سابق

## هوامش الفصل الخامس

- ١- موسى، سليمان، ايام لا تنسى، الاردن في حرب ١٩٤٨ الطبعة الاولى، تشرين الاول ١٩٨٢ مطابع القوات المسلحة الاردنية، عمان - الاردن. ص ٣٤٩.
- ٢- المرجع السابق نفسه ص ٣٦٦.
- ٣- المرجع السابق نفسه ص ٣٦٩.

٤- موريس، بنى، طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين، وثيقة اسرائيلية.  
ترجمة دار الجليل للنشر، عمان سنة ١٩٩٣. ص ٣٠٥، ٦٠٥.

٥- المرجع السابق نفسه ص ١٥٦، ١٥٧.



## قائمة المصادر والمراجع بالعربية

- ١- د. الحزماوي، محمد، ملكية الاراضي في فلسطين ١٩١٨ - ١٩٤٨. مؤسسة الاسوار - عكا ١٩٩٨.
- ٢- الخالدي، وليد. كي لاننسى. قرى فلسطين التي دمرتها اسرائيل. مؤسسة الدراسات الفلسطينية - بيروت ١٩٩٧.
- ٣- الدباغ، مصطفى. بلادنا فلسطين. دار الهدى - كفر قرع ١٩٩١.
- ٤- رافق، عبد الكريم. "فلسطين في عهد العثمانيين". الموسوعة الفلسطينية، الدراسات الخاصة، المجلد الثاني. هيئة الموسوعة الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٠.
- ٥- صبري، بهجت، فلسطين خلال الحرب العالمية الاولى وما بعدها ١٩١٤ - ١٩٢٠. جمعية الدراسات العربية، القدس ١٩٨٢.
- ٦- العارف، عارف. نكبة فلسطين والفردوس المفقود. دار الهدى - كفر قرع.
- ٧- الغوري، اميل : ١٥ ايار ١٩٤٨ "دراسة سياسية عملية مركزة عن الاسباب الحقيقية لنكبة فلسطين : دار النشر العربي، بيروت ١٩٥٩.
- ٨- موريس، بني. طرد الفلسطينيين وولادة مشكلة اللاجئين. وثيقة اسرائيلية. دار الجليل للنشر والابحاث الفلسطينية، عمان ١٩٩٣.
- ٩- مؤسسة الدراسات العربية. حرب فلسطين ١٩٤٧ - ١٩٤٨ : الرواية الاسرائيلية الرسمية. ترجمة احمد خليفة. شركة الخدمات النشرية المستقلة. قبرص - ١٩٨٤.
- ١٠- الموسوعة الفلسطينية - القسم العام، هيئة الموسوعة الفلسطينية، دمشق، عام ١٩٨٤.

- ١١- موسوعة المدن الفلسطينية، الخطيب، حامد. مدينة الرملة. دائرة الثقافة. م.ت.ف، دمشق، ١٩٩٠.
- ١٢- موسى، سليمان، ايام لا تنسى، الاردن في حرب ١٩٤٨ الطبعة الاولى، تشرين الاول ١٩٨٢ مطابع القوات المسلحة الاردنية، عمان - الاردن.
- ١٣- النمر، عباس، قرية بيت نبالا، جريدة القدس تاريخ ١٩/٤/١٩٩٥.

### قائمة المصادر والمراجع بالانجليزية

- 1- Hadawi, sami, Village Statistics 1945, P.L.O, Research Center Beirut 1970
- 2- Howard M. Sachar : The Emergence of the Middle East. 1914 - 1924. Allen Lane - The Penguinn Press, London, 1969.
- 3- Mills, E. Editor Census of Palsetine 1931. Populotion of Villages and Towns and Administrave Areas. Jerusalem 1932.
- 4- Report and General Abstracts of the Census of 1922. Palestine. Greek Convent press. Jerusalem 1923.
- 5- Statistical Abstract of Israel, No 19. Centre Bureau of Statistics. Jerusalem. 1968.
- 6- Wolf - Dieter Hutteroth, Kamal Abdul Fatah. Historical Geography of Palestine, Transjordan and South Syria in the late 16<sup>th</sup> Century. Erlanger Geographische Arbeiten, Erlangen - 1977.



اسماء الرواة

الرقم	اسم الشاهد	عام الولادة	تاريخ المقابلة	ملاحظات
١-	حسن سكيبة	١٩٢٢	١٩٩٥/٥/١٥	في منزل احمد الشنطي
٢-	محمد ذيب عبد الكريم	١٩٣٠	١٩٩٥/٦/١٣	في منزله
٣-	هاشم محمد خدش	١٩٢٤	١٩٩٥/٦/٢٥	في منزله
٤-	الحاج حمودة شحادة	١٩١٤	١٩٩٥/٧/١٥	في منزله
٥-	صالح عابد	١٩١٧	١٩٩٥/٧/٢٤	في منزله
٦-	صالح عابد	١٩١٧	١٩٩٥/٨/٢٥	في منزله
٧-	امنة احمد العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/١٠/٢	في منزله
٨-	امنة احمد العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/١١/٥	في منزله
٩-	امنة احمد العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٥/١١/٢٥	في منزله
١٠-	احمد سليمان داود	١٩٢٢	١٩٩٦/١/٥	في منزله
١١-	امنة العيشاوي	١٩٢٠	١٩٩٦/٣/٥	في منزله
١٢-	محمد سليمان داود	١٩٣٣	١٩٩٦/٣/٨	في منزله
١٣-	احمد الشنطي	١٩٤٥	١٩٩٦/٣/١٢	في منزله
١٤-	محمود مسعود خالد صافي	١٩٢٤	١٩٩٨/٦/١٢	في منزله
١٥-	عيسى عبد الرحيم مبارك	١٩٣١	١٩٩٨/٦/١٢	في منزل محمود مسعود



# فلسطين

سلسلة خرائط موضوعات فلسطينية

خريطة رقم ١ القرى المدمرة ١٩٤٨-١٩٤٩

قرية مدمرة

قرية سليمة

تجمع

سما

اعداد: دكتور كمال عبد الفتاح

جامعة بيرزيت

مركز الوثائق والاعمال

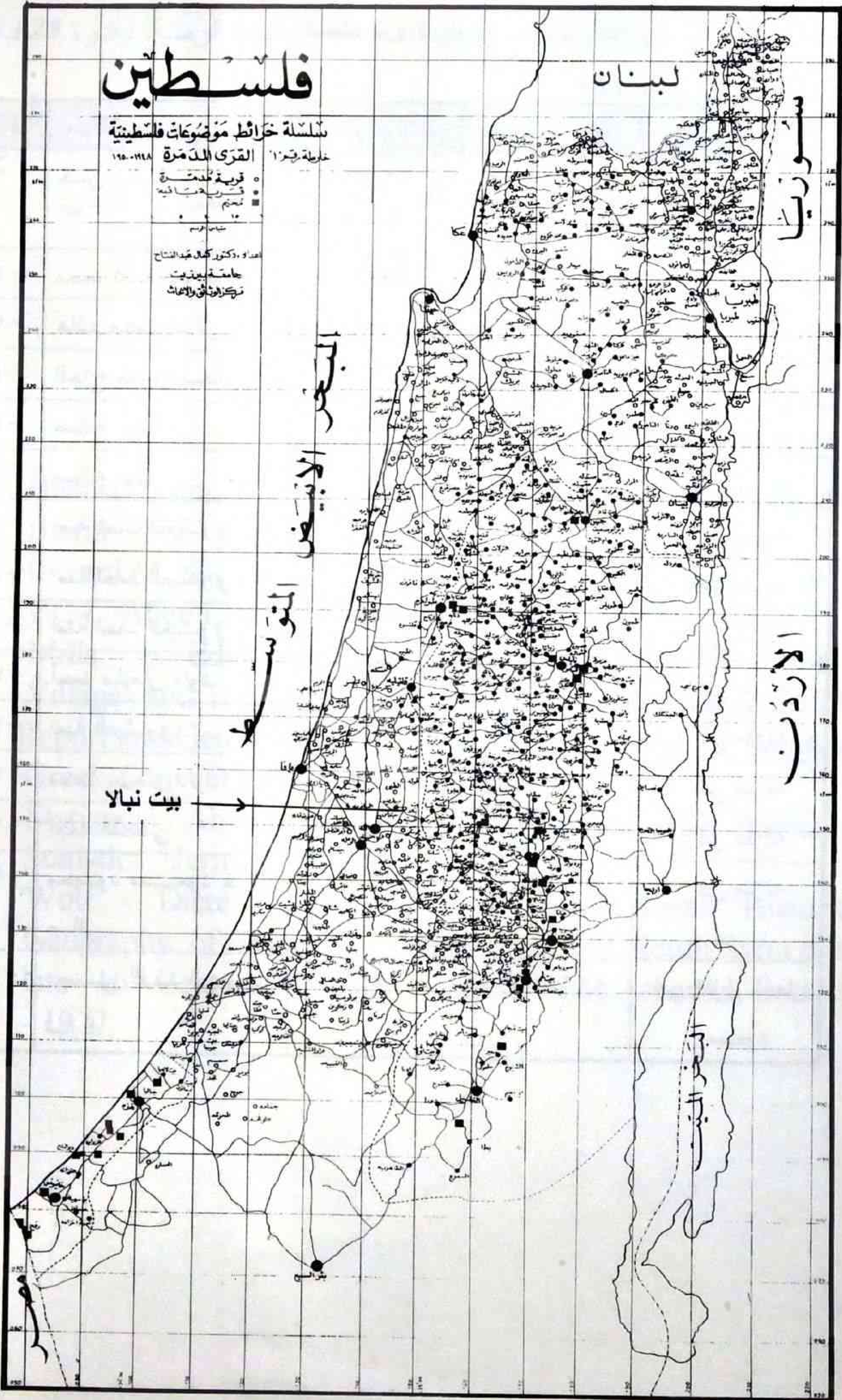
لبنان

سوريا

البحر الأبيض المتوسط

الأردن

بيت نبلا





# صور ووثائق



صورة الغلاف مدرسة بيت نبالا عام ١٩٤٦م

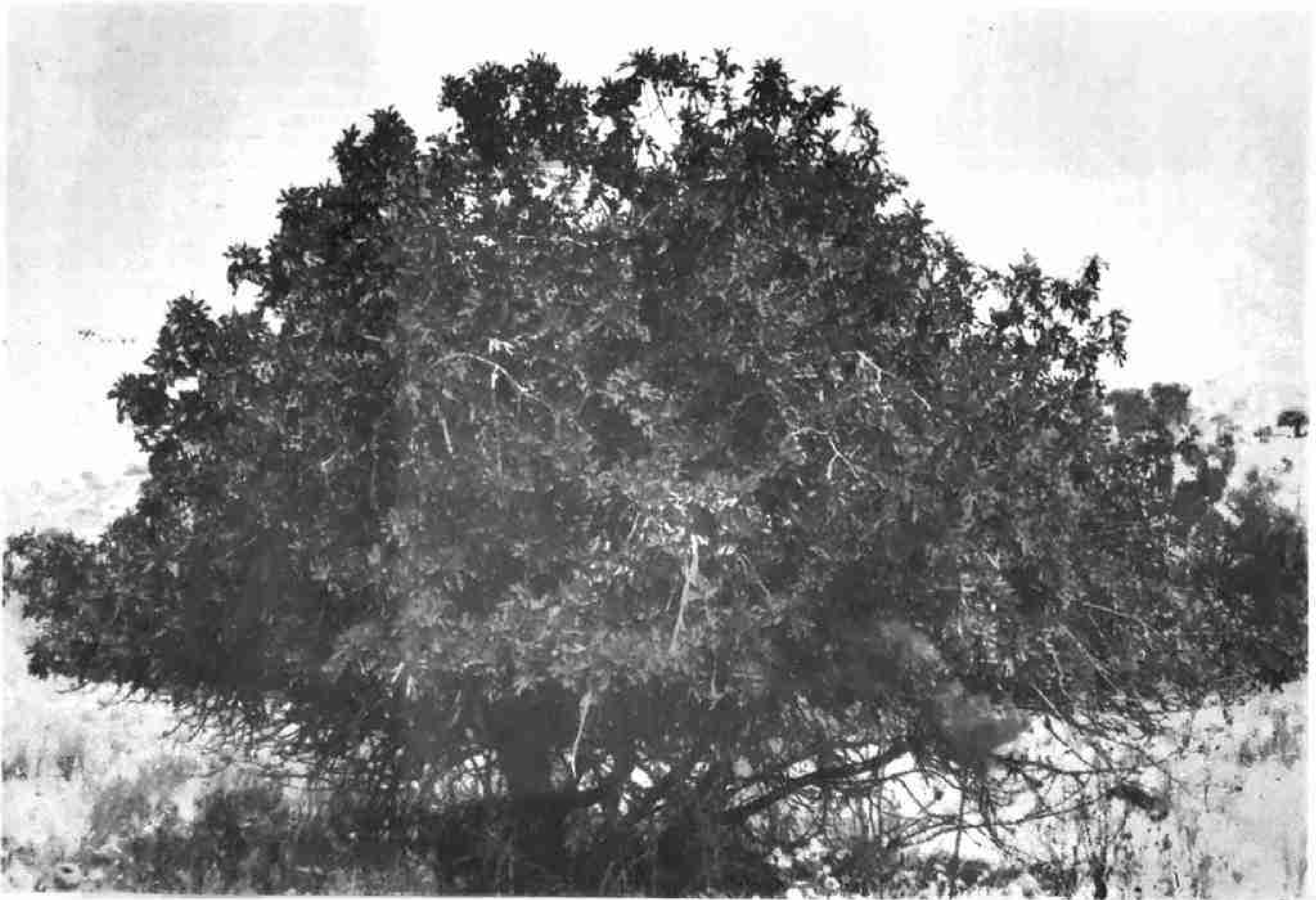


صورة الجناح الشرقي المتبقي من مدرسة بيت نبالا.





صورة مكان المحاجر والكسارات في بيت نبالا



ما تبقى من أشجار التين على أراضي بيت نبالا.



مغارة سلام في أراضي بيت نبالا

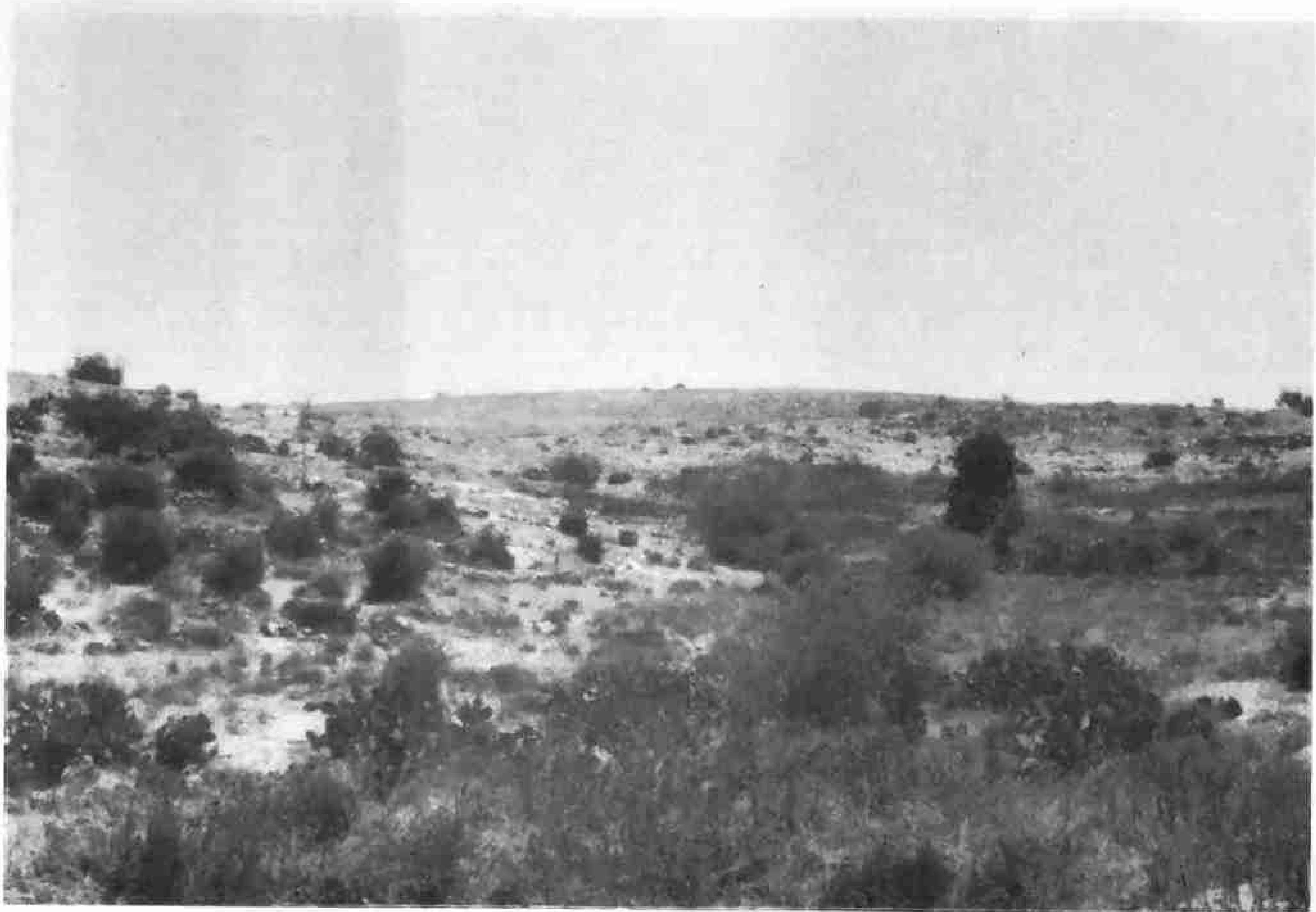


صورة بئر ماء على أراضي القرية.





الدهلينز أو البد وهو من آثار بيت نبالا.



منظر عام لوادي كريكعة في شرقي القرية.



صورة مختير القرية الثالث عام ١٩٣٣ وهم بالترتيب: محمد عساف صافي، الحاج محمود حسين زيد، حسين خليل يوسف.





صورة فاطمة محمود وهي في الزي الشعبي النبالي.



صورة ما تبقى من نبات الصبار على أراضي القرية.



تلة مقابلة لمغارة سلام وتظهر فيها بعض مزروعات القرية مثل الزيتون والصبر والتين.



449

# Game Preservation Ordinance, 1924.

No. 49606

قانون وقاية الصيد لسنة ١٩٢٤  
مكمل له ص ٢

الرسم جنبه فلسطيني واحد  
Fee £P. 1.00

Serial No. Year 1948

## LICENCE TO HUNT GAME IN PALESTINE.

(Name) Beit Mahala residing at Beit Mahala is hereby licensed to hunt Game, including not more than two Gazelles, subject to the provisions of the Game Preservation Ordinance, 1924, and any regulations made thereunder.

This licence expires on the 31st day of December, 19 48

Provision of this licence does not exempt the holder from obtaining a firearm licence.

Given this 21st day of December, 19 48 (Signed) [Signature] District Commissioner.

(1) Guarantor's name Address  
(2) Guarantor's name Address

Attention is drawn to the provisions of the Game Preservation Ordinance, 1924, extracts of which are set forth on the back hereof.

١١٩٢٤

رخصة بصيد الطيور والحيوانات في فلسطين

قد رخص (الاسم) المقيم في

ان يصيد صيداً على ان لا يزيد ما يصيده من الغزلان على

غزالين اثنين مع سماع احكام قانون وقاية الصيد لسنة ١٩٢٤ واي نظام صادر بوجبه.

تنتهي هذه الرخصة في اليوم الحادي والثلاثين من شهر كانون الاول سنة ١٩

ان جاز هذه الرخصة لا تنق حاليها من الحصول على رخصة بلاح تاري.

١٩ من شهر تجريباً في اليوم التوقيع

(١) اسم الكفيل

(٢) اسم الكفيل

פקודת ההגנה על הציד 1924

רשיון לצוד ציד בפלשתינה (א"י).

מורשה בזה

לצוד בהמות ועופות ציד, ובכללם לא יותר משני צבאים, בהתאם להוראות פקודת ההגנה על הציד 1924, ולחקנות שזוהקטו על פיה.

מועד הרשיון הוא יתם ניום ב-31 בדצמבר 19. רשיון זה אינו פוסר את בעליו מלקבל רשיון מיוחד להחזיק נשק.

19. שנת לחדש ינתן ניום

נציב המבחן (חתום)

שם הערב

הכתבת

שם הערב

הכתבת

מפני כזה את חסותם כל המעוניינים להוראות פקודת ההגנה על הציד 1924 סקציות ממנה היתקף יוצג - לוף תעודת הזאת

رخصة لصيد الطيور والحيوانات بفلسطين، صادرة عام ١٩٢٤م للسيد "حسين يوسف"

٤٤	٤٥
٤٦	٤٧

١٥ ٤٥٤

تقدم الف واربعماية واثنين وخمسة وعشرون

القدر المسمى بمائة مائة من مائة كجمان وثمانون  
 مدخل بنار زيت حريم بيت بناوطة شيخ مارتيم السرم  
 نعمة الشيخ حاوي الف كما بسيرة بالهفروت و  
 بغيره المذبح حار بنور هذه العاصفة

٤٨



صحة الاموال... (faint handwritten text at the bottom of the document)



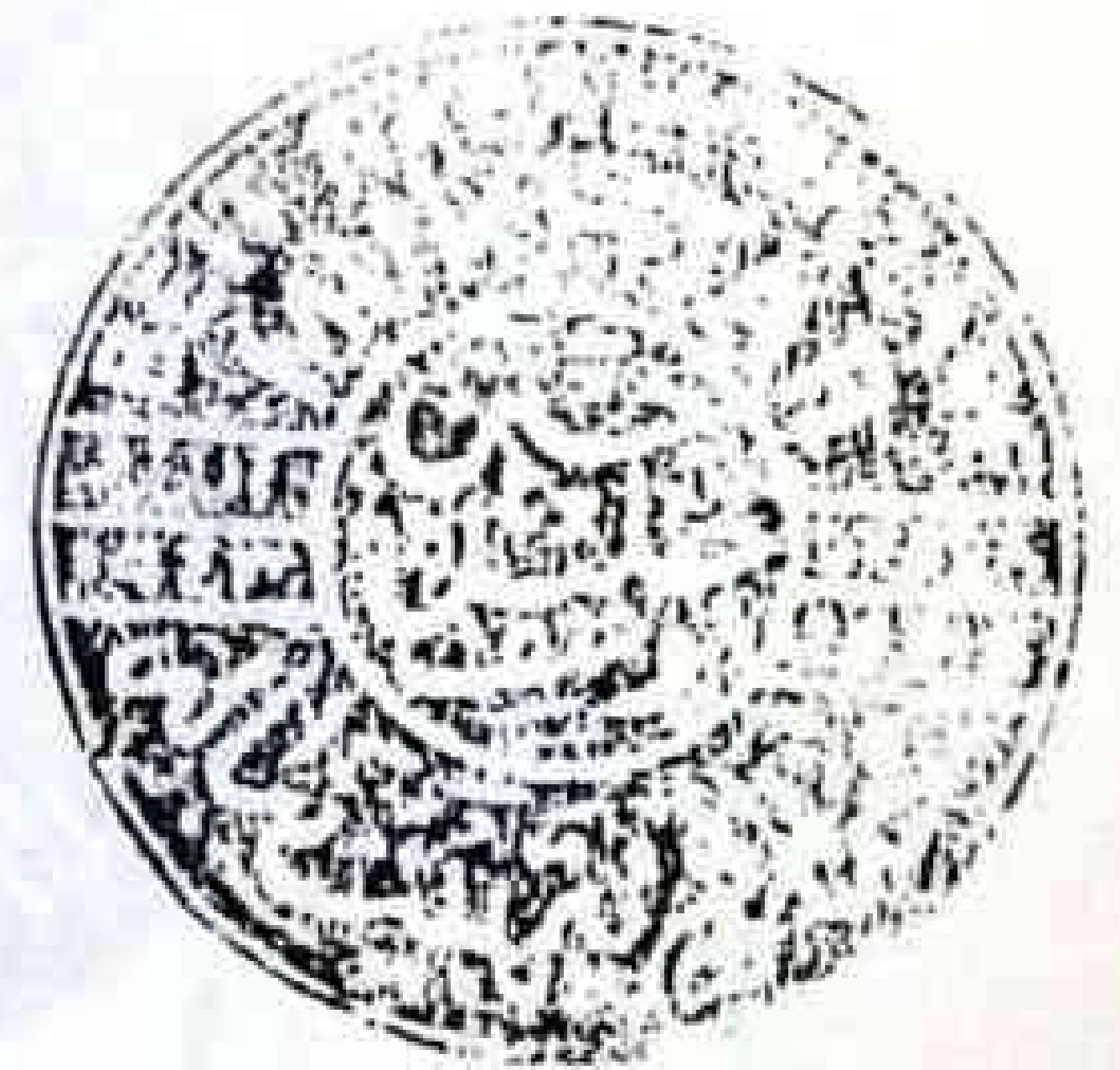
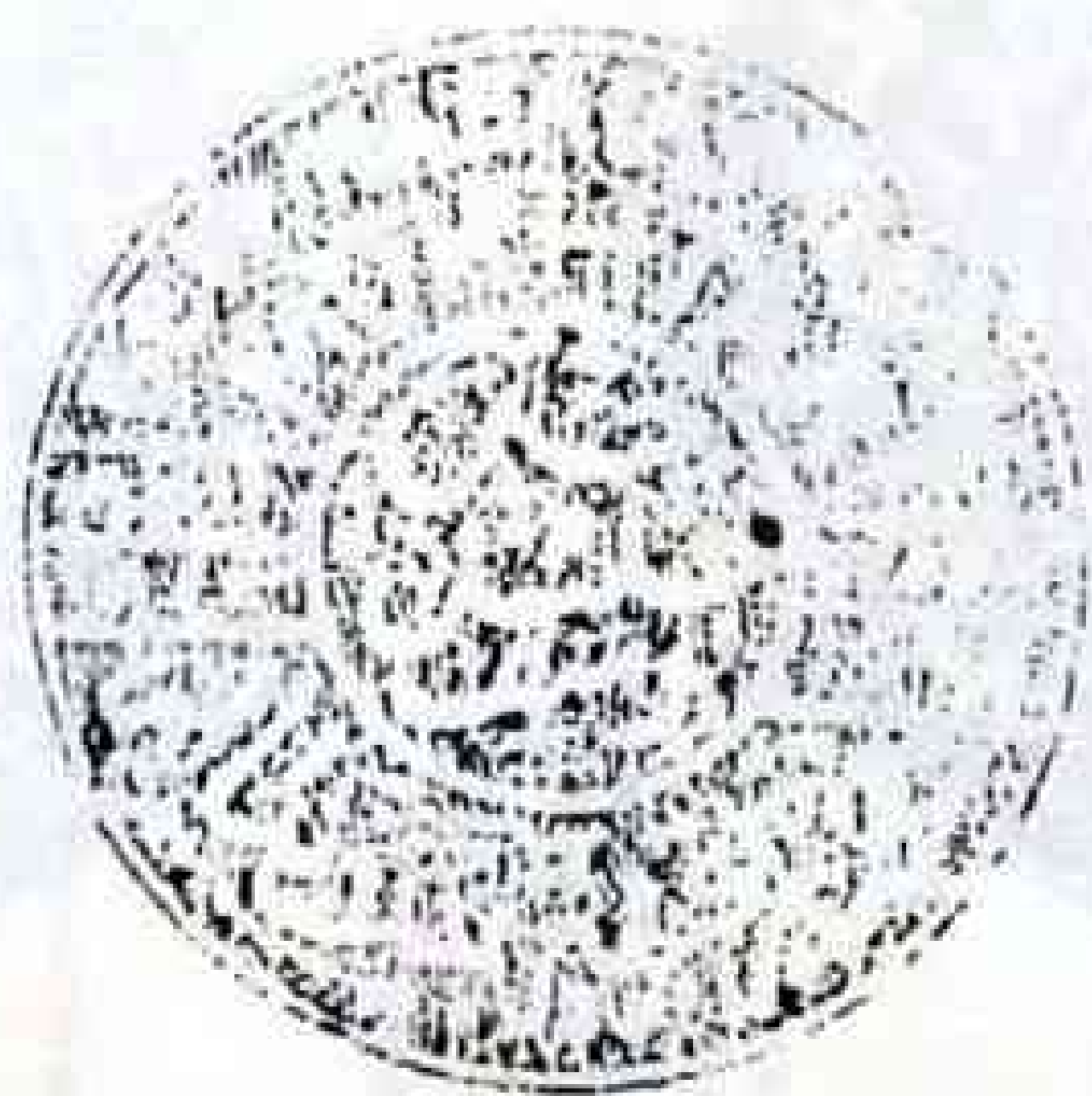
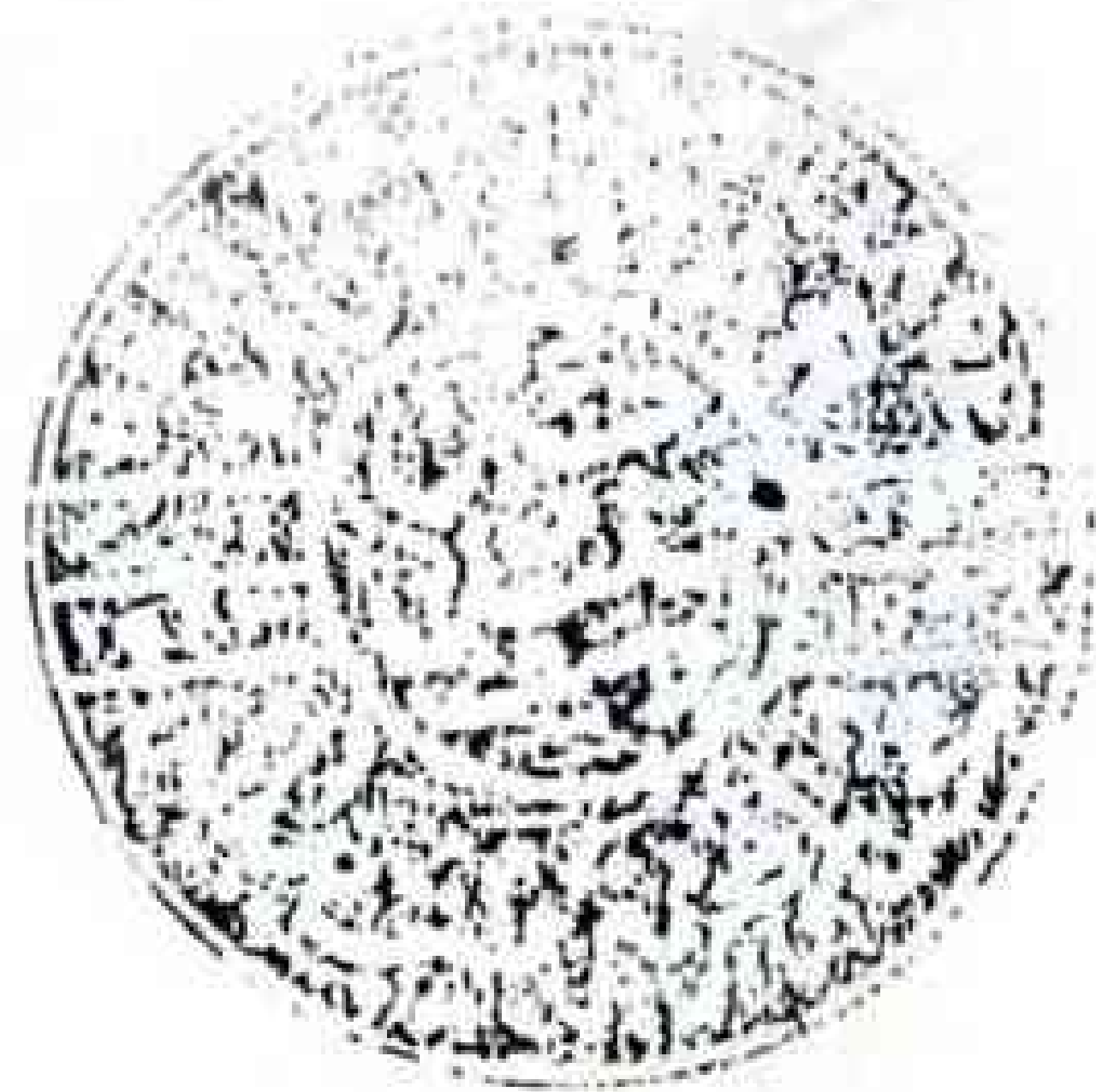
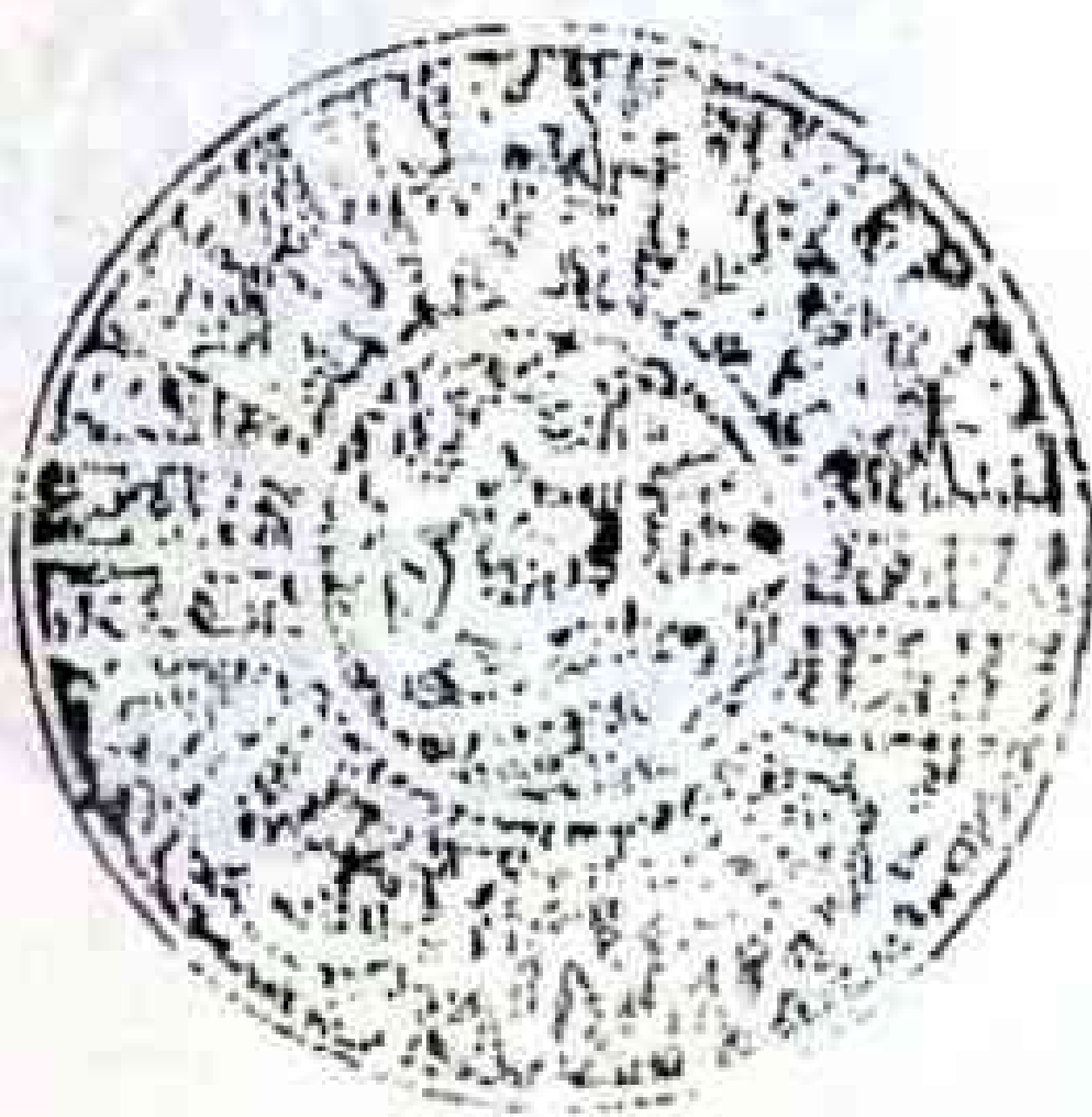
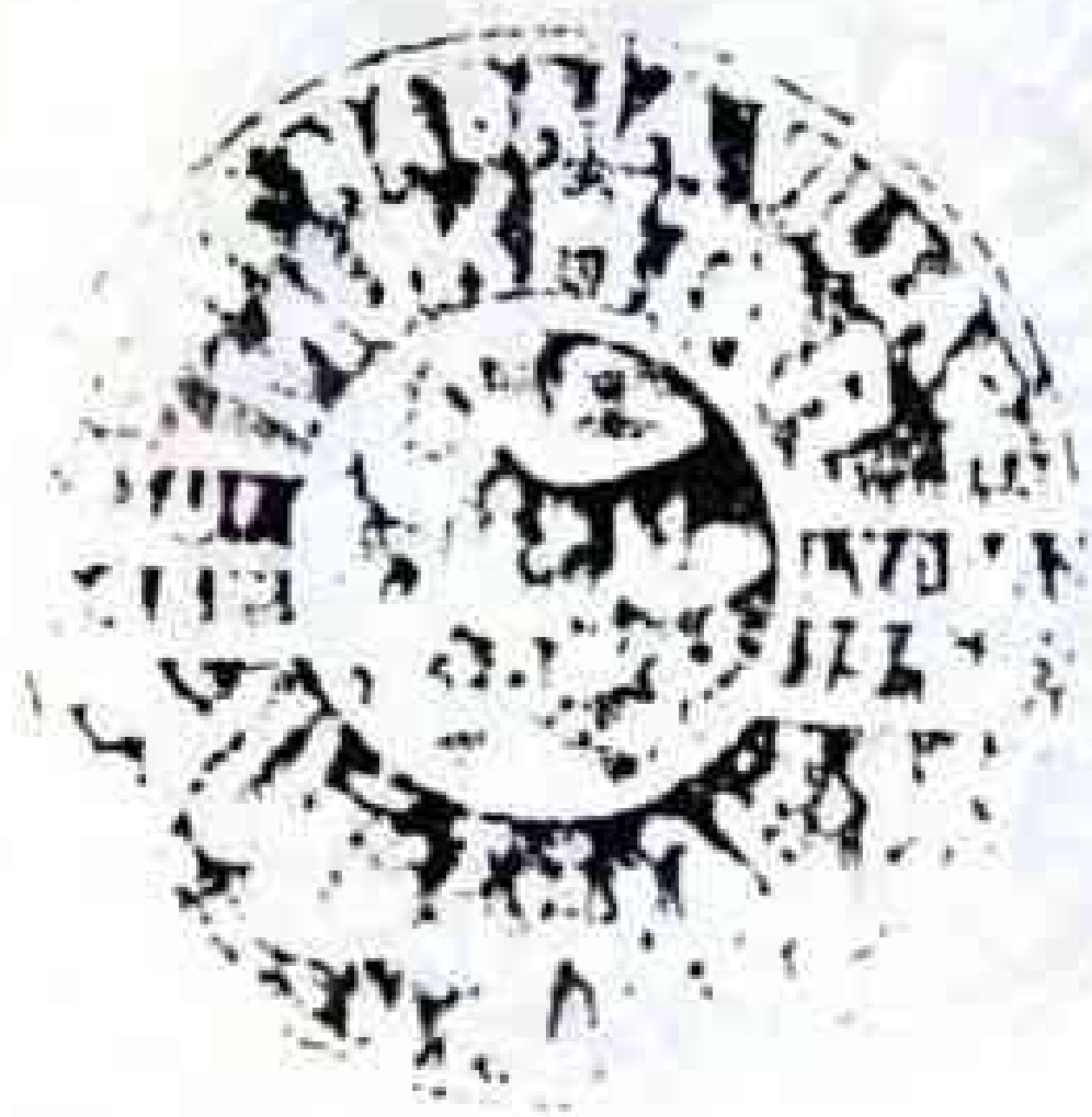


٧  
صورة الختم «هدية من ابنه توري عطا موسى سليمان»



وثيقة رقم ٤ صورة خاتم مختار قرية بيت نابالا "عطا موسى سليمان"





وثيقة رقم ٥ صورة خاتم المختار "حسين خليل يوسف" عام ١٩٤٣م

حصہ صمیمہ صلیل یوسف المحترم - بیت خالہ

لفظ کلنی سدا و صا عد، حکم ان خبرکم بانہ قد روضہ علی عیسیٰ لا شکی بآتی ذکرکم

اعضایاً فی الجلس القروی القریبۃ بیت خالہ ابتداءً سے ۳۳ محترم ۱۹۴۶ -

- ۱ . مصلحتی صافی - رسی ۵ عطا موسی
- ۲ . الحاج محمد کسیمہ نا بیہ
- ۳ . صمیمہ صلیل یوسف
- ۴ . محمد محمود عبید
- ۵ . عبید اللعزیز صالح
- ۶ . صمیمہ صلیل محمور
- ۷ . عبید گادی صمیمہ عبید
- ۸

۱ - انہ الخیرہ قدر اعتمدت علیہم فی غیۃ الاصلی ان اللہ استوی الذینہ - بحر البریۃ  
 الاصولت فی الاصلیات حکم اللزیرہ و فتح علیہم اضمیار کلکومہ . انہ الخیرہ بنی علی الاول حکم اعضاء جلیہم منا صمیمہ  
 کتختیر الخاسر کولیس مختار ) ؛ اصالتیہ الباقونہ قدر صا زوا اکثریۃ الاصولت کل کل واحد منهم یصل صامولتہ  
 فیلورہ والی الخیرۃ کل صامولۃ مثالیہ اسیہ .

۲ - انہ بنو ولیات بلای علی عاتقکم لا یستلانہ بط . علیہم مساجیۃ الامور کل صکرہ و دربیۃ .  
 اصل انہ تکتونوا عنر صمہ ظننا و نرضو بالقریبہ صتی اذا صا رضعتہم سے استواھا تکتونوا قد ادرتہم ضدہ  
 صلی القریبیکم .

۳ - وبالختام ، صفتکم علی هذه اللغه بنتی نلتو صا سے الخیرہ والاصالی وآصل آلہ  
 لتبتوا انتم ملتو صا سے جزارہ و اختتامہ

اللہ اکبر

واقبلوا بہ صترم



GOVERNMENT OF PALESTINE

IN REPLY PLEASE QUOTE

PUBLIC WORKS DEPARTMENT,  
JERUSALEM.

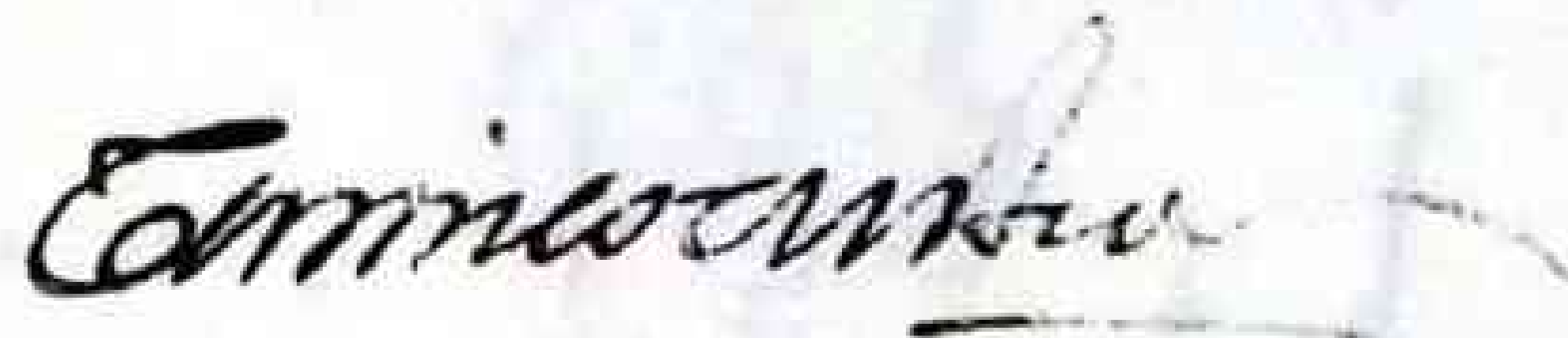
No. 9/1.

August 24, 1941.

Mr. Hssein Khalil.  
-----

Defence Regulations, 1939.

By virtue of the powers vested in me by Regulation 46 of the Defence Regulations, 1939, I hereby order that you are prohibited from moving your stone crusher or any part thereof, from its present site at Beit Nabala, without a permit in writing from me so to do.



DIRECTOR OF PUBLIC WORKS  
COMPETENT AUTHORITY

D4.

GOVERNMENT OF PALESTINE

حكومة فلسطين  
 مמשלת فلسطين (أ.ي.)

No. C

REVENUE TAX RECEIPT

538411

وصل بالضريبة المتحصلة  
 קבלה על מסים

District.....	لواء	Instalment.....	قسط
Sub-District.....	مخارم قضاء	Register No.....	השעור رقم السجل
Village.....	הנפה قرية	Folio No.....	מספר הספר رقم الصفحة
	כפר		מספר הדף

Kind of Taxes نوع الضرائب מין המסים	Arrears البقايا פיגורי תשלומים		Curr. Year السنة الحالية התשלומים הנוכחים		Total المجموع סך הכל	
	L.P. ג.פ. פ"פ(א"י)	Mils מל מיל	L.P. ג.פ. פ"פ(א"י)	Mils מל מיל	L.P. ג.פ. פ"פ(א"י)	Mils מל מיל
House and Land Tax ضريبة المنازل والاراضي מס הבתים והקרקות						
Rural Property Tax ضريبة الاملاك في القرى מס הרכוש החקלאי		1875				1875
Urban Property Tax ضريبة الاملاك في المدن מס הרכוש העירוני						
Animal Tax ضريبة الحيوانات מס הבהמות						
Tithes اعشار מעשרות						
<b>TOTAL</b>						<b>1875</b>

Received from.....

the sum of.....

on a/c of.....

Date.....

Sub-District.....

Signature.....

Received from: وصل من  
 the sum of: مبلغ  
 on a/c of: على حساب  
 Date: التاريخ  
 Sub-District: قضاء  
 Signature: التوقيع  
 Received from: حصل من  
 the sum of: مبلغ  
 on a/c of: على حساب  
 Date: التاريخ  
 Sub-District: قضاء  
 Signature: التوقيع



من سجل الجمعية التعاونية لقرية بيت نبالا، الأصل محفوظ في جمعية بيت نبالا - رام الله

الذي ولد لنا من الوالد في المذكورة اياه انقسم ولطف هذا في غير قبولنا  
 من جهة المراهقين ايضا وانا اخذنا منهم ما بهن بعض نظائرا وقران وراوتر الريه العمومه ربه  
 الاله المشره لم سب قبل المجهه من الوصول. وبنفنا انا فاصفوه جميع الارشادات والعقوبات  
 من اننا نؤلفه مع اياه كونه ملزمه بجميع الغير والمدرسه من فاته ربه بضموم اى امر

رقم السجل	تاريخ الاصل	اسم المضمون واسم والده	مكان الاقامة	الهيئة	عند الاسم	توقيع او ختم او بصمة المضمون	توقيع او ختم او بصمة المضمون	تاريخ الاصل	اسم المضمون الذي سب	توقيع او ختم او بصمة المضمون
١	١٨٨٤	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٨٤	محمد بن علي	محمد بن علي	١٨٨٤	محمد بن علي	محمد بن علي
٢	١٨٨٥	علي بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٨٥	علي بن علي	علي بن علي	١٨٨٥	علي بن علي	علي بن علي
٣	١٨٨٦	عبد الله بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٨٦	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	١٨٨٦	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
٤	١٨٨٧	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٨٧	محمد بن علي	محمد بن علي	١٨٨٧	محمد بن علي	محمد بن علي
٥	١٨٨٨	علي بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٨٨	علي بن علي	علي بن علي	١٨٨٨	علي بن علي	علي بن علي
٦	١٨٨٩	عبد الله بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٨٩	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	١٨٨٩	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
٧	١٨٩٠	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٠	محمد بن علي	محمد بن علي	١٨٩٠	محمد بن علي	محمد بن علي
٨	١٨٩١	علي بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩١	علي بن علي	علي بن علي	١٨٩١	علي بن علي	علي بن علي
٩	١٨٩٢	عبد الله بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٢	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	١٨٩٢	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
١٠	١٨٩٣	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٣	محمد بن علي	محمد بن علي	١٨٩٣	محمد بن علي	محمد بن علي
١١	١٨٩٤	علي بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٤	علي بن علي	علي بن علي	١٨٩٤	علي بن علي	علي بن علي
١٢	١٨٩٥	عبد الله بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٥	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	١٨٩٥	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
١٣	١٨٩٦	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٦	محمد بن علي	محمد بن علي	١٨٩٦	محمد بن علي	محمد بن علي
١٤	١٨٩٧	علي بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٧	علي بن علي	علي بن علي	١٨٩٧	علي بن علي	علي بن علي
١٥	١٨٩٨	عبد الله بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٨	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	١٨٩٨	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
١٦	١٨٩٩	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٨٩٩	محمد بن علي	محمد بن علي	١٨٩٩	محمد بن علي	محمد بن علي
١٧	١٩٠٠	علي بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٩٠٠	علي بن علي	علي بن علي	١٩٠٠	علي بن علي	علي بن علي
١٨	١٩٠١	عبد الله بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٩٠١	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي	١٩٠١	عبد الله بن علي	عبد الله بن علي
١٩	١٩٠٢	محمد بن علي	بيت نبالا	مجلس	١٩٠٢	محمد بن علي	محمد بن علي	١٩٠٢	محمد بن علي	محمد بن علي

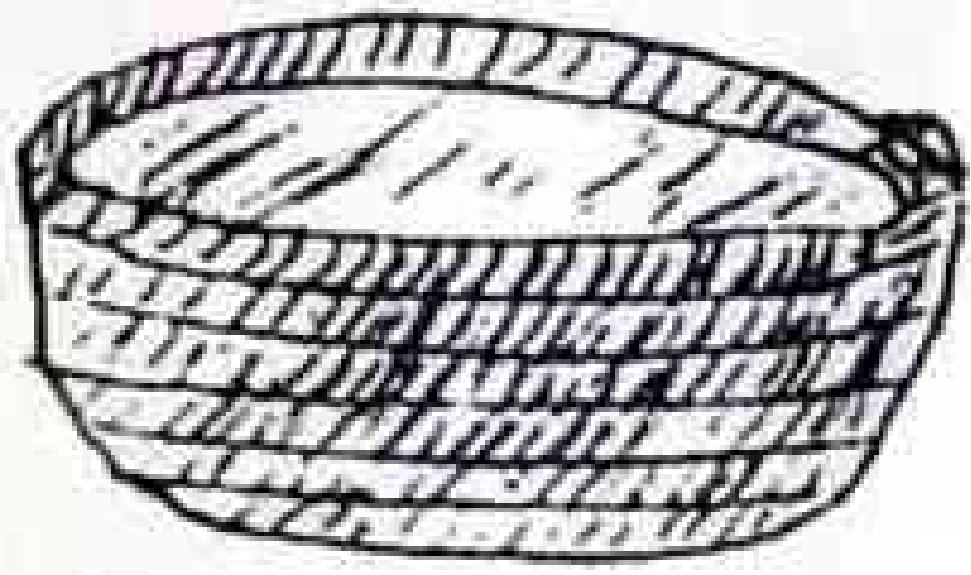






# مصنوعات يدوية تقليدية من بيت نبالا

ادوات خشبية من بيت نبالا



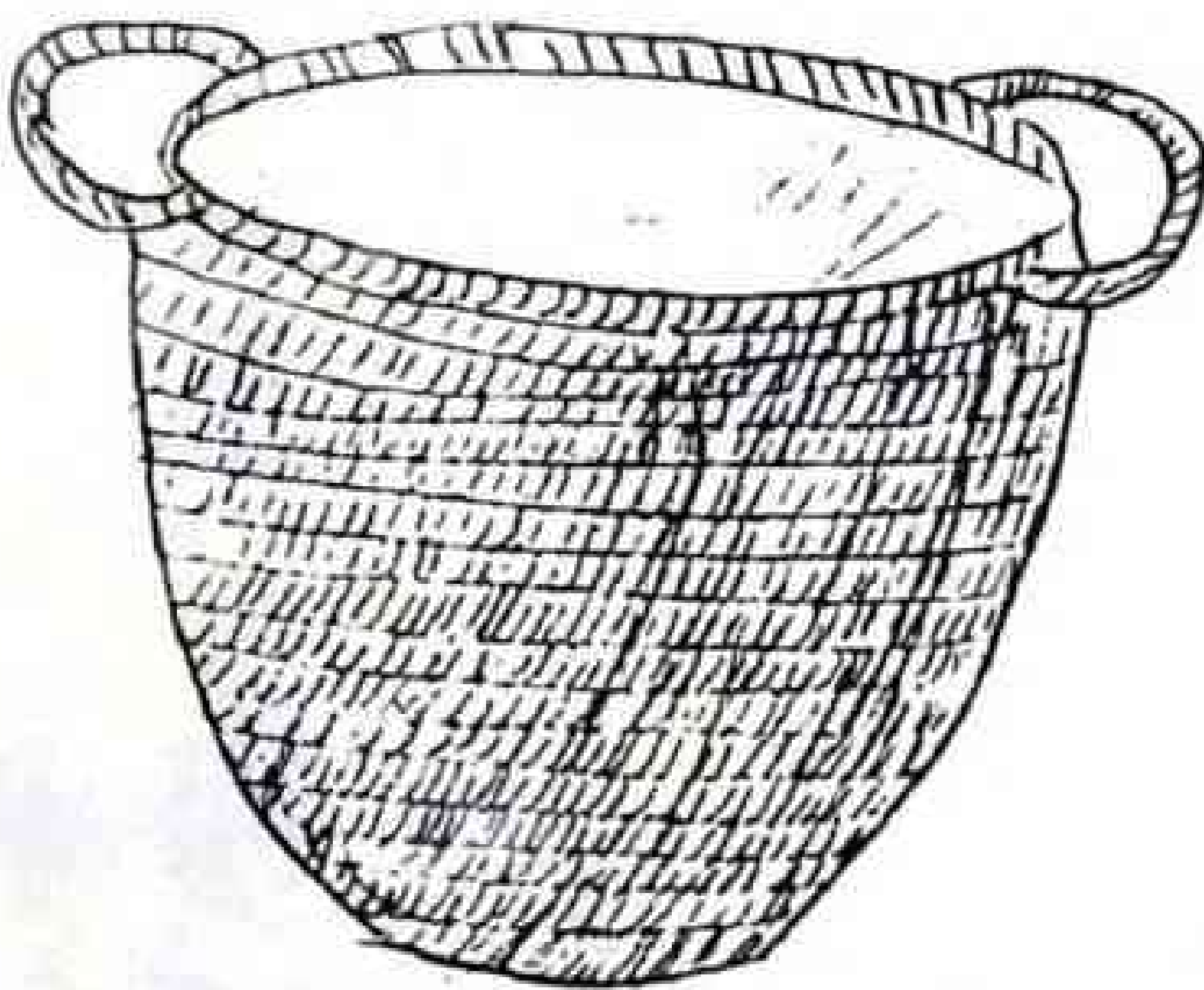
قبة



ملوطة



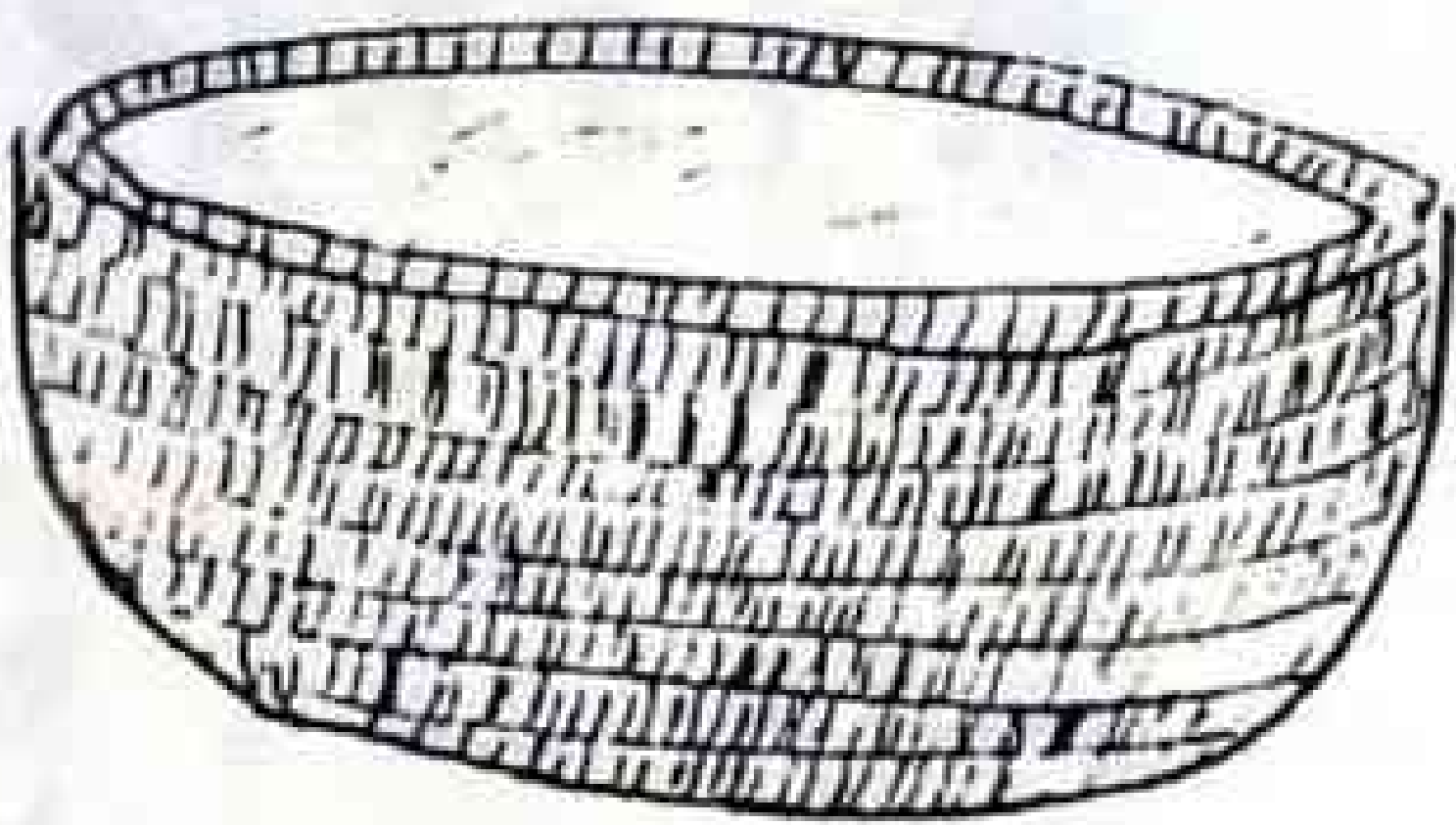
قوم



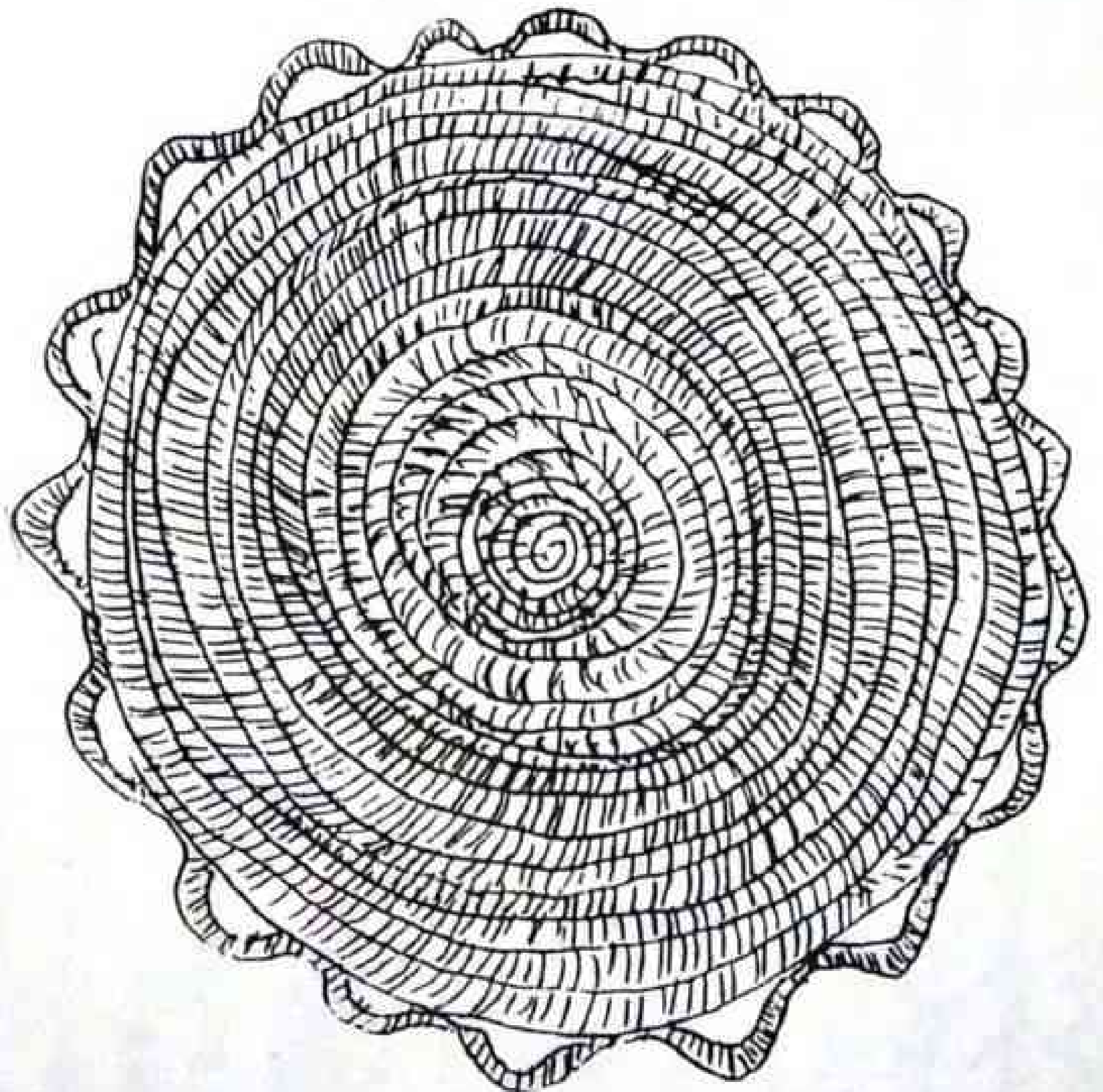
تقف



مونه (مطوية)



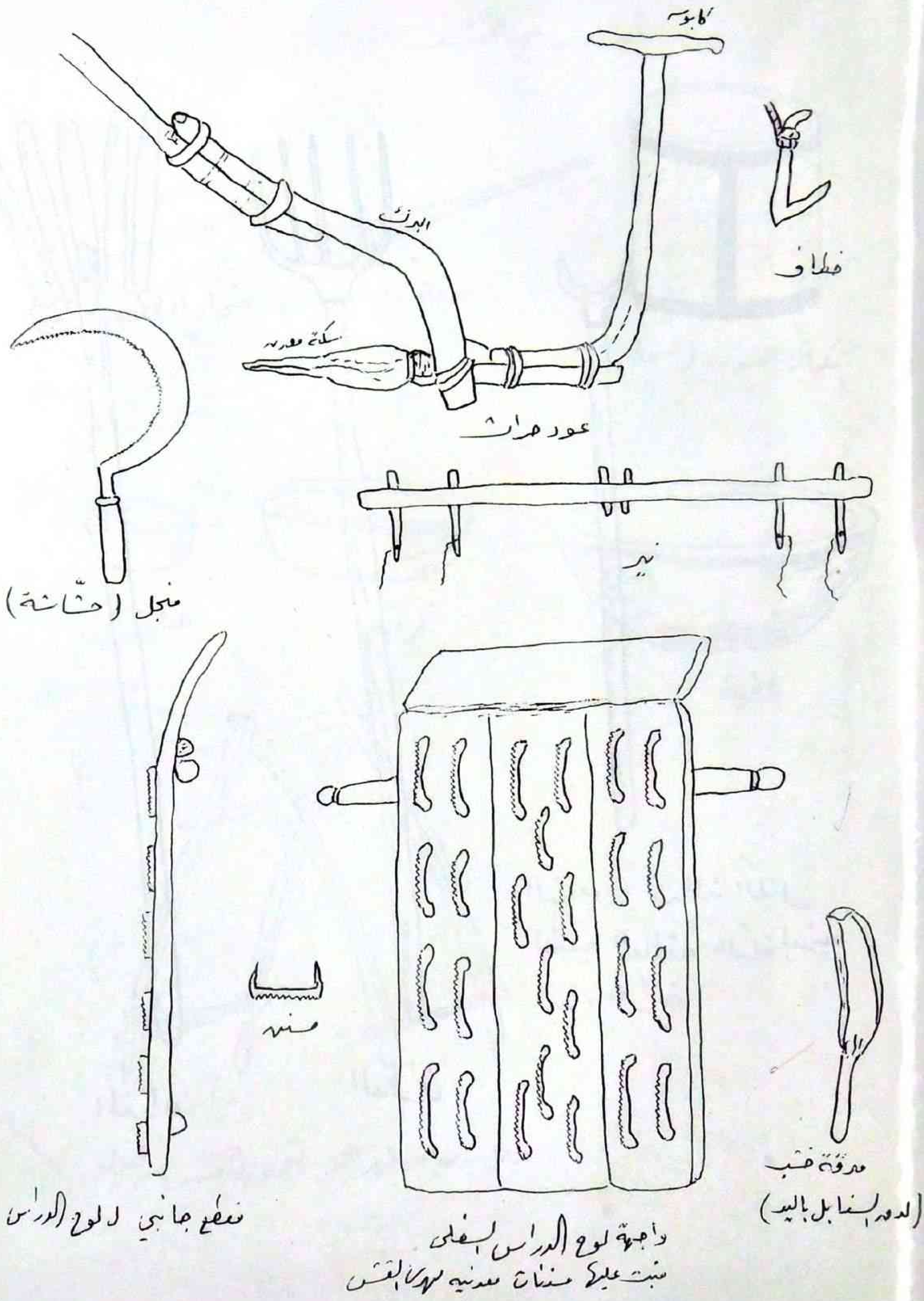
قدح



طبوع

تصميم بعد الدرس في الدرس الثاني

ادوات زراعية من شب الزيبون

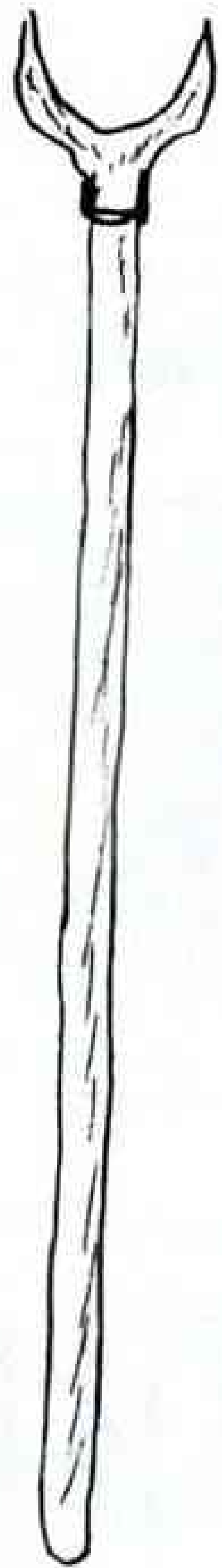


نقح جانبي ل لوح الدراس

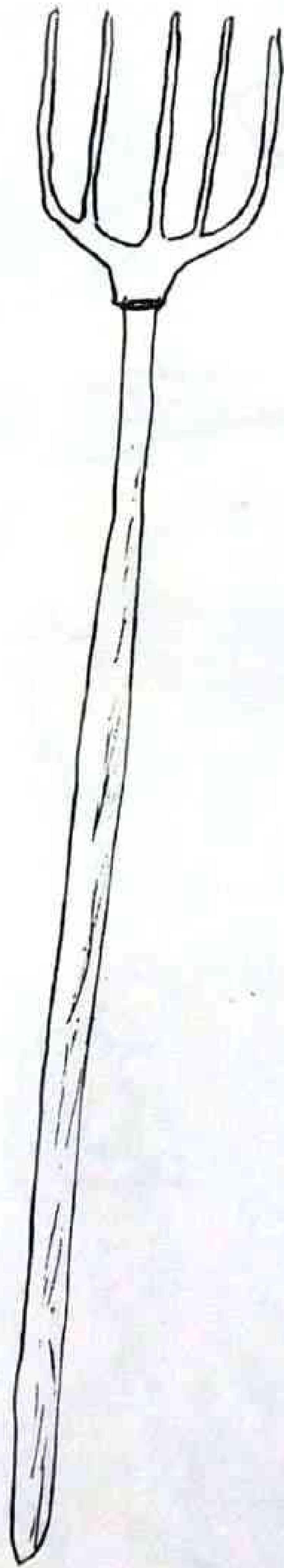
داجة لوح الدراس لفل  
سبت عليه منقحات معدنية لدراس

مدقة شب  
(لده السابل باليد)

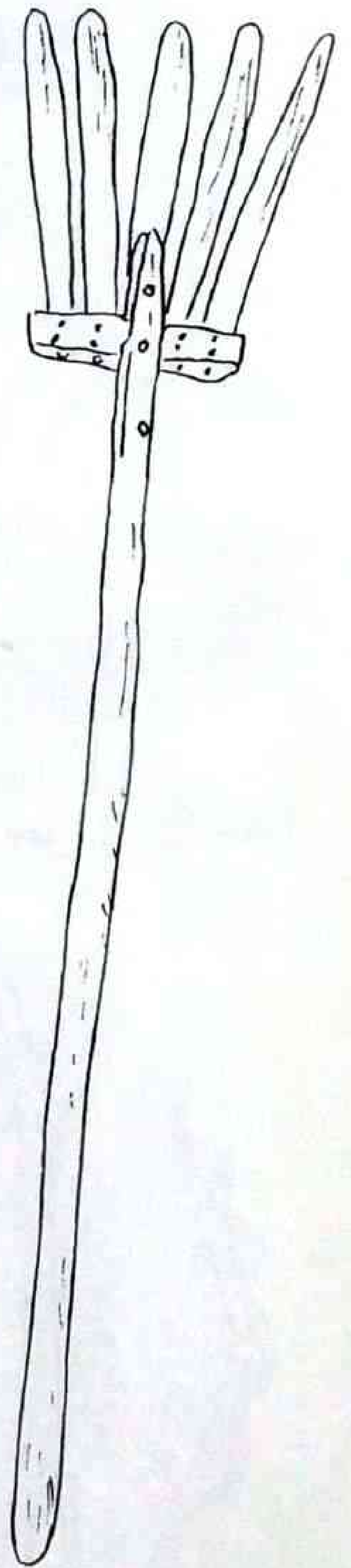




الشعوب لازالة اللؤلؤ  
الطينية العالقة بالكفة لغرضه  
اتناء الحراثة

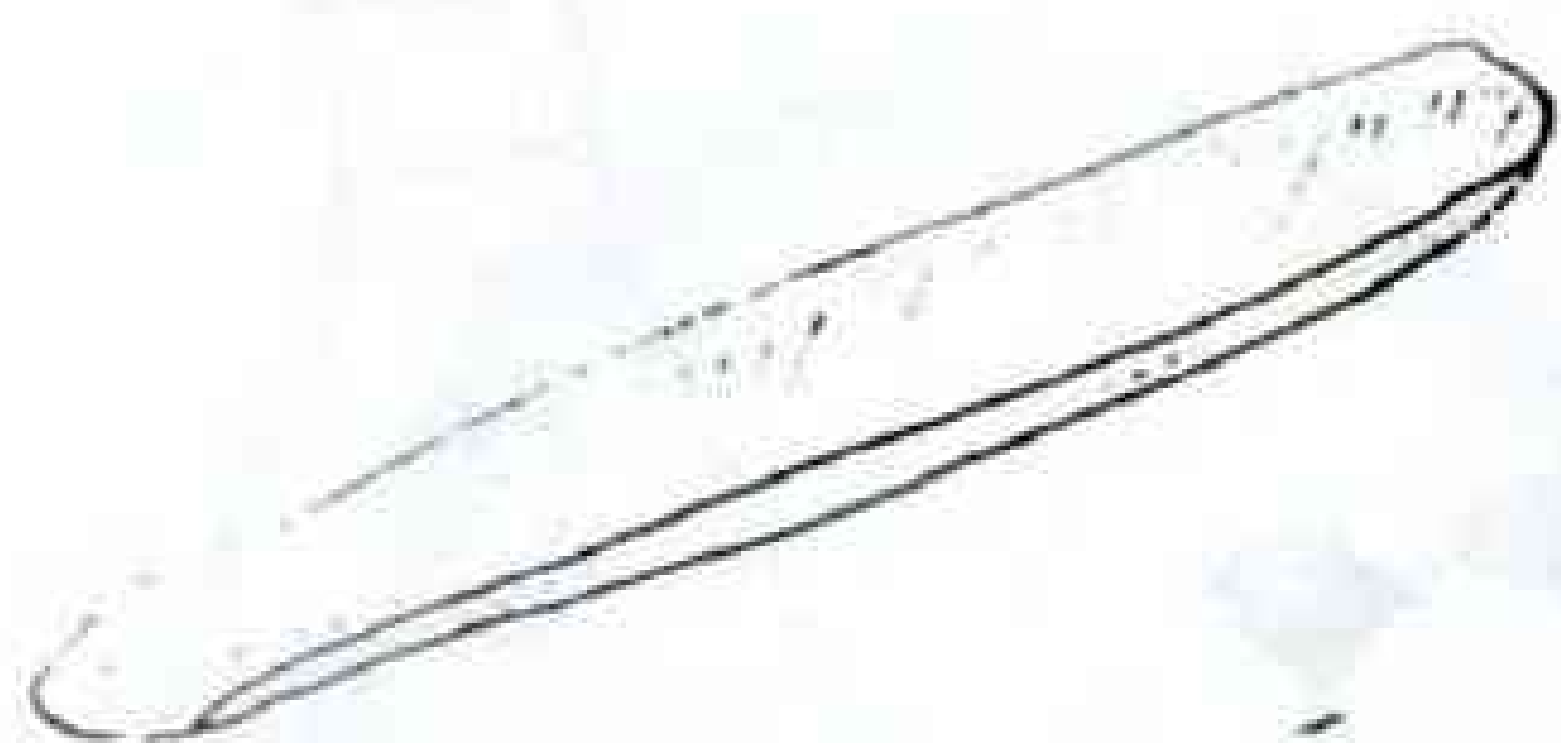


الدقران

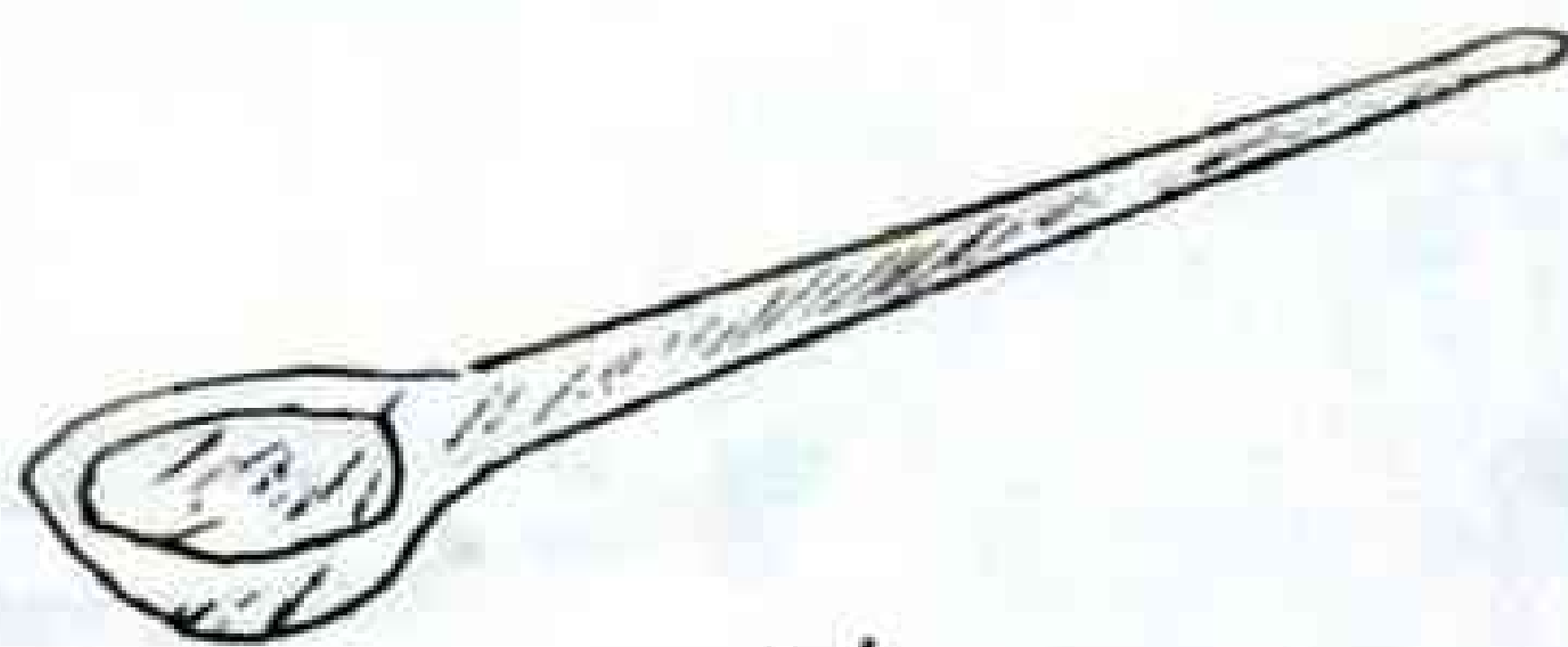


المذراه

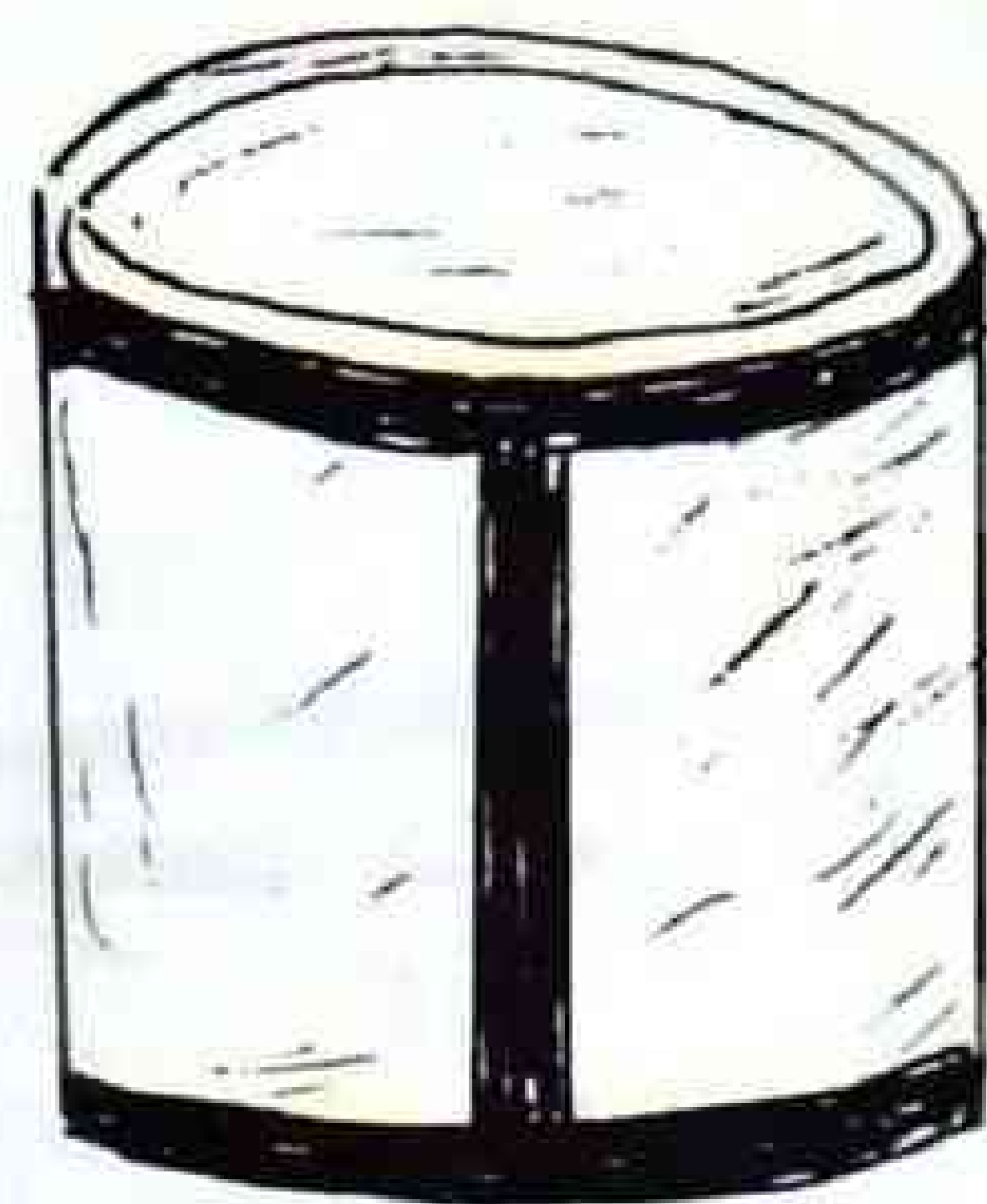
أدوات من الخشب



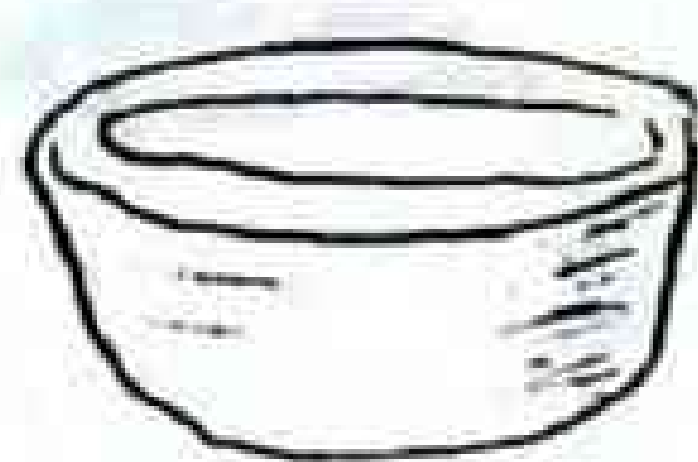
مقمار الطابوق



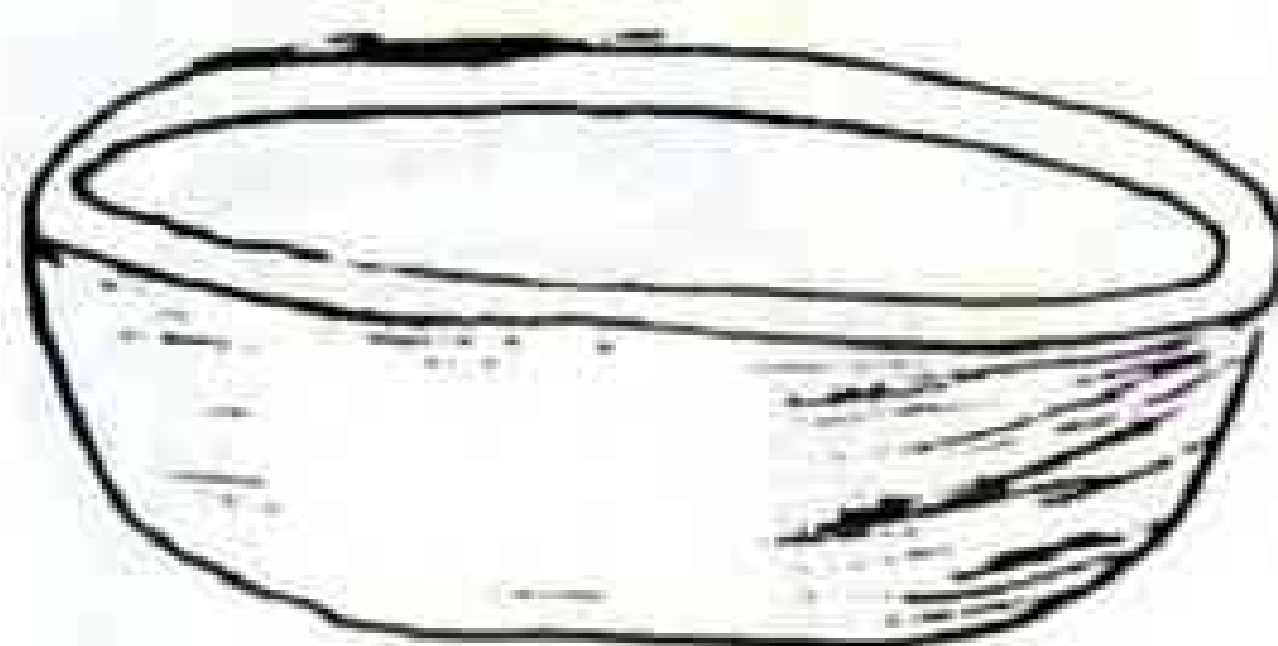
مرفقة



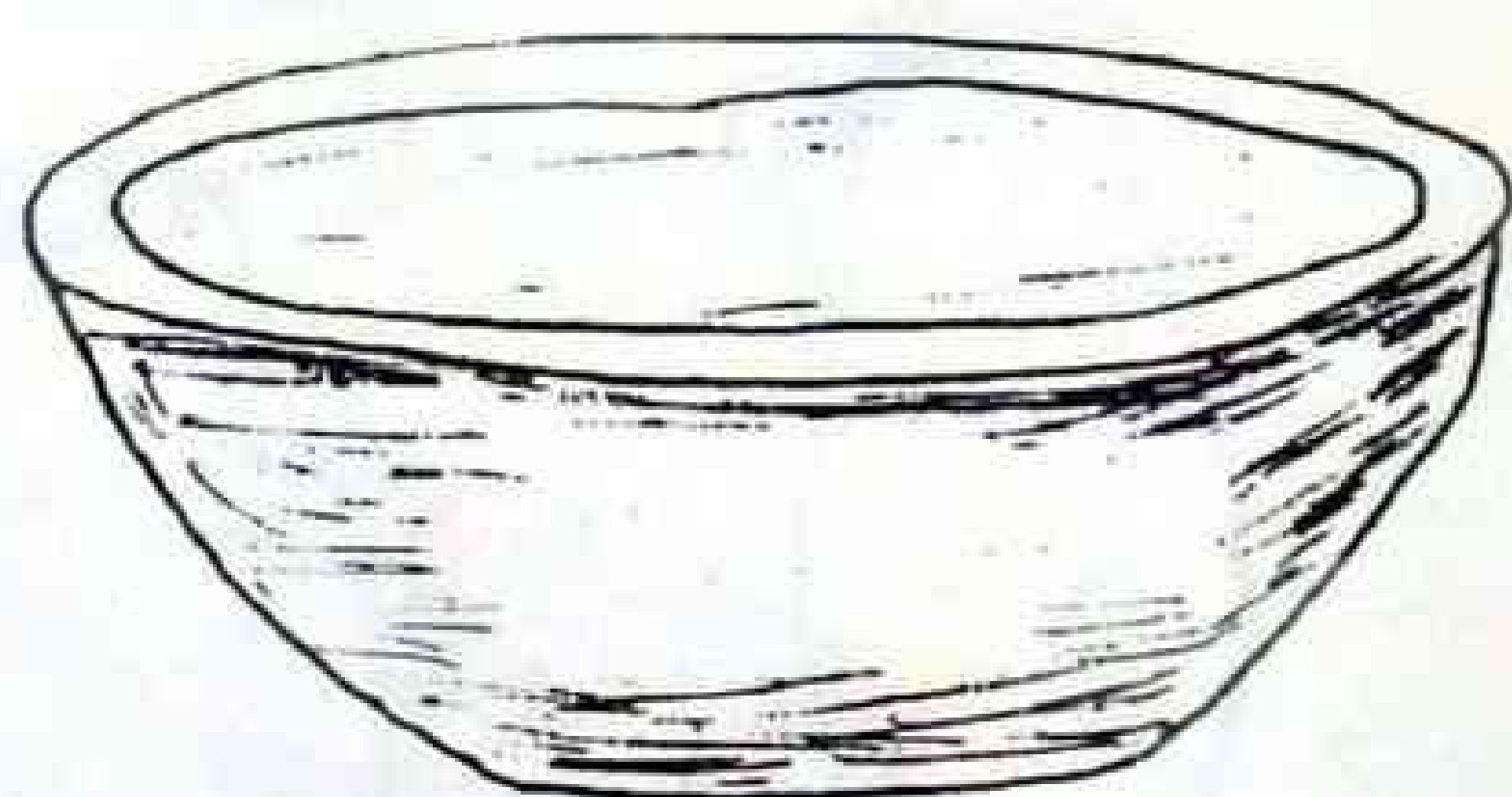
مليال الحبوب (سعة)



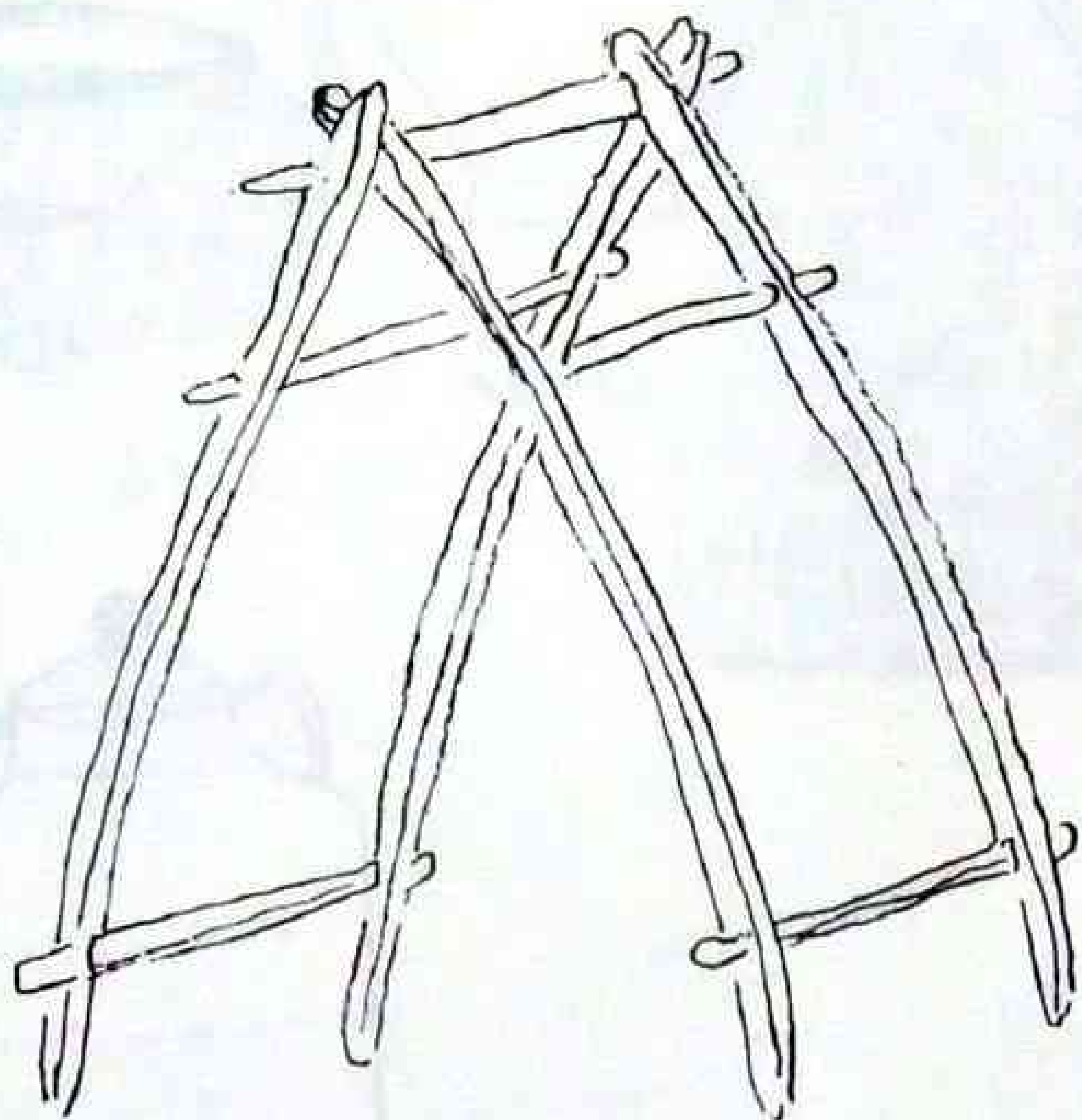
صنابة



كرنية



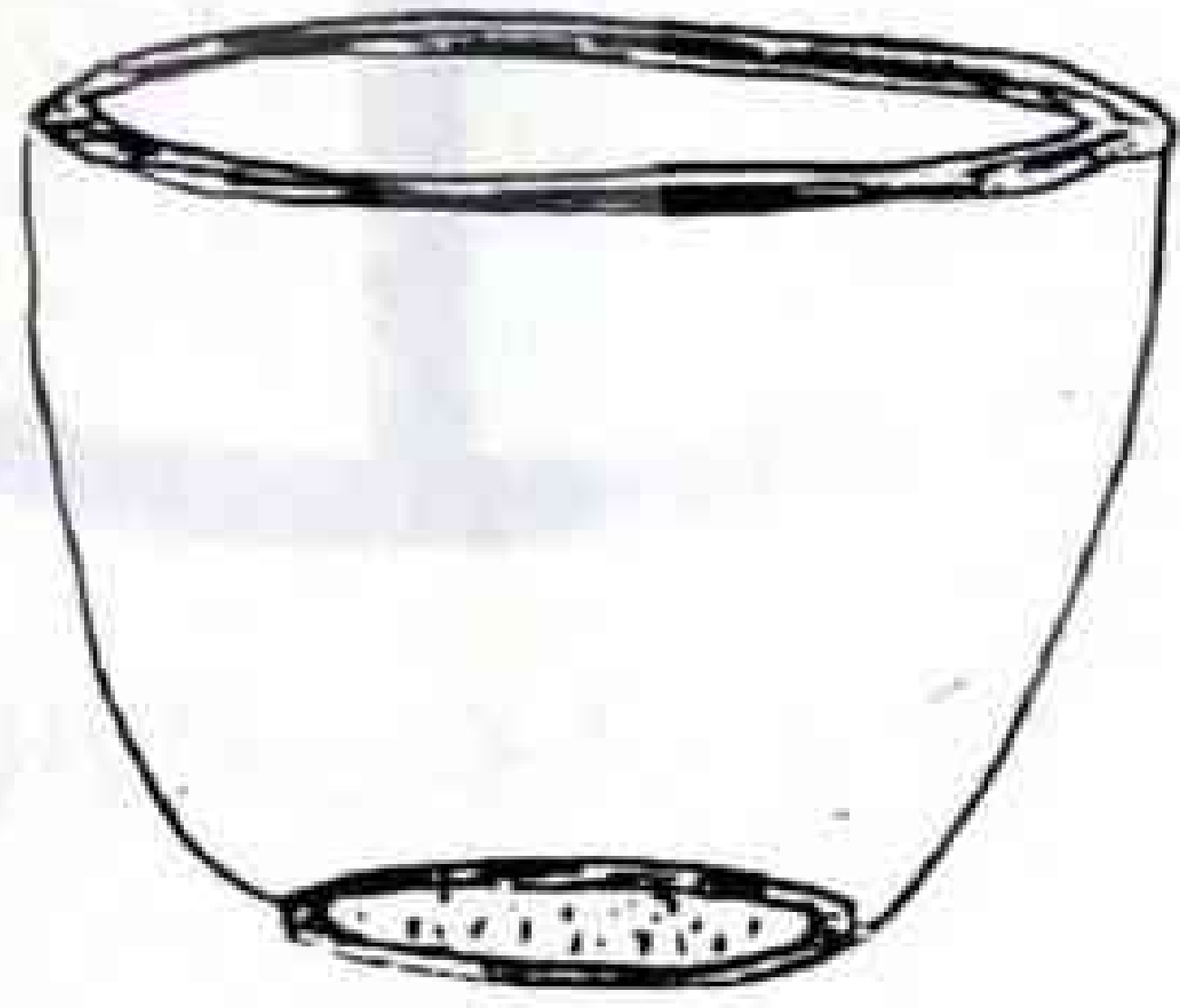
باطية



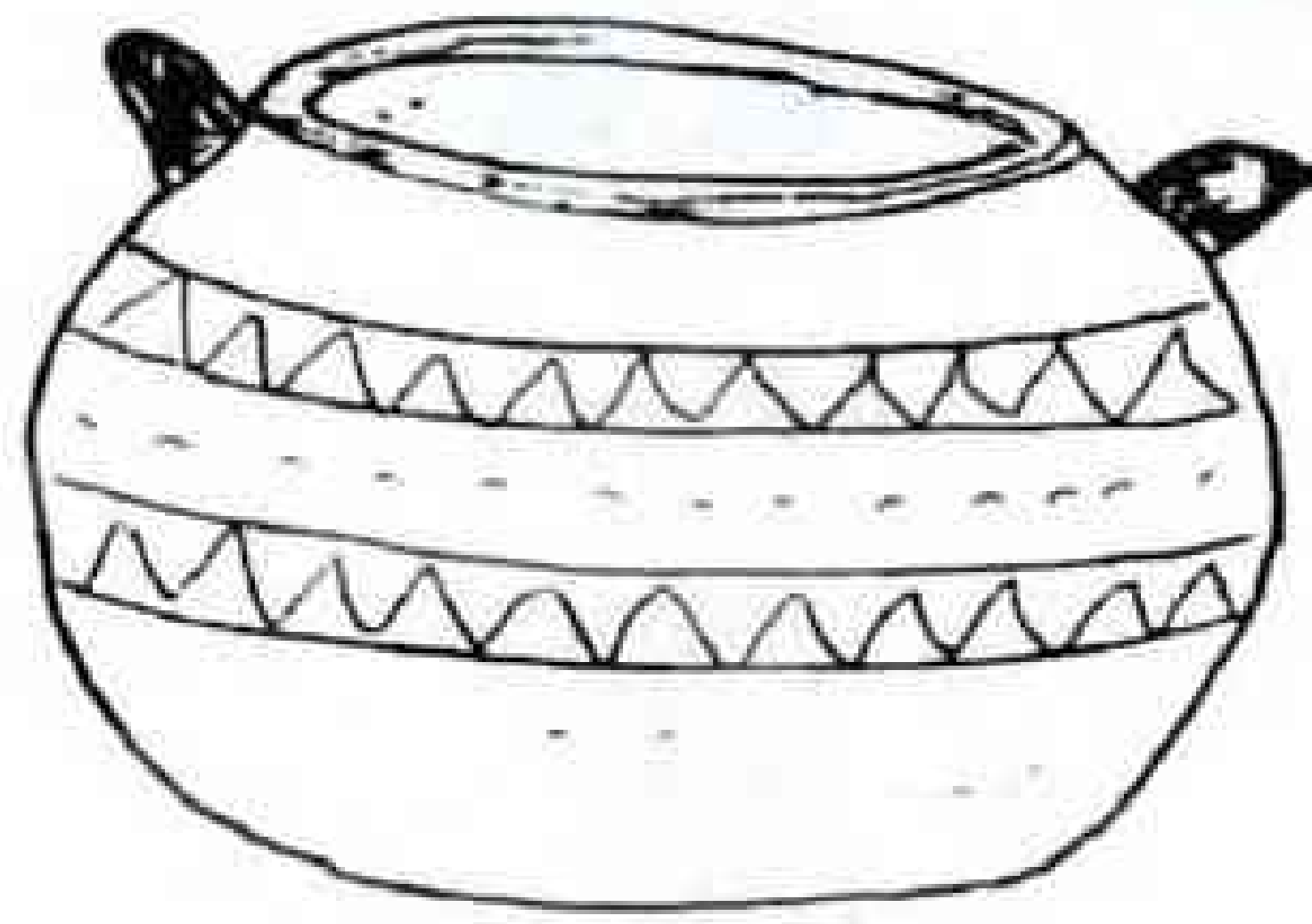
رجل يوضع على ظهر الحمل لتحميل القش من كقول



أدوات فخارية



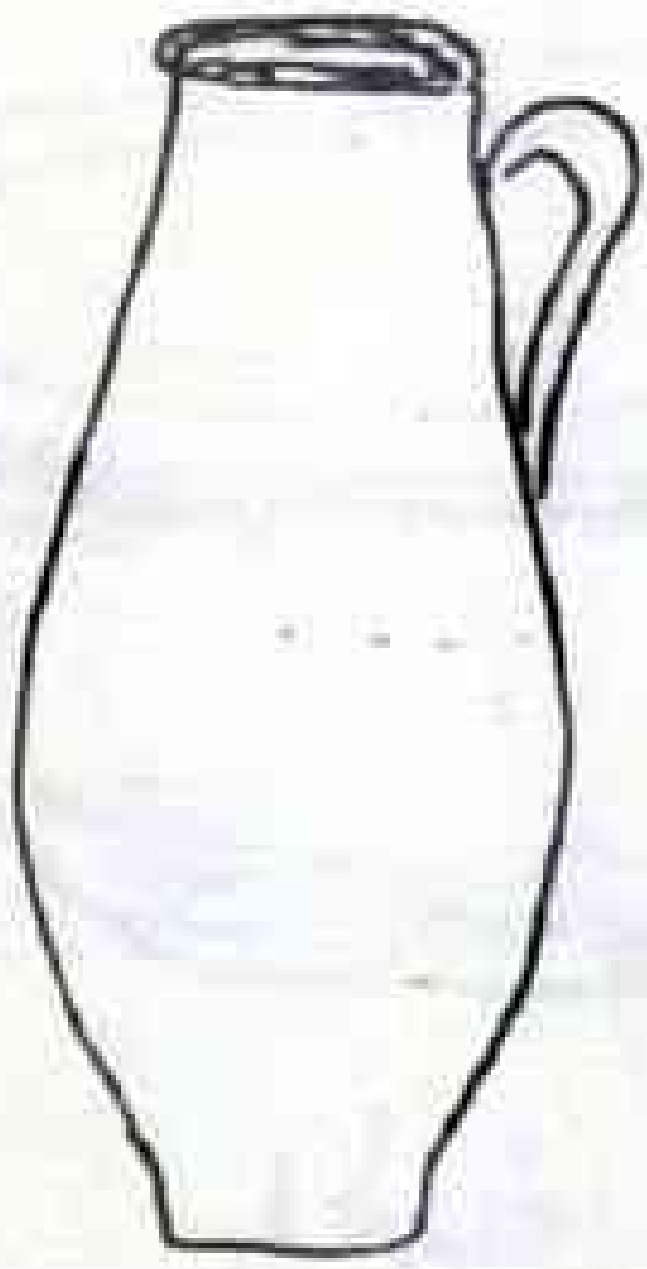
قصرية المفتول



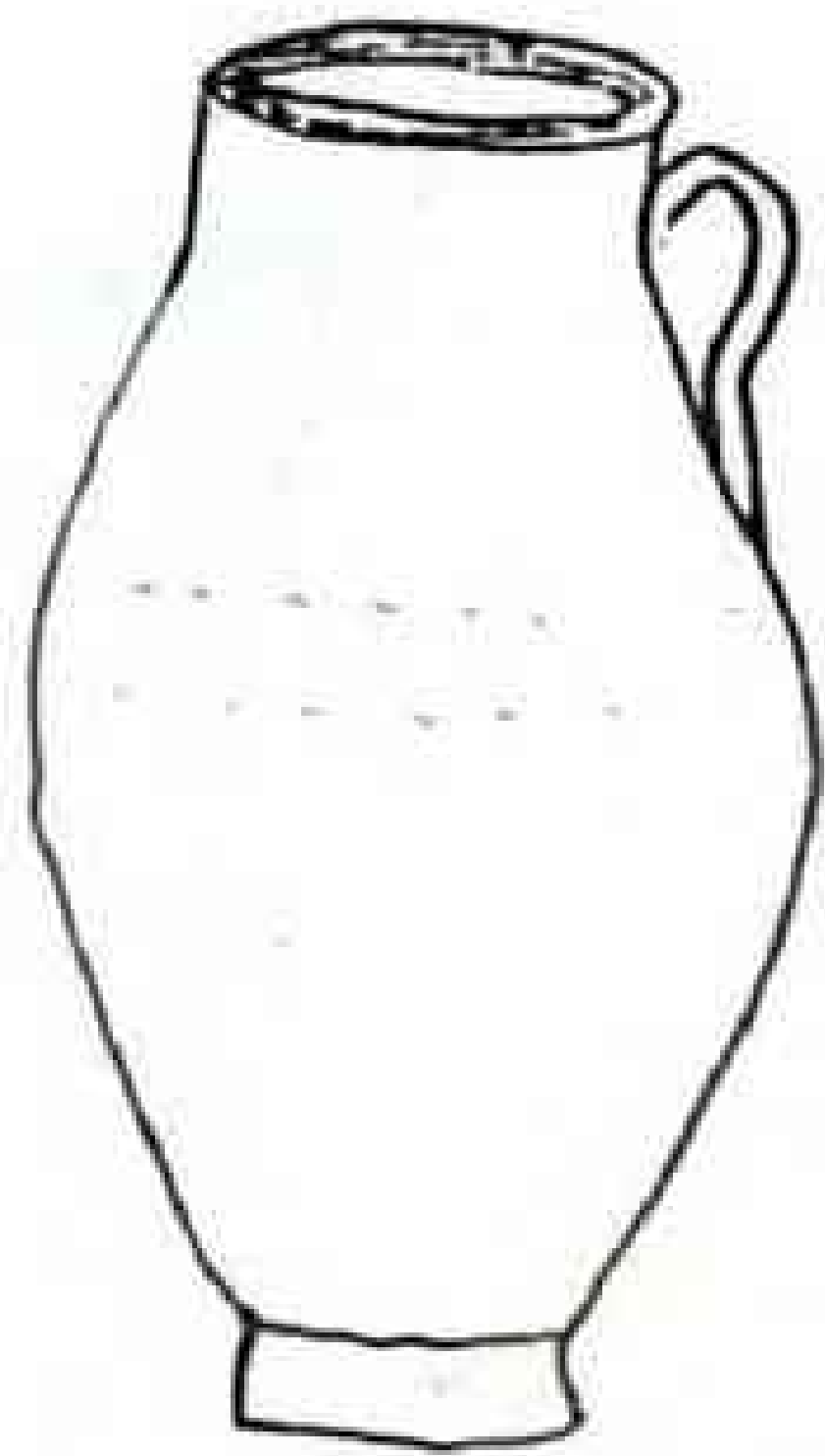
قدرة



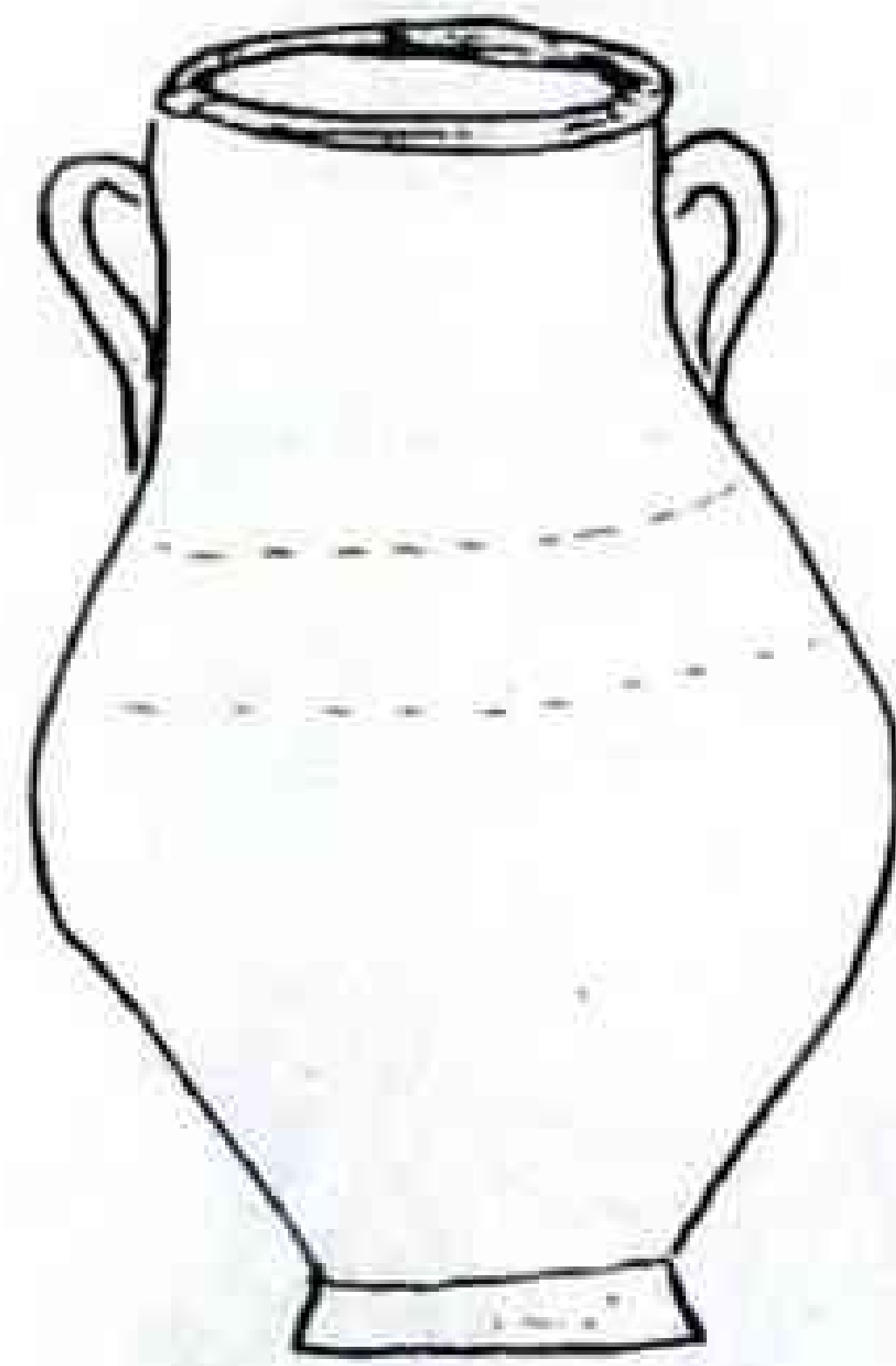
اشربة



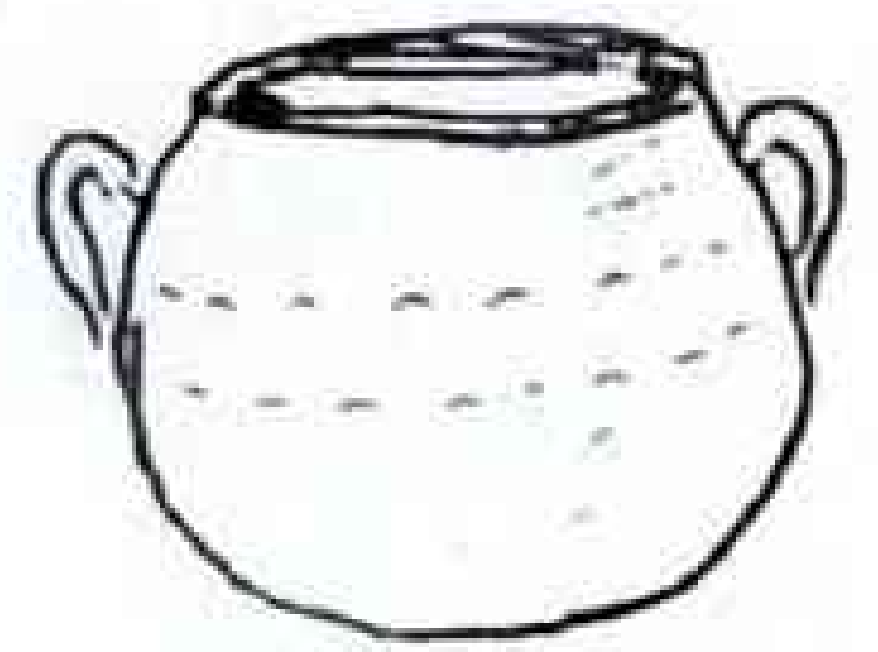
بكلولة



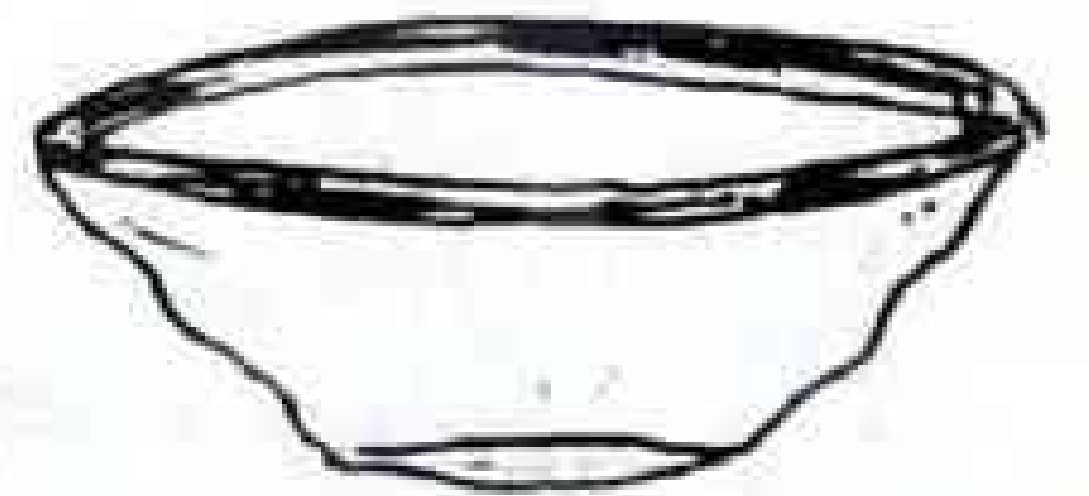
بوشه



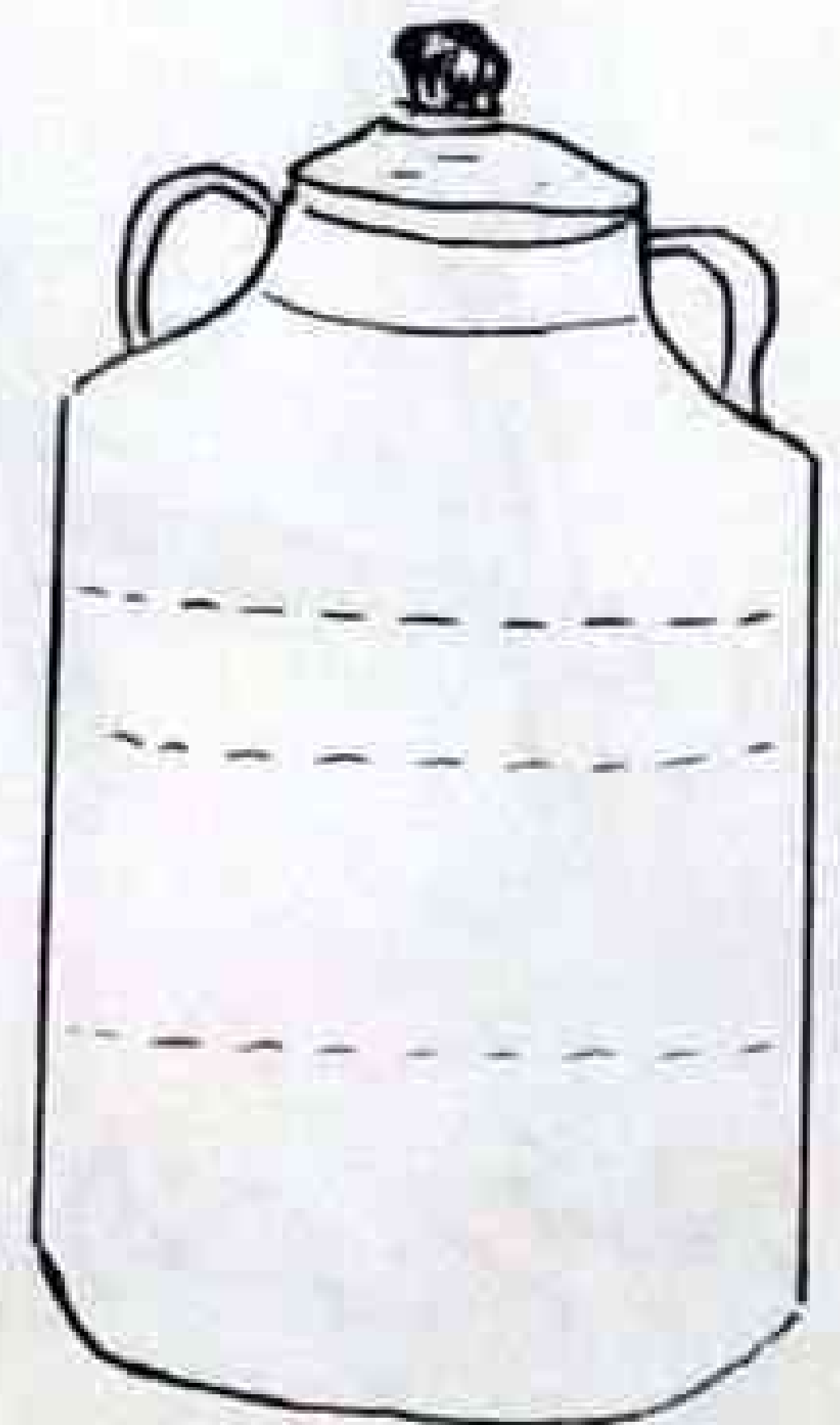
طوس



طبافة



صحن فخار

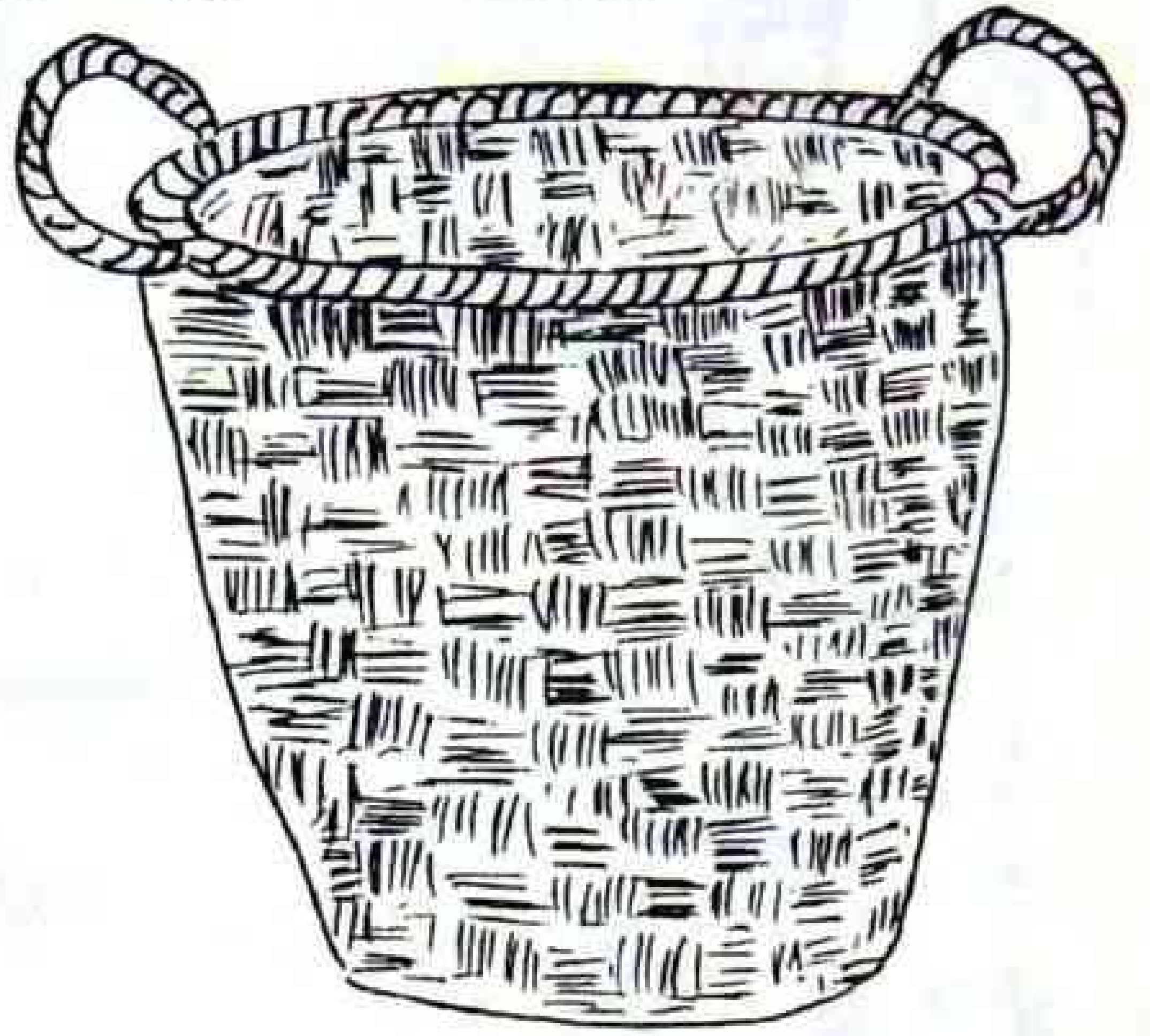


برنية عمل  
صنوعة من الخزف الحلي

ادوات منسوجة من اغصان الاشجار



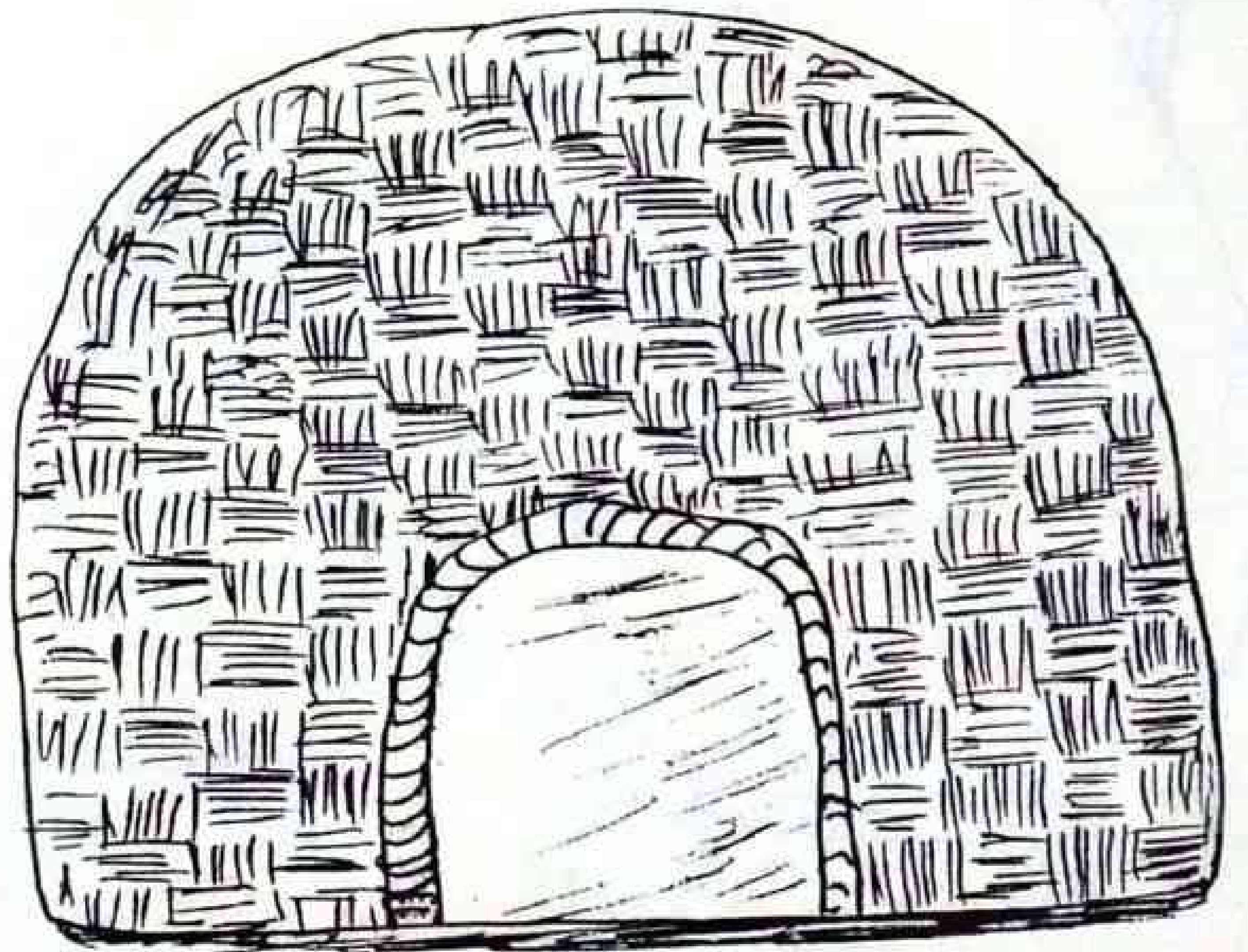
قِرطَة



سَل



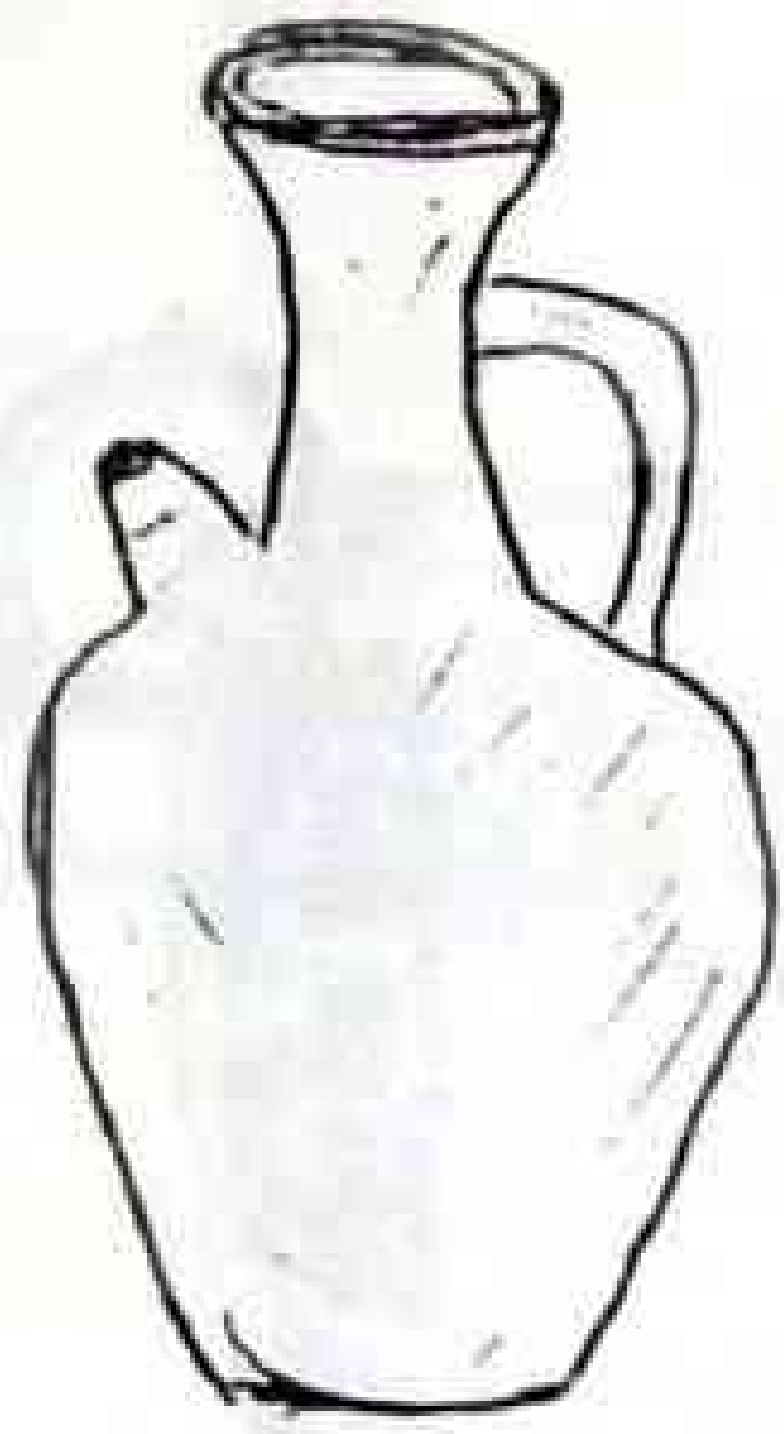
مَلْقَاط



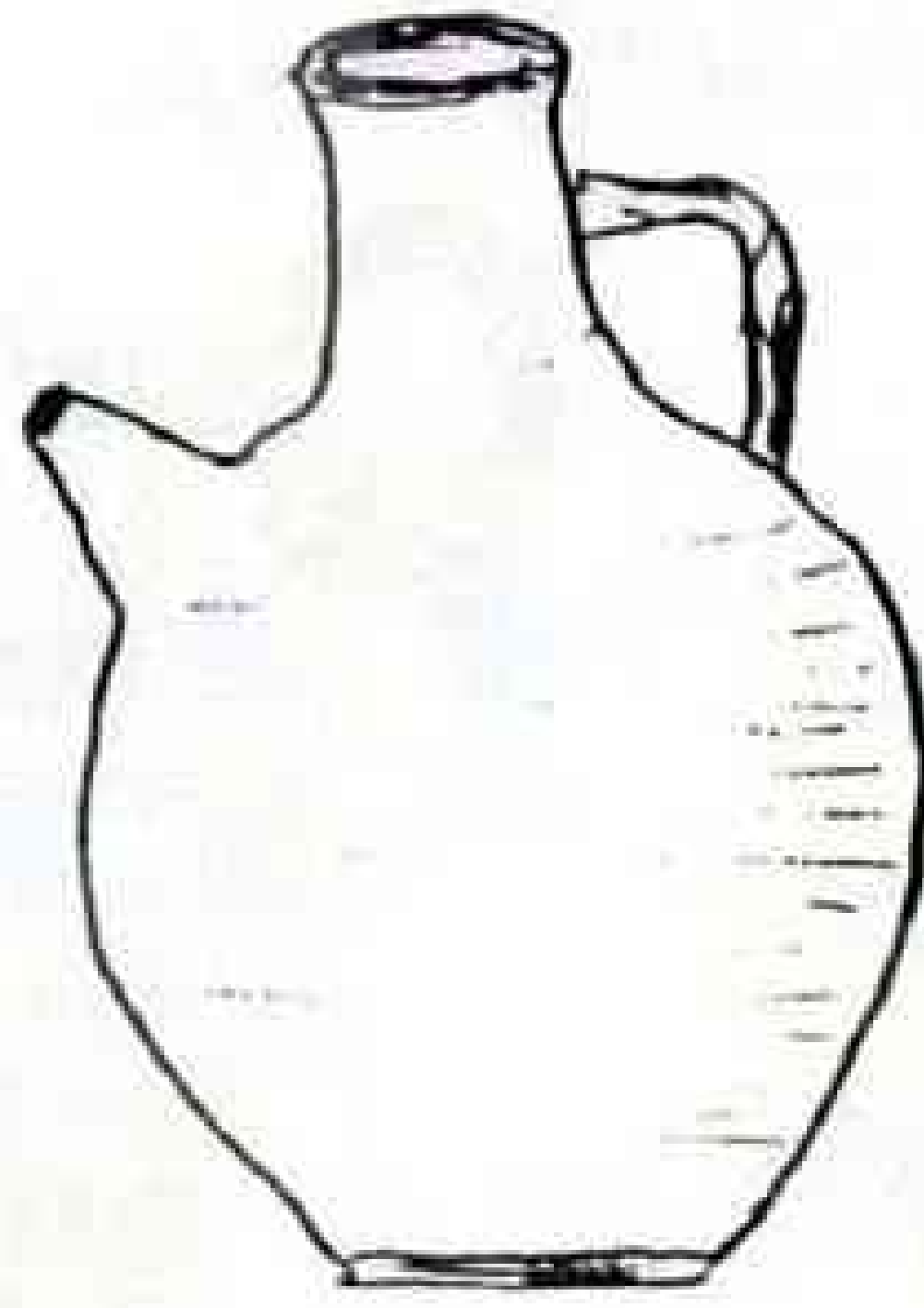
قَفْص رَجَاج



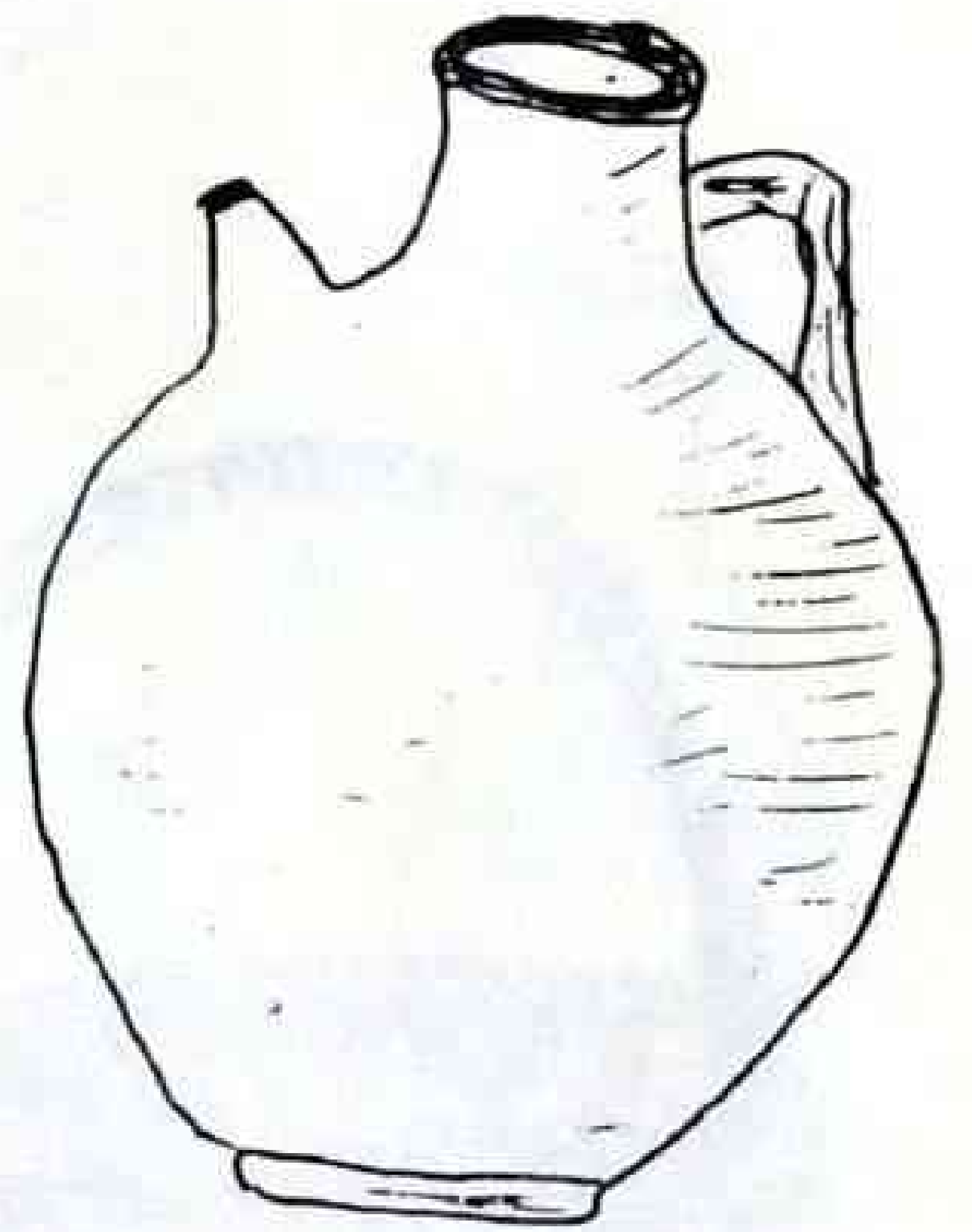
ادوات فخارية



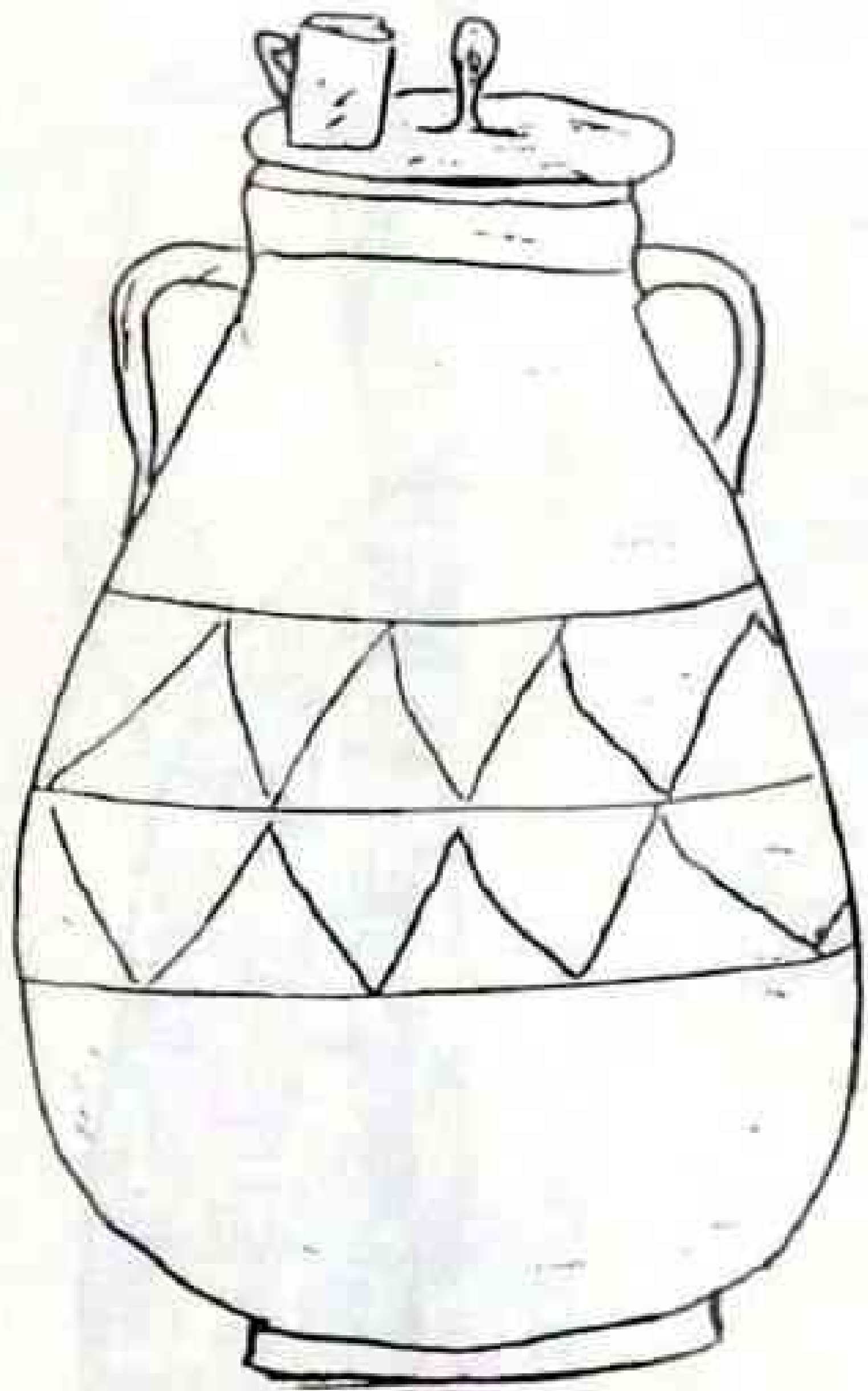
اللكلوك



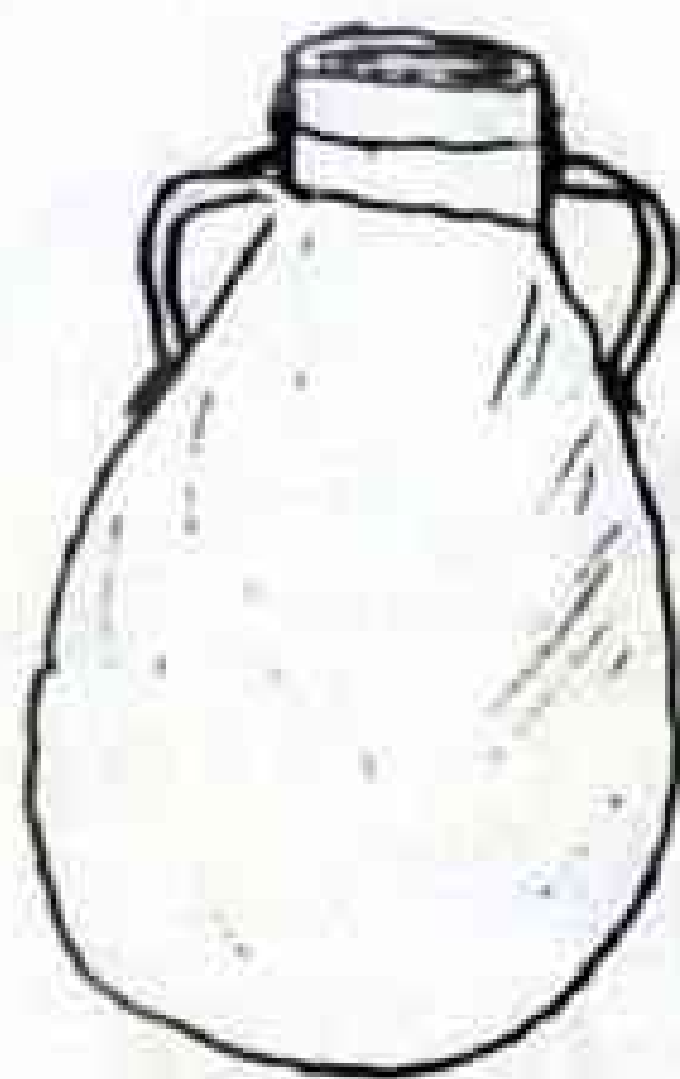
البادريسة



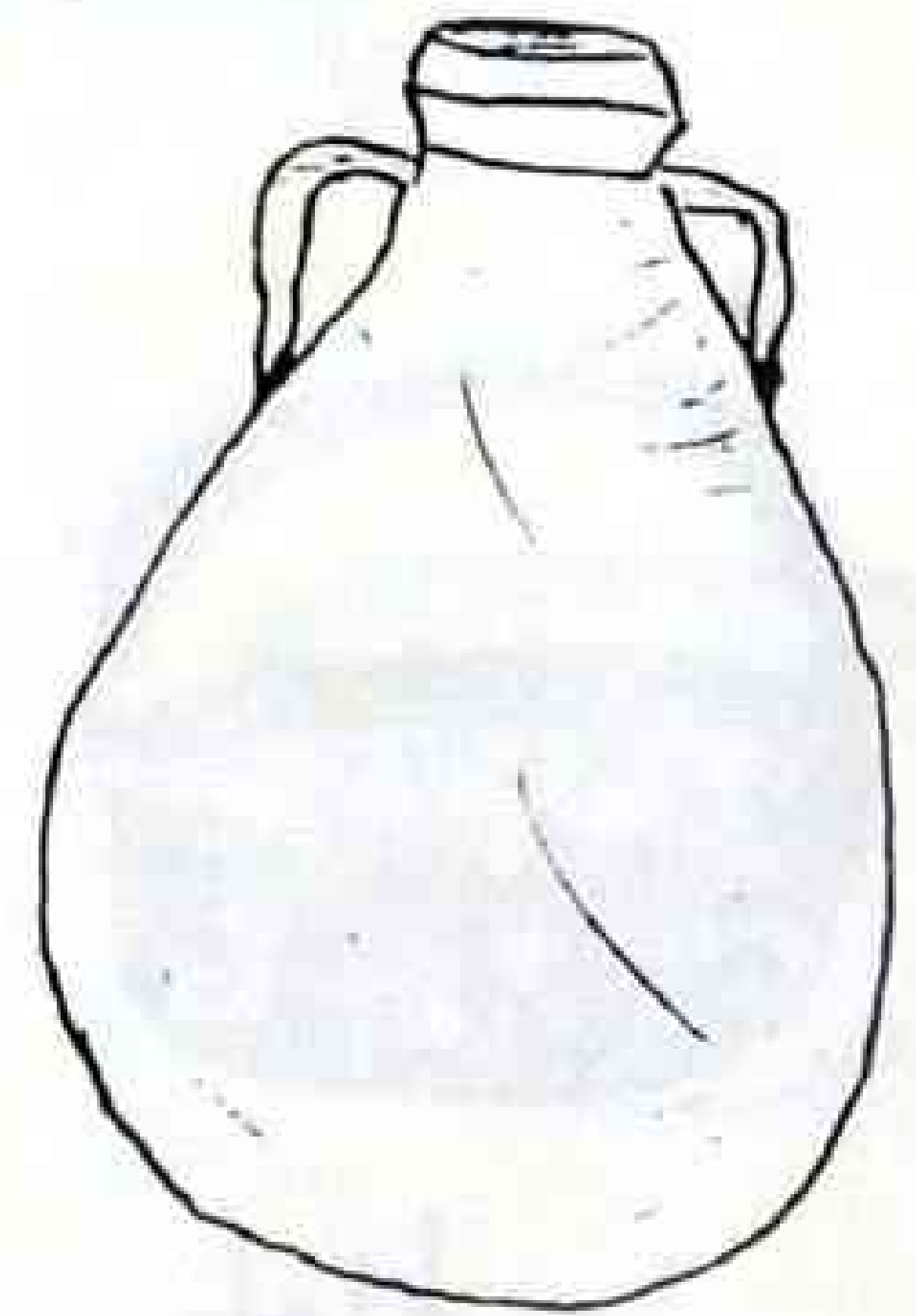
الكرار



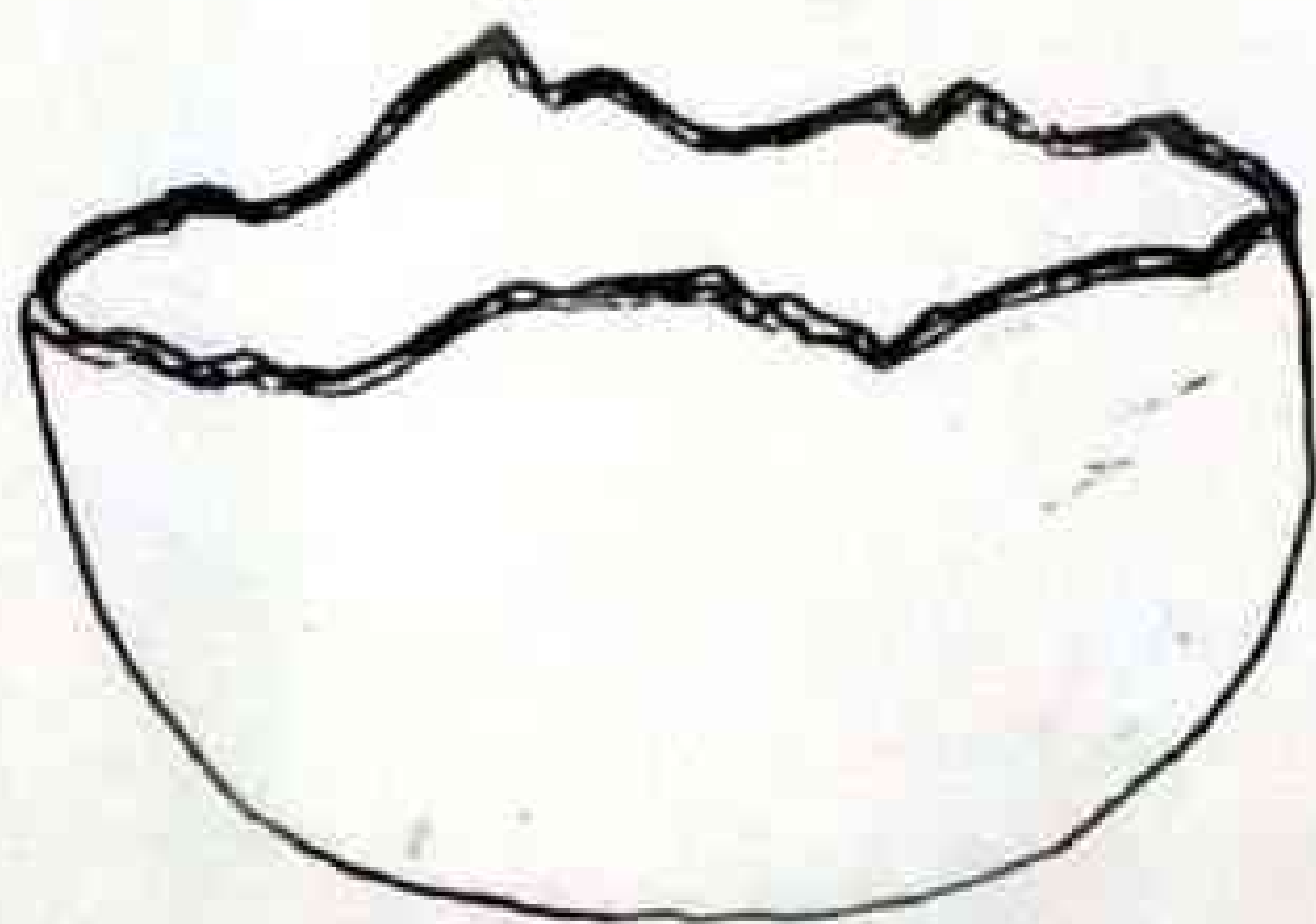
زرير



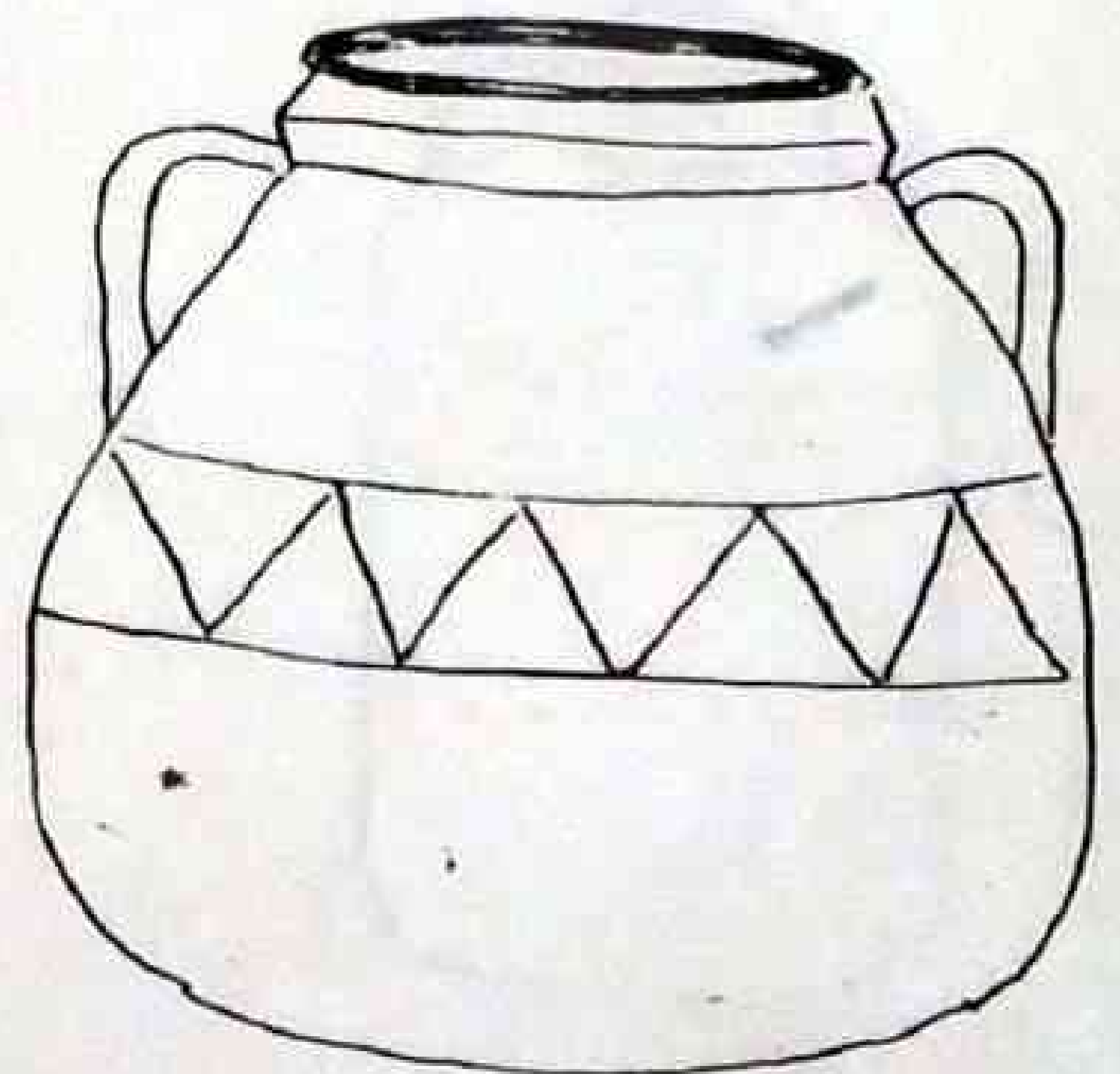
علبة



جمرة



القحف



الرشقة